لقد تم عمل التصويبات اللازمة في المجلد الثاني

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية

الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام

خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة التصدي الإسلامي لها

١٢٠١هـ/١٧٨٦م - ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م

دراسة تاريخية تحليلية نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

المجلد الثاني

إعداد
الطالبة / يسرى محمد عبد الهادي الجنفي

إشراف
الدكتور / عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

الفَصِلُ الثَّالِثُ

مناطق ونشاط الإرساليات الأجنبية في بلاد الشام

- مناطق ونشاط الإرساليات الكاثوليكية
- مناطق ونشاط الإرساليات البروتستانتية
- مناطق ونشاط الإرساليات الأرثوذكسية

مناطق ونشـــاط الإرساليات الكاثوليكية :-

أرجع الكثير من المؤرخين - والنصارى منهم خاصة - أسباب النهضة الفكرية فى بلاد الشام فى القرن الثالث عشر الهجرى الموافق التاسع عشر الميلادى إلى نشاط الإرساليات الأجنبية ، ونجاحهم فى تأسيس الجامعات والكليات والمدارس بأنواعها ورياض الأطفال ، وذلك فى بذل محاولات جادة لمواجهة المدارس الإسلامية العثمانية، التى كان معظمها يقوم على دور الكتاتيب او التعليم فى الحلقات فى المساجد . ومحاولة البعثات المسؤولة عن تلك الإرساليات جعل هذه المدارس على أحدث ما توصل إلية الفكر الحديث فى أوربا من تكنولوجيا ، والذى لم يكن موجوداً أو متوفراً فى مدارس الشرق . ليتحقق الهدف المرجو من تلك المدارس حتى إذا تبين مدى تطور هذه المؤسسات التعليمية المادى من حيث المبانى والمدرسين والأثاث وطباعة الكتب بطريقة مرتبة ونظيفة انبهر بذلك عامة الناس ، وجعلوا يأخذون كل ما جاء فى تلك المدارس على أنه منتهى الرقى وأنه غاية المرام . وعلى أنه أمر لا بد منه لتطوير بلادهم فيتهافتون على التعليم فى تلك المؤسسات التنصيرية دون أن يشعروا بعواقبها الوخيمة إلا بعد فوات الآوان .

ولم يذكر المؤرخون في تلك الفترة ما يظهر ويوضح الدوافع والأسباب والأهداف المختلفة الدينية منها والاقتصادية والسياسية ، الاستعمارية والاستغلالية ، لتلك الإرساليات عامة ، وتنافسها على بلاد الشام والمقدسات الإسلامية فى فلسطين ، والعالم الإسلامى بصفة عامة ، متبعين لذلك شتى الطرق باذلين وفير المال من شتى الجهات الحكومية الأجنبية أو التبرعات الشخصية ، ولهذا اتسم عمل هذه الإرساليات بتداخل واضح وجلي بين التنصير والتعليم بصفة خاصة ، وارتبط نشاطهم في الوقت نفسه في فترات متلاحقة بسياسات الدول الاستعمارية . أي أنها انتقلت من إطار توجهات الكنيسة إلى ميدان النفوذ الأوروبي وسياساته وغرس نفوذه ولغته وثقافته فى كل بلد يدخله ، وكان هذا من أسمى أهدافه .

وهذا يوضح لنا أسباب عودة البعثات التنصيرية المكثفة ، ونشاطها المتلاحق منذ القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى . وعلى امتداد ما يقارب المائة عام لا إلى بلاد الشام وحدها بل إلى مختلف أنحاء الدولة العثمانية وهى فى أطوار ضعفها ، وبداية نهايتها عندما بدأت تتلاشى وحدة أراضيها وانفصلت ولاياتها الواحدة تلو الأخرى ، ووقعت

تحت قبضة السيطرة الأجنبية ، والتدخل المباشر عن طريق الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية ، وتبعتها بعد ذلك الجيوش الجرارة والقوة العسكرية ، فكان احتلال فرنسا للجزائر فى عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ، واحتلال بريطانيا للهند فى عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م ثم احتلت فرنسا تونس فى عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م واحتلت بريطانيا مصر فى عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م واحتلت العراق فى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م واحتلت بريطانيا فلسطين فى عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م كذلك احتلت فرنسا لبنان وسوريا فى عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م . ولم يكن هذا التوزيع وليد الصدفة ، فلقد كشف الاتفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا والذى عقد فى عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامى(١).

ولقد اتبع المنصرون وسائل كثيرة ومتعددة للسيطرة على الأمة الإسلامية وجعلها تابعة للمستعمرين ، ومن الوسائل التى تعمل على إقناع المسلمين للخطط الرامية إلى استغلال واستعمار الشرق وذلك تحت شعار الدعوة إلى حرية الأديان والعلمانية ، ونشر القومية ، وتحرير المرأة ، من خلال مجالات التعليم الكثيرة والمتنوعة ، ولقد تمثلت فى التعليم ، الإعلام ، الصحافة ، الإذاعة ، والمؤلفات الاستشراقية سواء ما كان منها فى القانون أو التاريخ أو غير ذلك .

ولقد فتن المترفون من المسلمين بمظاهر العناية التعليمية والتربوية التى تقدمها المدارس الأجنبية والتنصيرية للتلاميذ الذين يتعلمون ويتربون فيها ،وافتتنوا أيضا بما فيها من تعليم جيد باللغات الأجنبية ، فصاروا يتسابقون إلى دفع أبنائهم وبناتهم إليها ويبذلون لأصحابها المال الكثير ، ثمن قبول أبنائهم تلاميذ فيها . وتقبل هذه المدارس أبناء أثرياء المسلمين بصلف ظاهر ، وزهو متصنع ، بعض الأحيان ، مع لهفة شديدة مكتومة إلى قبولهم ، لأن المشرفين على هذه المدارس يعلمون أنهم كلما قبلوا وافدا جديدا من أبناء المسلمين وبناتهم، كأنهم قد ظفروا بصيد جديد وعجينة لينة ، يطيعونها كما يشاءون ويخرجونها من الإسلام إخراجا سهلا ، وهم في نفس الوقت يأخذون من أولياء أمورهم الأجر الباهظ على ذلك(٢).

ويعيش هؤلاء الأبناء ضمن هذه المدارس غرباء فى كل شىء - فى الدين واللغة والتقاليد والعادات - ثم تلجئهم الضرورة إلى التكيف مع

---

١) على جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، ص ٤٥.
٢) عبد الرحمن حبنكه الميدانى: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص ٦٨.

الواقع الذى يعيشون فيه ، وتقليد كل مابشاهدونه ، وعندما يرجعون إلى أهليهم ، يستنكرون عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية التى نشأوا عليها ، وهنا يبدأون بالمطالبة بتطبيق الأمور التى نشأوا عليها فى مدارسهم المتحررة من القيود الدينية وقيود المجتمعات الإسلامية التى نمت على الفضيلة وعدم اختلاط الجنسين مثلا والمداومة على الطهارة والصلوات الخمس ، فإن فى التحرر واللامبالاة خمول وكسل لأنفسهم وأجسادهم وشهواتهم التى اعتادت هذه الأشياء فى مدارس الإرساليات ومن الصعب ترويضها مرة أخرى على ما يشتمل على جهد وجهاد للنفس وهذه المثل أنستهم إياها المدارس الإرسالية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو ملحدة كافرة بكل الأديان.

ومن نتائجها أن هؤلاء الأبناء تخرجوا من هذه المدارس بزاد وافر من اللغات الأجنبية وبجهل كبير باللغة العربية وتاريخها والقرآن الذى نزل بها، ومصادر الإسلام من القرآن والسنة المطهرة يضاف إلى ذلك ميل شديد إلى أساليب الحياة غير الإسلامية وطرائق السلوك المجافية لأخلاق المسلمين وآدابهم وبلغة القوم الذين تعلموا لغاتهم .

وفيما يلي نبين نشاط الإرساليات الكاثوليكية :

أولا : المؤسسات الطبية

لم يكن للبعثات الكاثوليكية نشاط مباشر ودائم في إنشاء المؤسسات الطبية في بلاد الشام إلا في وقت متأخر من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي . فقد جاء إنشاء كلية الطب ومستشفاها التابعين لجامعة القديس يوسف في بيروت، محاولة من البعثة اليسوعية للحاق بالبعثات البروتستنتية في هذا المضمار. إلا أن البعثة الألمانية الكاثوليكية في فلسطين أنشأت بعض المستوصفات في المناطق التالية :

(١) - المستوصف الصحى فى قبية - عمواس ، تم شراء أرض المستوصف فى عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م فى قرية (قبية) قرب عمواس ليكون للراهبات والرهبان العاملين فى مدرسة شميدت للبنات ونزل القديس بولس . وتشرف عليه راهبات القديس بورميوس .

(٢) - افتتحت راهبات بورمييه فى حيفا فى عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٨٨م مستوصفا قدم ١٠ آلاف استشارة سنويا . وبعد توسيع منزلهن خصصت الراهبات قسما

من المنزل ليكون مستشفى ، وقد تمكن المستشفى من معالجة ٢٠٠- ٣٠٠ مريض سنويا معظمهم من المسلمين .

وفى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادى بدأت راهبات القديس بوروميوس بقبول البنات العربيات فى صفوفهن وتدريبهن كممرضات . وكانت أول ممرضة عربية فى هذا المستشفى خريجة مدرسة البنات الألمانية فى القدس(١).

ثانياً : التعلـــيم

اقتصر جهد اليسوعيين الكاثوليك على استمالة الناس للدخول فى طائفتهم وعلى نشر الثقافة الدينية . ولم يكن لهم أدنى جهد فى إيجاد نهضة فكرية (٢). إلا أنهم قاموا بافتتاح العديد من المدارس والمعاهد والكليات والجامعات في بلاد الشام ، وقد اهتمت تلك الإرساليات بالمدارس الابتدائية بصفة خاصة، لما رأت فيها من إمكانية الاستفادة بها في تحقيق أهدافها التي تسعى إليها.

لقد كانت المدارس قوة لوضع الناشئين تحت تأثير التعليم النصرانى أكثر من أية قوة أخرى ثم أن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة لأوطانهم . ويقول المنصر جون موط : «يجب أن نؤكد فى جميع ميادين التبشير (التنصير) جانب العمل بين الصغار بأن نجعله عمدة عملنا فى البلاد الإسلامية. إن الأثر المفسد للإسلام يبدأ مبكراً»(٣).

أما مدارس البنات فقد كان التركيز عليها كبيراً جداً باعتبار الفتاة «الأم» التى سوف تربي الأجيال القادمة فإذا صبغت نفسيتها وعقليتها وفق مناهج التنصير والاستعمار والتغريب فإنها تؤثر فى الأجيال أسوأ تأثير .

ومن بين الأهداف التي سعت الى تحقيقها الإرساليات الكاثوليكية في إقامة المدارس النصرانية في بلاد الشام ما يلي :

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية - الفلسطينية ، ص ٨٥.
٢) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٩٩.
٣) عبد الودود شلبى : أفيقوا أيها المسلمون ...، ص ٢٦.

١- المدرسة الابتدائية هى أفضل الوسائل لتغلغل النفوذ ، وتتفوق فى هذا المضمار على الكلية وحتى على الثانوية ، لأنها تتوجه الى أكبر قسم من الناس وتدخل الأوساط التى يصعب الوصول إليها .

٢- دفع الطفل لاعتناق المبادىء التى يتلقاها فى هذه المدارس ، عبر تشجيعه ومراقبة تمارينه ، والتأثير الشخصى عليه، مع اتباع العقاب كطريقة للعلاج أيضا والضغط على الطفل بشتى الطرق من النقد المعنوى أمام الآخرين إلى الضرب والعقوبة المادية ، وصولا إلى الطرد. وتشير بعض الروايات إلى استخدام اليسوعيين للعقاب الجسدى بشكل قاسى وعنيف للطفل (الطالب) المخالف(١).

٣- جعل فرنسا محبوبة لدى السوريين ، ونشر الكاثوليكية فى سوريا(٢) وذلك بتلقينها الى الأطفال في مدارسهم. فعملوا على الاهتمام فى إنشاء مدارس رياض الأطفال للبنين والبنات والمدارس الأولية والابتدائية ، وذلك إيماناً منهم بأنه من السهل التركيز على مفاهيم الاستعمار والتغريب فى نفوسهم .

٤- بناء أجيال جديدة تسير على مناهج المستشرقين والمنصرين فى مدارسهم وفرض أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف ، وما زال هذا الجانب المتصل بالتربية والتعليم والثقافة بعيداً عن اهتمام قادة المسلمين والعرب - وهو المصدر الأساسى لكل تغيير وإصلاح - وحماية لأبناء المسلمين من غدر ونفوذ الاستعمار الغربى والصهيونى والماركسي(٣).

٥- اشتراك المدارس والكليات فى هدف واحد وهو التنصير ، وفى ذلك يقول المنصر «هنرى هريس» فى رسالة كتبها إلى المستر دبليو . ستيوارت دودج :- «لنبتهل إلى الله فى سبيل تعميد نفوس أولئك الشباب الذين يترددون على المدارس والكليات » . ويقول هنرى جسب :- «إن التعليم ومدارس الإرساليات المسيحية (النصرانية) إنما هو واسطة إلى غاية فقط .. هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحين (نصارى) وشعوبا مسيحية » ! (نصرانية) .

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٢.
٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١٢٦.
٣) أنور الجندى : إطار إسلامى للفكر المعاصر ، ص ٣٤ .

٦- وضع التوراة فى أيدى الطلاب على أنه كتاب تدريس أساسى . أما فى نطاق المدارس الابتدائية ، فقد حرصت جهات التنصير على البحث عن الأسر الفقيرة ، لاصطياد أبنائها وبناتها باسم التربية والتعليم واستهواء الأطفال بتوزيع الحلوى كما عمد إلى نشر المنصرات فى مختلف القرى والمدن وهم يجمعون طبقة معينة من التلاميذ ، هم طبقة الفقراء والمعوزين ، حيث يحشرونهم فى مدارسهم ويلقنونهم مع المعارف الأولية مبادىء دينهم النصرانى ويستغلون حداثة سن التلاميذ ليزرعوا فى نفوسهم حبهم كأساتذة لهم وشكرهم لهم لتفضلهم عليهم بالكسوة والطعام والتعليم وبذلك يغزوهم فكرياً وعقلياً ودينياً(١).
وفي ذلك محاربة للقرآن وتعاليم الإسلام وهو فى مقدمة أهداف الإرساليات الأجنبية من التعليم، وقد علق د. طومسون على هذا الموضوع بقوله : «إننا نراقب سير القرآن فى المدارس الإسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، ذلك أن القرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير (التنصير)»(٢).

وفي النهاية فان المدارس الأجنبية ، في الحقيقة انما جاءت للقضاء على كل آمال المسلمين لأنها موضوعة لنشر التربية الأوروبية النصرانية التي يقصد منها اضمحلال الاسلام(٣).

مبادئ المدارس الكاثوليكية :-

اعتمدت البعثات الكاثوليكية في إنشائها للمدارس الابتدائية على ممارسة سلطة الآباء اليسوعيين على الأطفال على أنها باسم الرب ، ويعتمد مبدأ التكيف على تمييز قدرات الطفل ومواهبه ، لذا يجب أن يبقى الطفل أطول مدة ممكنة تحت رعاية رجال الدين النصرانى (الآباء) الذين عليهم رفض طريقة التنصير أو الوعظ التي تؤدى إلى سلبية المستمعين لهذا الوعظ(٤). ولقد اعتمدت هذه المدارس المبادئ التالية :

١- أن كل ما كان جذراً(ذا جذور) كان له قوة كبيرة .

---

١) أنور الجندى : إطار إسلامي للفكر المعاصر ، ص ٩١
٢) أنور الجندى : التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ، المجلد الخامس ، ص ٨٨.
٣) محمد سعيد العرفي: سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين، ص٣٦٢.
٤) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٢.

٢- أن كل ما كان لينا كان لديه الاستعداد للتطويع .
٣- أن التقليد والعادة لهما دائما تأثير قوي .

وكان الفضل في تطبيق هذه المبادئ يعود الى مباديء ليولا(١).

وقد تمكن اليسوعيون من تأسيس عدة مدارس ابتدائية للبنين والبنات (أنظر جدول بالمدارس اليسوعية ، ص) ، وبعض المدارس الإكليركية الدينية، لإعداد «الإكليروس المحلى» (٢). وذلك قبل الاتفاق على تدعيم فرنسا لهم ، فتوزعت هذه المدارس على عدة مناطق منها بعلبك - غزير - بكفيا- تعنابل - كساره - سيدة القلعة - زحلة . وامتد نشاطهم إلى صيدا وصور وصفد فى فلسطين وكذلك العين وانقاع . وفى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م أنشأ اليسوعيون المدرسة الإكليركية المركزية الآسيوية التى ضمت رجال الدين وأبناء كبار عائلات الجبل أمثال : الخازن ، وحبيش ، والدحداح وخورى . ولقد انتقل اليسوعيون إلى بيروت فى عام ١٢٩٢هـ/ عام ١٨٧٥م.

ومع الدعم الفرنسى الذى أعقب الاتفاق الثنائى بين فرنسا

---

١) ليولا : هو الذى أسس «جمعية يسوع واسمه (إيناس دى ليولا Ignace de Loyola) الذى ولد عام ٨٩٨ هـ/ عام ١٤٩٢م من أسرة تنتمى لنبلاء الباسك . وعاش حياته في لهو وترف وانغماس فى ملذات الحياة الدنيوية ، وأسيراً لهفوات الجسد بشهادة صديقة الأب لاينز (Lainez) الذى خلفه فى رئاسة الجمعية عام ٩٦٤هـ/ عام ١٥٥٦م وباعترافه هو ، أما التحول الكبير الذى حصل فى حياته فكان أثناء مرضه. أن طالع بالصدفه «حياة المسيح، وحياة القديسين » فاندفع نحو الاهتمام الدينى وندم على حياته السابقة واعترضه الكثير من المشاكل فتوجه إلى أسبانيا للدراسة وبعدها إلى باريس وتابع دراسته فيها عام ٩٣٥هـ/ عام ١٥٢٨م . وعاش فى باريس وتابع تحصيله العلمى . فأنجز شهادة الفنون ، وجمع حوله جماعه من الشباب أثناء متابعته للدراسة ووعظه للنفوس . وتوثقت علاقته مع سته منهم ، فتوجه معهم ذات يوم إلى «مونمارتر» وكان ذلك عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م وهناك عقدوا حلفاً «مقدساً» يعتبر النواة الأولى لجمعية يسوع ، ولم تحصل الجمعية على الإذن الشرعى من البابا بممارسة الوعظ والتنصير الا في عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م بعد سنتين من المعارضة ، وهذا هو التاريخ الحقيقى لولادة جمعية يسوع. أنظر طلال عتريسي: البعثات اليسوعية ، ص ٢٨ - ٢٩.

٢) الإكليروس المحلى : معناه إعداد الوعاظ المحليين من أهل البلاد النصارى والواعظ هو الذي يقوم بإرشاد الشعب وتعليمهم أصول النصرانية.

واليسوعيين ، ضاعف اليسوعيون عدد مدارسهم الابتدائية فى مختلف مناطق لبنان ، فالمدرسة الابتدائية هى أفضل الوسائل لتغلغل النفوذ التنصيري. لذا عمل المنصرون اليسوعيون على تكثيف المدارس فى سوريا لتمكين جميع الأطفال من القراءة والاستفادة من التعليم الدينى(١).

ولقد حقق اليسوعيون (كاثوليك) فى مجال التعليم الابتدائى تفوقا ملحوظا على الإرساليات البروتساتنية والفرنسية على حد سواء(٢). ففي عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٣م أعادوا فتح مؤسستين كانتا قد أغلقتا من قبل ، وألحقت بكل منهما مدرسة . كما أنشأوا مدارس فى بيروت عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م وغزير ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م وزحلة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م ، ثم وسعوا مجال نشاطهم فى المناطق المجاورة إلى المدى الذى أعانتهم عليه مواردهم المالية ، فشمل نشاطهم ، دمشق عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م وحلب ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م.

وقد أصبحت مدرسة غزير التي أنشئت في جبل لبنان ذات قيمة تاريخية فيما بعد، ونقلت إلى بيروت فى عام ١٢٩١هـ ؛ ١٨٧٥م وسميت جامعة القديس يوسف ، وصار لها أثراً حاسماً فى الأجيال الناشئة، وأصبحت منافسة للإرسالية الأمريكية فى هذا المجال (٣).

وتعتبر الإرساليات الكاثوليكية للعازاريين والجزويت من أكثر الإرساليات نشاطا والتى تدار من قبل الفاتيكان ، وتحظى بإسناد فعال من قبل فرنسا ولقد افتتحت هذه الإرساليات الكاثوليكية شبكة واسعة من المدارس والمعاهد الدينية . وفى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م بعث البابا نظام بطريركية القدس اللاتينية ، الذى كان قائما فى وقت من الأوقات فى عهد الصليبين ، وظهر فى بيروت(٤).

والتعليم الابتدائى هو عبارة عن السنوات الابتدائية الأربع أو ما يسمى بالصفوف التمهيدية . ويضم عدة أقسام ، ويشرف على قسم الصغار فيها أخوات يسوع ومريم . لقد حقق اليسوعيون فى مجال التعليم

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٢١-١٢٢. ونور الدين حاطوم : محاضرات فى نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ١٣.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٩.
٣) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٠٨.
٤) لوتسكى : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، أكاديمية العلوم فى الإتحاد السوفيتى ، (موسكو دار التقدم عام ١٩٧١م) ، ترجمة عفيفة البستانى ، ص ١٥٧.

الابتدائى تفوقا ملحوظا على سائر الإرساليات الأمريكية والبريطانية والألمانية والفرنسية «الكاثوليكية على حد سواء» (١)

<u>جمعيـة يسـوع التعليميـة :</u>

مرت جمعية يسوع الكاثوليكية التعليمية بمرحلتين :

أ) تبدأ المرحلة الأولى مع بداية ظهور الجمعية ، وتنتهى مع قرار إلغائها عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م . وفى هذه الفترة لم تعرف مدارسهم نظاما داخليا معينا . وكان التلاميذ يتمتعون خارج الفصل بحرية كبيرة لا تسمح بمراقبتهم والإشراف عليهم بشكل متواصل .

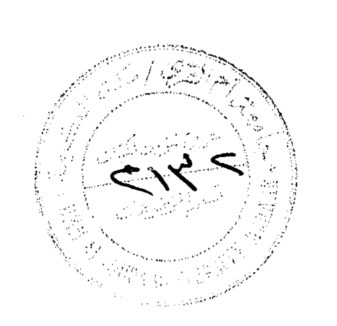
ب) بدأ استئناف نشاط الجمعية اليسوعية فى عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ، ويبدو أن ذلك الانقطاع الطويل كان حافزا لتنظيم التعليم على أسس متينة يسمح لهم بإعداد التلميذ إعداداً شاملا للحياة كما يرغبون ، فقد قسم الكادر التعليمى إلى مدير، ونظار، وأساتذة، وهم يمتلكون قدرة عالية على الإعداد التعليمى اليسوعى النصرانى ، بحيث يتابعون تلاميذهم خارج أوقات التعليم بينما يجعلون من المدرسة عالما صغيراً قائماً بذاته (٢).

أما بالنسبة للمناهج الدراسية اليومية فتقوم على حسب تعاليم «ليولا» القائمة عليها جميع المدارس اليسوعية ، وذلك بأن يقوم المدرسون على غرس العقيدة الدينية فى قلوب الأطفال (التلاميذ) قبل تعرفهم على العلوم الإنسانية لأن التعليم ليس سوى وسيلة لنشر النصرانية . وقد ترك التنظيم الدينى للجمعية بصماته على المؤسسات اليسوعية التعليمية ، واتسم بالانضباط فيها والصرامة والشدة والتراتب ، لأن الطاعة شرط ضرورى للتلامذة الدينيين.

وهذا كتاب كمثال مما كان يدرس فى الصف الخامس من المدرسة البطريركية فى بيروت . ويدرس بلا ريب فى مدارس أخرى كثيرة فى لبنان ، وهو مطبوع فى لبنان والاسم الكامل لهذا الكتاب : تاريخ محاضرات ج ، إيزاك، حررها أ. ألبا، للشرق الأدنى ، لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى) طبعته مطابع الآداب الفرنسية فى بيروت . وفيما يلي فقرات مما

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٩ .
٢) طلال عتريسى : المرجع السابق ، ص ١٢٣.



جاء فى هذا الكتاب :

ص ٣١ واتفق لمحمد فى أثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى . ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا.

ص ٣٢ والقرآن مجموعة ملاحظات كان تلاميذه يدونونها ، بينما كان هو يتكلم وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة.

ص ٣٦ وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنين به يدونون كلماته على عجل .

ص ١٢٦ ودخلت فلسطين فى سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد .

وهناك كتاب آخر اسمه تاريخ فرنسا : تأليف هـ غيومان و ف . لوسيتر. وكان يدرس فى مدرسة القديس يوسف للبنات فى بيروت ، وفى مدارس أخرى لهذه الإرسالية فى غير بيروت ومما جاء فيه :-

ص ٨٠-٨١ أن محمدا ، مؤسس دين المسلمين ، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنين وبين النصارى . إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة (١) ، وقالوا للناس : أسلموا أو تموتوا بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم . ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ إذاً لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين(٢).

ويلحق بكتب التدريس - التى عنى بها المنصرون ، والتى تتضمن تهجماً على الإسلام - كتب الخلافات ، وهى كتب تتضمن ردودا على الإسلام واعتراضات على عقائده وتاريخه. ومن سياستهم أيضا بناء كنيسة إلى جانب كل مدرسة حيث يرى المنصرون أن يتظاهروا بدراسة مشاكل الشباب المختلفة وبذلك ينفذون إلى نفوس الشباب من أهون الطرق لاجتذابهم إلى أديانهم ومذاهبهم . وإذا لم يستطع المنصرون ذلك فما عليهم إلا أن

---

١) مصطفى الخالدى ، التبشير والإستعمار... ، ص ٧٤-٧٥ .

٢) قمنا بالرد على مثل هذه الافتراءات فى الفصل الأول من هذا البحث -الدوافع والأهداف الدينية» .

يوجهوا الشباب توجيها نصرانيا . فالمنصرون إذا عملوا فى التعليم فإنهم لا يقصدون بذلك وجه التعليم . إنهم يحاولون أن يستغلوا العلم فى سبيل التنصير(١).

تأثير جمعية يسوع التعليمية

كان الخضوع للانضباط والنظام يعتبر من أساسيات تعاليم جمعية يسوع التعليمية وذلك لتحقيق أفضل النتائج ، وبأسلوب مشجع يرمي إلى :

١) إعتماد الإتصال المباشر الشخصى والمتواصل بين التلميذ والمربى ، إذ لا تربية صحيحة دون هذا الإتصال حيث يعتقدون أنه لا ينبغى ترك الطفل لوحده بادىء الأمر مطلقاً ، لذا كان المراقب يلاحقه دائماً فى الكنيسة وفى الصف وفى المقصف والملعب والحى ، وبهذا يتعلق الطفل بأستاذه أو مربيه كتعلق الطفل بأمه فيسهل عليه بعد ذلك تصديق كل ما يقول واعتناق كل ما يعلمه إياه هذا المربى لأن الثقة خالصة بعد فترة من الزمن بين الطالب وبين مربيه .

٢) إعتماد مبدأ المنافسة بين الطلاب وقد سمح هذا النظام الذى اعتمده اليسوعيون بإيجاد قاسم مشترك بين جميع مؤسساتهم التعليمية فى مختلف البلدان التى وصلوا اليها ، خاصة فى اهتمامهم بالطفولة وتركيزهم عليها. فمثلا فى لبنان يقترح أحد المنصرين ، الحصول على الأطفال لتحقيق ما لم ينجز مع الكبار فيقول :- إن أهالى زحلة يرفضون رفضاً تاماً أن يكونوا من أتباعنا ، إننا لم نواجه مثل هذه الصعوبة فى أى مكان آخر ، لكننا عاجلاً أو آجلاً سنحصل على الأطفال الأكثر لينة من أهاليهم، هذه المخلوقات البريئة تؤثر فيها الحقيقة بسهولة أكثر.(٢) وهذا يعنى تلقينهم النصرانية ، بالترهيب والترغيب .. والأطفال يتأثرون بما يتلقونه سواء كان حقيقة أم غيرها لأن التعلم فى الصغر له أثر عظيم خصوصا إذا كان هناك ثقة كبيرة بينهم وبين معلميهم .

أما عن الطريقة التعليمية المتبعة فى مدارس اليسوعيين الابتدائية فهى لم تكن تختلف من حيث الشكل الخارجى عما كانت عليه الكتاتيب الأهلية فى ذلك الوقت : فيلقن الأطفال تعاليم التوراة والتعاليم الكنسية

---

١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار، ص ٧٥-٧٦.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية، ص ١٢٤.

والعقيدة النصرانية . وقد وصف أحد رجال الدين النصرانى هذه الطريقة فيقول : «تتطلب الطريقة التى نتبعها فى التعليم كثيرا من الصبر ، يفوق التركيز على الفكر ، ويعتمد على أن يردد التلاميذ فى وقت واحد الكلمة التى يلقيها عليهم الأستاذ .. ويتكرر ذلك مرارا مع كل كلمة جديدة إلى أن يتم حفظ الدرس . ويقطع الدرس من حين لآخر أستاذ شاب ، ليسأل التلاميذ عما حفظوه ، وإذا حصل وردد أحد التلاميذ درسه دون أخطاء ، يرسله المعلم إلى الرئيس الذي يستمع إليه مرة ثانية ، فإذا نجح فى أداء ما حفظه بشكل جيد يتم ترفيعه إلى وحدة أعلى من التى كان فيها (١). وهذه الطريقة تسمح لأطفال لا يعرفون مبادىء القراءة ، أن يتعرفوا على العقيدة النصرانية ، أى التركيز على الحفظ وترديد الألفاظ دون التركيز على الكتابة ، والمقصود منها التعرف على مبادىء العقيدة النصرانية ، وهى تشبه الكتاتيب الأهلية التى تتركز على تحفيظ كتاب الله القرآن الكريم وربما كانت هذه الطريقة تساعد على الحفظ ، دون أن يتعرف الأطفال على الكتابة ، فى كلتا الحالتين.

أما عن التعليم الثانوى الذى قام به المنصرون الكاثوليك فيعود إلى الحلقة الإكليركية فى غزير التى أعدها اليسوعيون لتكوين الإكليروس المحلى . وكانت الدروس في هذه المدارس تعطى باللغات اللاتينية والإيطالية والفرنسية والعربية والتركية . ولكن التركيز كان كبيرا على اللغة الفرنسية وهى لغة المرسلين اليسوعيين حتى أصبحت هذه اللغة فيما بعد، اللغة الرئيسية فى المدارس الثانوية وذلك على إثر زيارة أحد رجال الدين الفرنسيين ، وهو الأب ميلورد - مسؤول إقليم «ليون» الفرنسي - واطلع على أوضاع هذه المؤسسة الإكليركية وأمر أن تحل اللغة الفرنسية بدلا من الإيطالية فى التعليم، ولذلك أصبح للفرنسية أهمية كبيرة ، لكونها لغة التعامل اليومى والدراسى والعملى .

ولقد شكل الطلاب الموارنة الأغلبية فى هذه المدارس الكاثوليكية ، بينما انضم إلى المدارس الثانوية عدد لا بأس به من الطلاب العلمانيين ، ولقد تحول التعليم تدريجياً إلى تعليم يغلب عليه الطابع العلمانى وذلك أثر تضاعف عدد الطلاب فى هذه الدراسات . ولذلك أنشأ رجال الدين الكاثوليك - ويطلق عليهم الآباء - حلقة إكليركية فى عام ١٢٥٩هـ/ عام ١٨٤٣م لجميع الطوائف بغرض إعداد الإكليروس المحلى . وفى عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م أى بعد إعداد الحلقة الإكليركية بست سنوات بدأوا باستقبال الطلاب

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٥.

العلمانيين ، مع أنه فى البداية كان التعليم مقتصراً على تلاميذ الطوائف النصرانية، وكذلك خصص الآباء اليسوعيون قسماً خاصاً لدراسة اللغة الفرنسية ، وفى عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م أضيفت كلية أخرى لهذه الحلقة الدراسية ، وبعد أربع سنوات أصبح الطلاب العلمانيون أكثر عدداً من الطلاب الإكليركيين.

قام المنصرون الكاثوليك بتأسيس عددٍ من المدارس الثانوية (أنظر الجدول الخاص بالمدارس اليسوعية) توزعت على المدن الرئيسية في البلاد . وكانت جهود اليسوعيون تصطدم أحياناً بمعارضة من قبل الحكومة الفرنسية فى تمويل مشروعهم فى بلاد الشام ، ولذلك لجأ اليسوعيون إلى وسائلهم الخاصة لجمع المال ، وتعود الإعانات المالية التي كان يحصل عليها اليسوعيون فى سورية ولبنان إلى التبرعات السخية من الأغنياء والموسرين. حيث سافر أحد رجال الدين اليسوعيين - وهو الأب لينوتى - إلى أمريكا وجمع المال اللازم وذلك فى عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م وقاموا عن طريق هذا المال بتأسيس كلية غزير، الكلية التى أصبحت أساسا لتعليم ثانوى تطور طيلة النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى وحتى بداية الانتداب ، ولقد قسم إلى أربعة مراحل :

١- التعليم الثانوى الكلاسيكى .
٢- التعليم الثانوى الخاص .
٣- الدروس التحضيرية للكليات العليا .
٤- الصفوف التمهيدية (١).

وبعد حوادث عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م ، ازداد اهتمام فرنسا بمصير سوريا ولبنان ، حيث اتضح بازدياد اهتمامها بالآباء اليسوعيين ونشاطهم . فكتب قنصل فرنسا فى بيروت ، المسيو دى بنتيفوليو، إلى حكومته بوجوب المساواة بين الآباء اليسوعيون وبين الآباء العازاريين ومنح اليسوعيين الامتيازات نفسها التي تمتع بها العزاريون في دوائر وزارة الخارجية ، فأجيب طلبه ، ودخلت الرهبنة اليسوعية منذ تلك اللحظة فى دور جديد من العمل والنشاط التنصيرى في بلاد الشام ، وبدأوا فى الحصول على الأراضي لبناء المدارس والمياتم وغيرها. ومنذ أن تسلم الأب زافييه مقاليد الرئاسة نظم حياة الرهبان الداخلية ، فجعل من الدير المركزي في بيروت - فى خلال سنوات رئاسته الخمس - مثالا للنظام والانضباط مما

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٦-١٢٧.

جعله يضاهي أفضل أديرة الرهبنة فى فرنسا (١).

أما عن المناهج الدراسية فى المدارس الكاثوليكية الثانوية ، فقد تضمنت التعليم الثانوي الكلاسيكي ، ودراسة اللغة الفرنسية والعربية والانجليزية ، التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية والفلسفة . وكان الطلاب يتقدمون للحصول على الشهادات فى نهاية العام الدراسى لدورتى البكالوريا الفرنسية : فلسفة الآداب أو فلسفة ورياضيات. ولقد عمدت المفوضية الفرنسية بتعيين مسؤولى الامتحانات التي يشرف عليها جامعيون من فرنسا حيث يتطابق برنامج التعليم فيها مع برنامج التعليم الفرنسى. وتقترب مواد التعليم الخاص من مواد التعليم الكلاسيكى ، وكذلك تسمح هذه المدارس لطلابها بالتقدم إلى امتحانات البكالوريا اللبنانية بفرعيها الأدبى والعلمى ، ويسمح للذين أنهوا دراستهم بنجاح ولم يتقدموا للامتحانات اللبنانية من الحصول على إفادة من الجامعة اليسوعية . ويفرد التعليم الخاص ، مكاناً بارزاً للغات، خاصة الفرنسية والعربية ، ويشرف عليها أستاذ خاص، كما أن هناك أكاديميات لدراسة قواعد اللغة العربية والآدب تضم تلامذة الصفوف العليا الذين يرغبون فى تعميق دراستهم فى الفرنسية أو العربية أو اللاتينية، وكذلك تخصص دروس تحضيرية للذين لم يتمكنوا من متابعة دراستهم ، وتؤهلهم للتقدم من امتحانات القبول فى الكليات المختلفة مثل الطب والصيدلة ، والحقوق والهندسة الفرنسية وهذه الدراسة فيها سنة واحدة (٢).

مدرسة غزير الثانوية :-

تأسست هذه المدرسة فى جمادى الأولى من عام ١٢٨٢هـ/٩ تشرين الأول عام ١٨٦٥م وأسسها أساقفة الروم الكاثوليك فى مار يوحنا الشوير الذين اجتمعوا عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م وأعلنوا اتفاق الرأي على المناداة بريوريوس الأول بطريركا عليهم وهو دكتور فى الفلسفة، فنادى بإنشاء هذه المدرسة ، ليقوم بتعليم المعارف والآداب النصرانية بين أبناء طائفته ، فتم إنشاؤها بعد سنة من الاجتماع وذلك فى عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م (٣). ولا تختلف أهداف مدرسة غزير عن مثيلاتها من مؤسسات اليسوعيين على تنوعها فهى تحمل أهدافاً تعمل على التكامل فيما بينها.

---

١) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .
٣) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١٠١ .

وتتمثل أهداف مدرسة غزير فيما يلي :-

١- نشر الثقافة الفرنسية وسيطرة لغتها و أفكارها على جيل الناشئة.

٢- إعداد النخبة القائدة التى تمثل الهدف الرئيسى بينها لأن إعداد النخبة النصرانية يسمح لهذه الجماعة أن تتشرب الأفكار الاستعمارية النصرانية شيئا فشيئا فتعود هذه الجماعات اليسوعية إلى بلادها آمنة تاركة البلاد فى يد النخبة القائدة التى صنعتها بيدها .

٣- وقد أعد المرسلون الكاثوليك لهذه الساعة - وهى التي أطلقوا عليها اسم ساعة الحرية - أى ساعة التخلص من الحكم الإسلامى ، فأعد هؤلاء المرسلون طبقة وسطى قادرة على انتزاع القيادة من المسلمين ، ونخبة ذكية مثقفة ومؤهلة لقيادة الأمم النصرانية المحررة من الحكم الإسلامى ، إنه الواجب المقدس الذى يطالب به المرسلون ، وهو تطوير النخبة الأهلية وذلك بانتظار اليوم الذي سيتركون فيه سوريا ولبنان عائدين إلى بلادهم فتبقى النخبة فيما بعد لتسيطر على السلطة التنفيذية فى البلاد ، والتى تجعل البلاد كلها تابعة لفرنسا ، وهى فى بلادها دون أن تترك جيوشا جرارة فى سوريا ولبنان وبهذا تستعيض عن الحكم العسكرى بإعداد النخبة التابعة لها لتتولى القيادة لها وعنها . والنخبة هذه لا تبقى إلا إذا سيطرت وكانت حاكمة على المسلمين.

٤- هذه النخبة التى ألفت اللغة والفكرة الفرنسية واستلمت مقادير الحكم ، حين تركت سوريا ولبنان . فتعاقب على سدة الرئاسة من تتلمذ على يد المرسلين اليسوعين ، وهكذا كانت المدرسة اليسوعية تجعل إعدادها لتلك النخبة أساسا لعملها، وهى مدرسة تفرق ولا توحد، وتعمق الانقسام فى الانتماء التاريخى الراهن، ولا تترك للمستقبل أكثر من محاولات لإلحاق الطوائف الآخرى بتلك الجذور الموهومة ، أملا فى ابتلاع شخصيتها أو قضم انتمائها .

٥- ومن الجدير بالذكر أنه مكتوب على حجر الزاوية لهذه المدرسة «حب الوطن».

٦- التعاون مع الروم الكاثوليك فى تثقيف إكليروسهم ولذلك بدأوا بتشكيل ستة مدارس ابتدائية فى طول لبنان وعرضه للذكور والإناث تضاهي

المدارس الأميريكية وتحجز عنها أحداث الطوائف الغربية(١).

وقد تأسست مدرسة غزير فى لبنان فى دار الأمير حسن شهاب فى كسروان - جبل لبنان ، ثم نقلت فيما بعد إلى بيروت(٢)، ولقد منحت الحكومة الفرنسية المدرسة الإكليركية الثانوية فى غزير خمساً وعشرين منحة سنوية وزعت عشرين منها على مختلف الأبرشيات الكاثوليكية ، وكذلك اعتمدت على المعونات الشخصية للموسرين من الآباء اليسوعيين ، أمثال الأب لافيجرى الذى تبرع باسم مؤسسته برسوم مئتى تال بمعدل أربع مئة فرنك عن كل طالب وبخمسة عشر ألف فرنك لإنشاء جناح جديد. وكذلك كانت تعتمد على الرسوم المدرسية التى كان يدفعها أولياء أمور الطلبة الملتحقين بمدرسة غزير الثانوية. وتقسم المناهج فى مدرسة غزير إلى قسمين : قسم صباحي وتدرس فيه الفرنسية واللاتينية واليونانية فىالصباح وتترك فترة ما بعد الظهر للعربية وآدابها . ويحق للمبتدئ أن يصرف سنة أو سنتين لإتقان اللغة الفرنسية ثم ينصرف إلى تعلم العلوم الثانوية سنتين آخرين وأربعا بعدها لدراسة اللاهوت والفلسفة والقانون وتاريخ الكنيسة ولقد تسلم رئاسة الرهبنة العام في سورية ولبنان الأب زافييه غوترله P.Xavier Gautrelet (٣) . فأرسل سلفه الأب كتونى، مديرا لمدرسة غزير فى جمادى الآخرة عام ١٢٨١هـ/ تشرين أول عام ١٨٦٤م وقام الأب كتونى - بما أوتى من خبرة - ليصلح حال مدرسة غزير ويصلح بين الرهبنة والأهالى ، فسمح لهم باستعمال الميدان عند الحاجة واعترفوا هم بملكية الرهبنة للميدان ، وأصلحوا ما كانوا قد خربوا منه. ولقد عانت مدرسة غزير من منازعات كدرت الصفو

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٣٤-١٣٦.
٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ، ص ٨٠ .
٣) كان الأب زافييه غوترله رئيس الرهبنه الجديد لطيفاً أنيساً فى علاقاته الخارجية (دبلوماسيا) ولكنه كان عبوسا صارما فى إدارة الرهبنة الداخلية . ومنذ تسلم مقاليد الرئاسة أخذ ينظم حياة الرهبان الداخلية فجعل الدير المركزى فى بيروت فى خلال سنوات رئاستة الخمس مثالا للنظام والانضباط يضاهى أفضل أديرة الرهبنه فى فرنسا. ومنذ وصوله إلى بيروت فى ذى القعدة ١٢٨٠هـ/ مايو (آيار) ١٨٦٣م وقبل أن يتسلم مقاليد الرئاسة التقت الى كلية غزير معلقا على عملها أهمية كبرى لما توخاه من نجاح الكثلكة فى سورية ولبنان بتهذيب الإكليروس ، وتثقيف الطبقة صاحبة النفوذ فى المجتمع الكاثوليكى ، وهكذا فإنه زاد عدد الرهبان فى غزير وطبق فى كليتها مناهج الدروس نفسها التى كانت سائدة فى كليات فرنسا، أنظر أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية ، ص٢٥٧.

السائد طويلا فيها ، فالأب كوش كان قد ابتاع الميدان من الأمراء الشهابيين ، وقام خلفه الأب «تيان» وأضاف معظمه إلى المدرسة ليجعل منه ملعبا للطلبة ، واستقدم الفعلة والبنائين لبناء حائط فيه يضم معظمه إلى ممتلكات الآباء المجاورة . وما إن علم أهل غزير بذلك حتى هجموا على البنائين والفعلة يريدون منعهم عن العمل فلم يفلحوا . وكان الباعث لهذا النزاع ، رغبة الغزيرين فى اقتسام المساعدة التى كانت ترسلها الأوساط الأوروبية الخيرية إلى المدرسة . فالغزيريون طالبوا بقبول جميع الطلبة الغزيريين مجانا وبحصر الاستخدام فى الدير والمدرسة بأبناء غزير. ولقد تألم الأب «تيان» أن يرى فى شخصه سببا للخلاف والشقاق . فعاد إلى بيروت وانحطت قواه فاستدعى إلى فرنسا ، وتـوفى فيها عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م . (١). ومن ثم عملت الحكومة الفرنسية على تكثيف العمل فى مدرستهم ولكن ليس فى مدينة غزير بسبب المشاكل التي سببها أهلها للمرسلين الأجانب ، ولذلك عملوا على نقل الجهاز التعليمى من مدينة غزير إلى مبنى جديد فى مدينة بيروت ، والتي كانت النواة الأولى لجامعة القديس يوسف فى بيروت .

جامعة القديس يوسف

تأسست جامعة القديس يوسف فى عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م (٢)، بعد أن وافقت الحكومة الفرنسية على المشروع الذى تقدم به اليسوعيون لبناء الجامعة وكان الهدف من تأسيسها:-

١- مواجهة النفوذ البروتستانتى المنافس للنفوذ اليسوعى الكاثوليكى فى بلاد الشام .

٢- كانت الغاية الأولى للمؤسسين أن يجعلوا هذه الجامعة فكرة سياسية ومؤسسة دعائية للكاثوليك فى البلاد الشامية .

٣- الرغبة الفرنسية فى بسط النفوذ وتطويع العقول ، لأن الشباب ذوى الثقافة الثانوية الفرنسية سيتابعون دراستهم لمدة ست سنوات ، وهى دراسة تقنية وكلمات عليهم معرفتها معرفة عميقة ، حتى أصبح الشباب يتكلمون الفرنسية فيما بينهم واللغة تعتبر معبرا للأفكار .

٤- تلبية لرغبة العائلات التى تزداد يوما بعد يوم فى تربية أولادها تربية

---

١) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

٢) أسد رستم : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

توازى تلك التى يتلقاها الأولاد فى أوروبا .

٥- جذب جميع الكاثوليك إليها ، حتى المنشقين منهم ، وكذلك المسلمين والدفاع عن النفوذ الوطنى (١).

لقد تأسست الجامعة فى بيروت عاصمة لبنان ، وأصبح التنظيم المادى للكلية يتم فى بيروت ، بينما تصاغ البرامج والقوانين فى فرنسا ، ولم تضف الصفة الرسمية على الكلية إلا فى عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م . ومن الأسباب الأولية لبناء الجامعة كون كلية القديس يوسف الثانوية السابقة غير مؤهله لمواجهة المؤسسات التعليمية للبعثة البروتستاتية الأمريكية بحيث لا يمكن مواجهة هذا العمل من خلال الطب والفنون والدراسات العلمية للشبان الذين يتخرجون منها . وكانت تعتمد فى مواردها المالية على الهبات والإعانات من الموسرين ، فعندما شرعوا في بناء الجامعة ، قاموا بجمع المال اللازم فرأى الأب مونو أن يطلب المال من نفس البلاد التى مولت المرسلين الإنجيليين فى لبنان وأن يذهب بنفسه إليها وإن جهل لغتها ، وهكذا أسند رئاسة الرهبنة فى أثناء غيابه إلى الأب «كتونى» ويقوم هو إلى لندن حيث يشرك معه فى العمل الأب «فرنسوا زافييه بايو» الذى تولى فيما بعد هندسة البناء الجديد ، ويقوم معه إلى بلاد الإنجليز لقضاء شهرين فيها للتعبير عن أهمية المشروع فى بيروت ووجوب تنفيذه. وفى ربيع ثانى عام ١٢٨٨هـ/ يونيو (حزيران) ١٨٧١م وصل الأبوان إلى نيويورك وقضيا فى الولايات المتحدة وفى كندا سنتين كاملتين يجدان فى جمع المال. وعلى الرغم مما لقياه من المصاعب، فقد عادا إلى بيروت فى رمضان من عام ١٢٩١هـ/ اكتوبر (تشرين الأول) ١٨٧٤م مزودين بالمال المطلوب(٢). وكذلك اعتمدت الجامعة فى مواردها المالية على اعتمادات وزارة الخارجية الفرنسية والتى كانت تدفع مرتبات المدرسين . إلى جانب ما كان يدفعه أولياء أمور الطلبة من مصاريف .

أما البداية الحقيقية والنواة الأولى لجامعة القديس يوسف ، فكان عن طريق جهود الآباء اليسوعيين عندما أسسوا مدرسة فى بيروت منذ عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م والتي نقلت اليها مدرسة غزير الثانوية وقد تحولت هذه المدرسة اليسوعية منذ عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م إلى كلية للتعليم العالى ، تنافس الكلية السورية الإنجيلية ، فكانت هذه نواة «جامعة القديس يوسف» وذلك

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية، ص ١٥٠ - ١٥١ .
٢) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ٢٥٩.

بفضل جهود مؤسسيها الرهبان العلماء ونشاطهم مع المساعدة المالية من حكومة فرنسا، وكانت تقل وتزداد حسب سياسة الحزب الذى يتولى الحكم فيها وقد بدأ البناء فى الكلية عند حضور الأب «مونو» إلى بيروت فى شعبان من عام ١٢٨٦هـ/ الحادى والعشرين من نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٨٦٩م . فوجد الرهبنة اليسوعية فى لبنان وسورية مؤلفة من ثمانية وثلاثين أباً (رجال الدين النصارى) ومدرسَين للفلسفة الكلامية وأربعة وعشرين أخاً معاوناً. وكان قد تم تفويض الأب مونو لنقل كلية غزير إلى بيروت ، فاختار البقعة الملائمة وهى عبارة عن سبعة عشر ألف متر مربع فى قلب البلدة ، تطل على البحر(١).

وحيث أن إنشاء الكنائس والأديرة والمدارس كان يتطلب استصدار فرمان سلطانى ، فرأى الآباء أن يستصدروا ، فرمانهم بواسطة سفارة فرنسا ، وتقدمت السفارة بالطلب اللازم، وعندما تأخر صدور الموافقة عليه ، آثر الأب «مونو» الشروع فى العمل وعدم الانتظار ، وواصل العمل ليلا ونهارا حتى أكمل البناء بواجهته الشمالية الطويلة وأجنحته المتفرعة عنها وبطبقاته الثلاث فى سنتين فقط ، وجاءت الكنيسة جميلة متقنة ، تزينها حجارة دير القلعة بطراز بيزنطى عربى ، ولقد أمها عدد كبير من كبار الرجال بينهم متصرف لبنان ووالى سورية فى جما ثانى عام ١٢٩٢هـ/ يوليو (تموز) من عام ١٨٧٥م وفى حفلة توزيع الجوائز فى غزير صرف الطلاب ليعودوا فى تشرين إلى الدير الجديد فى بيروت (٢).

وتضم مبانى الجامعة : مدرسة إكليركية شرقية كبرى وأخرى صغرى ، وكلية طب وصيدلة ، بحيث ترتبط بها مدرسة لطب الأسنان ودراسة للحقوق ، ومدرسة هندسة ومرصد فى كسارا ، وحلقة تحضيرية للمدارس العليا ، ومدرسة للتعليم الثانوى ، ومدارس ابتدائية وأخيرا المطبعة الكاثوليكية والمكتبة الشرقية .

بالطبع قدم المرصد خدماته الجغرافية للجيش الفرنسى ، وتولى بالتنسيق مع الطيران والوحدة البحرية ، مسؤولية الإشراف على الأجهزة الجوية فى سوريا.

وكانت الجامعة تقبل نوعيات مختلفة من الطلاب ، من طوائف الكاثوليك

---

١) اسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ٢٥٩ .

٢) أسد رستم : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

والارثوذكس وغيرهم من أبناء الكنائس الشرقية المستقلة ، وكذلك قبلت بعض المسلمين والدروز واليهود، ولكن إدارة الجامعة أبقت هؤلاء أقلية ، وكذلك أقبل عليها الطلاب من متصرفية لبنان وولايتى سوريا وحلب وكان عددهم عند بداية افتتاحها أحد عشر طالبا (١). وعرف من مدرسي جامعة القديس يوسف مجموعة من رجال الدين النصارى والذين عرفوا (بالآباء) مثل الأب غوتر، والأب امبروسيوس مونو، والأب مونو، والسيد درويش نيان ، والأب رمى نورمان خلف والأب جوليان. وقد عرف منهم أيضاً الأب كانتى السويسرى رئيسا لها والأب لويس شيخو أستاذا. وكان المدرسون يتقاضون مرتباتهم من اعتمادات وزارة الخارجية الفرنسية .

ولقد تولى اليسوعيون إدارة الكلية ، وتولت الحكومة الفرنسية الإشراف المالى عليها ، وإرسال الهيئة التعليمية من فرنسا . فكانت تزور الكلية فى كل سنة نخبة فرنسية للتدقيق فى الامتحانات والدبلومات .

وتستغرق ساعات اليوم الدراسى حوالى سبع ساعات يوميا، تبدأ من الصباح الباكر وحتى بعد الظهر ، وفى نهاية العام الدراسى ، يخضع الطالب لامتحان يعادل امتحان البكالوريا العملية ، وينال بموجبه الطالب شهادة تسمح له بدخول كلية الطب ، كما تيسر له التوجه إلى دراسات أخرى ، لأنها أفضل دليل على قدراته ومستوى تعليمه وتشمل الجامعة التعليم العالى التام لمواد الطب ، والفلسفة واللاهوت وتمنح الجامعة فى نهاية كل اختصاص شهادة (دكتور) لمن يجتاز بتفوق الامتحانات المطلوبة . ومدة الدراسة فى الجامعة أربع سنوات . وتستقبل الجامعة فيها طلابا داخليين ونصف داخليين وخارجيين. وكان من ضمن المواد التعليمية التى كانت تدرس فى جامعة القديس يوسف اللغات المختلفة مثل اللغة الفرنسية واليونانية واللاتينية والإيطالية والعربية والفلسفة واللاهوت والحق القانونى. واشتملت الدراسة فى الجامعة على التعليم الثانوى والابتدائى ، ويوجد فيها قسمان: قسم علمى وقسم أدبى .

- القسم الأدبى : يدرس فيه اللغات المختلفة والتاريخ والجغرافيا.
- القسم العلمى : يتضمن دراسة الحساب والجبر والهندسة والميكانيك وعلم الفلك والكيمياء والتاريخ الطبيعى بفروعه الأساسيه ومنها علم

---

١) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان فى عهد آل عثمان ، (الطبعة الثانية بيروت ، دار النهار للنشر : عام ١٩٨٠م) ص ٣٣ .

الحيوان والجيولوجيا وعلم التشريح والفيزيولوجيا .

وجامعة القديس يوسف باقية حتى الآن ، وقد تخرج منها عدد كبير من الطلاب العرب والمسلمين من شتى الأقطار . وقد تحولت فى عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م إلى جامعة بيروت الكاثوليكية اليسوعيةUniversitas Catholica Berytensis Societatisالتى أصبح من حقها منح الرتب العلمية (١)، حيث أصبح بمقدور الطلبة الإكليريكيين فيها أن ينالوا رتبة البكالوريا والمأذونية والدكتوراه فى الفلسفة واللاهوت والحق القانونى (٢). وأصبح بمقدور الطلبة العلمانيين أن يتقدموا من امتحانين وأن ينالوا بعد اجتيازهما شهادة البكـالوريا فى الآداب .

كلية الطب التابعة لجامعة القديس يوسف :-

تطورت جامعة القديس يوسف وأضيف اليها العديد من المبانى والكليات ، ومن أهم تلك الكليات هى كلية الطب التابعة لها. وبدأت كلية الطب بجهود الآباء اليسوعيين أيضا والذين كانوا هدفا لتنكيل الحكومة الفرنسية فى داخل فرنسا ، بينما كانوا فى سورية موضـع عنايتها (٣).

لقد بذل اليسوعيون فى بناء كلية الطب فى جامعة القديس يوسف فى لبنان ، مساعيهم عن طريق تدخل الأب ريمى نورمان (Remi Normano) رئيس اليسوعيين فى سورية ، فى مفاوضات مع جول فيرى (Jules) وغامبيتا (Gambetta) بغية الحصول فى الإعتماد الأول لإنشاء كلية الطب فى سورية وفى العام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م حيث أعلن جول فيرى رسميا بكتاب منه عن تأسيس مدرسة الطب فى بيروت وعن مساعدتها السنوية وفى محرم / نوفمبر (تشرين الثانى) من السنة نفسها افتتحت المدرسة (٤). بحيث أن المواد الدراسية فى الصيدلة والأمراض والعلاج ، توجههم نحو الطرائق

---

١) طلال عتريسى :البعثات اليسوعية، ص ١٥٠-١٥٧ عن وثائق عادل اسماعيل مجلد ٥، (١٨٨٣-١٨٩٠) رسالة رقم ١١. وثيقة رقم ١٢.
٢) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ٢٦١ .
٣) نور الدين حاطوم : محاضرات فى نشاط البعثات الدينية الأجنبية للعالم العربى ، ص ١١ - ١٢ ؛ ومصطفى الخالدى وعمر فروخ ، التبشير والإستعمار فى البلاد العربية ، ص ١٢١ .
٤) نور الدين حاطوم : محاضرات في نشاط البعثات الدينية الأجنبية فى العالم العربى ، ص ١٢.

والأدوية والكتب والوسائل الفرنسية، حتى يذهب معظمهم الى فرنسا للتخصص بعد ذلك .

ويعبر السفير الفرنسى فى القسطنطينية عن ذلك بشكل أكثر وضوحا، فيشيد بغامبيتا (Gambetta) وبالكاردينال لافيجري (Lavigerie) صاحب فكرة الكلية اللذين أرادا إيجاد مدرسة فرنسية فى سوريا يتوجه اليها الشباب من أجل العلوم الطبية والتعمق فى دراسة لغتنا (الفرنسية) كى ينتشروا فيما بعد فى أنحاء الشرق كافة كأصدقاء لنفوذنا وحضارتنا (١). عندما لمس ممثلو فرنسا فى بيروت عن طريق رجالها الرسميين وغير الرسميين نجاح المؤسسة الامريكية، وإقبال الشباب الكاثوليكى عليها وبينهم المارونى والكاثوليكى واللاتينى ، عظم الأمر عليهم وأفزعهم وأرادوا ابعاد أصدقاء فرنسا عنها ، فلم يروا أليق وأمهر من الآباء اليسوعيين فى ذلك .

وهكذا نرى المسيو «باتريمونيو» قنصل فرنسا فى بيروت يطالب حكومته فى عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م بضرورة تقديم المساعدات اللازمة للآباء اليسوعيين لإنشاء معهد طبى فرنسى كاثوليكى يناوىء المعهد الطبى الأمريكى الإنجليزى البروتستانتى . فجاء المسيو دى تورسى (DeTorcy) الملحق العسكرى فى سفارة فرنسا فى اسطنبول إلى بيروت فى مهمة خاصة يلفت نظر القنصل إلى هذا الأمر وأقنعه بما ذهب إليه وكلم المسيو (دى تورسى) الزعيم الفرنسى غامبيتا (Gambetta) فى الأمر فوافق على المشروع ورأى فيه فائدة لفرنسا وتغذية لنفوذها فى الشرق .

وتشجع الأب نورمان وعرض ما عنده على الحبر الرومانى «لاوون» الثالث عشر ووضح ما للمشروع من فائدة تقوى الكثلكة فى نضالها ضد البروتستانتية فى الشرق ، وبهذا وافق على إنشاء المدرسة الطبية فى الجامعة اليسوعية الكاثوليكية فى بيروت . وهكذا عندما وصل الأب نورمان إلى (باريس) وجد زعماء فرنسا مستعدين لتقبل إقتراحاته ولا سيما وزير الخارجية برتلامى سان هيلار (Barthelemy Saint Hilaire) فوافق مجلس النواب الفرنسى على فتح اعتماد إضافى فى موازنة وزارة الخارجية لعام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م بمبلغ مئة وخمسين ألف فرنك فرنسى لانشاء مدرسة فرنسية للطب فى بيروت فى محرم عام ١٢٩٩هـ/ الخامس من نوفمبر (تشرين الثانى) لعام ١٨٨١م وأضاف إلى الإعتماد المذكور خمسة وعشرين ألف فرنك فرنسى

---

١) طلال عتريسى : البعثات اليسوعية ، ص ١٣٠ - ص ١٣١ .

لإنشاء مختبر للفيزياء فى بيروت (١).

وكان تأسيس كلية الطب فى مدينة بيروت فى تشرين الثانى من عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م وهى ملحقة بجامعة القديس يوسف الكاثوليكية اليسوعية وألحق بها بعد سنوات قليلة بكلية للصيدلة وهكذا عدت مع كلية الطب أرضاً رائعة للتوسع الفرنسى ، والذى كان لايقف عند حد ، فقد استمر الكاثوليك فى توسيع الجامعة حيث أضافوا المبانى إليها فى فترات متلاحقة .

وكانت كلية الطب ، تعتمد في مواردها المالية - كفرع من جامعة القديس يوسف - على الإعانات المالية واعتمادات وزارة الخارجية الفرنسية والتبرعات التى يجمعونها من الكاثوليك فى الخارج ، ولقد تولى اليسوعيون إدارة هذه الكلية ، وتولت الحكومة الفرنسية الإشراف المالى عليها وإرسال الهيئة التعليمية من فرنسا ، فكانت تزور الكلية كل سنة نخبة فرنسية للتدقيق فى الامتحانات والدبلومات شأن المؤسسات الفرنسية فى بلاد الشام . وكانت شروط قبول الطلاب فى كلية الطب تعتبر قاسية بحيث أدت إلى تقليص عدد الطلاب فيها (٢)، ولذلك كتب السفير الفرنسى إلى مسؤوليه يحتج على هذه الشروط قائلا : «إن الهدف السياسى الذى وضعناه لأنفسنا يتراجع اليوم أمام ما يزعمونه من فوائد علمية» .

أما شروط القبول فكانت تتلخص فيما يلى :-

١- يقبل فى كلية الطب الشرقيون والأوربيون المولودون فى الشرق الذين استقرت عائلاتهم هناك نهائياً ويعهد أمر قبول الطلبة إلى نخبة خماسية يعينها قنصل فرنسا فى بيروت .
٢- على من يرغب الإلتحاق بكلية الطب أن يكون حائزاً على البكالوريا الفرنسية .
٣- من لم تتوفر فيه هذه الشروط نخضع لامتحان أمام لجنة يعينها ويرأسها مندوب من المفوضية الفرنسية العليا . ويكون تحصيل اللاتينية واليونانية اختيارياً .
٤- جميع التلاميذ خارجيون .
٥- التدريس باللغة الفرنسية .

---

١) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١٦١ - ١٦٢.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٣١-١٣٢.

٦- على من يرغب الإلتحاق بكلية الطب فى بيروت أن يعرف الفرنسية بشكل مقبـــول.
٧- تتأسس لجنة من خمسة أعضاء لهذا الغرض يعينها ويرأسها قنصل فرنسا العام فى بيروت.
٨- يخضع الطلاب لامتحانات خطية وشفهية ، ويتضمن الإمتحان الخطى مسابقة فى الفرنسية وآخرى فى أحد اللغات الحية التى يختارها الطالب .

أما الإمتحان الشفهى فهو عبارة عن عدة أسئلة حول الأشياء التالية :-

١- مفاهيم الأدب الفرنسى .
٢- تاريخ أوروبا من القرن السابع عشر حتى يومنا هذا ، وحول الجغرافيا الأولية لأوروبا وآسيا.
٣-مبادىء الحساب والجبر والهندسة .
٤- مبادىء الكيمياء والفيزياء والتاريخ الطبيعى .
٥- مبادىء المنطق.
٦- على المرشحين أن يترجموا مقطعاً لأحد المؤلفين بإحدى اللغات الحية التى يختارونها.

تستمر الدراسة لنيل دبلوم الطب ثلاث سنوات وتتألف لجنة الإمتحانات من ثلاثة أعضاء يعينهم القنصل العام من الهيئة التعليمية ، ويمكن لعميد الكلية أن يكون عضواً فى اللجنة وإذا صادف وجود أحد أساتذة المعاهد أو الكليات الفرنسية فى بيروت ، يمكن أن يترأس ، الإمتحانات بنفسه ، بينما تتألف لجنة إمتحانات نهاية الدراسة من أربعة أعضاء يختارهم القنصل العام ، بينهم إثنان على الأقل من أفراد الهيئة التعليمية فى الكلية ، وأستاذ ترسله وزارة التعليم العام ، يرأس اللجنة المذكورة ، ويمكن لمدير الكلية أن يشارك فى الإشراف على الإمتحانات . وتجرى الإمتحانات فى شهر يونيو (حزيران) ثم تمنح وزارة التعليم العام الشهادات ، بناء على التقرير الذى يقدمه رئيس اللجنة . ويشمل التعليم فيها على التدريب العام لمواد الطب والفلسفة واللاهوت ، وتمنح الجامعة فى نهاية كل اختصاص شهادة دكتور لمن يجتازون بتفوق الإمتحانات المطلوبة .

ومدة الدراسة ٣ سنوات لنيل دبلوم الطب ونظام الجامعة تستقبل :

طلاباً داخليين ونصف داخليين وخارجيين(١). ويشرف على الإمتحانات النهائية الأساتذة ، أنفسهم برئاسة أستاذ توفده لهذه الغاية وزارة التربية وتوقع الكلية شهادات الطب .

أما عن الأساتذة والأطباء فى كلية الطب . فهناك ثلاثة آباء للإدارة ولتعليم العلوم الموصلة للكثلكة ، وطبيبان علمانيان فرنسيان ، وكان من أوائل الأطباء فى كلية الطب د. روفييه الذي قام بتدريس التشريح ، كما قام د. سنس بتدريس الجراحة الصغرى ، وبعد ذلك حضر «نكر» معلم التشريح و«دبران» معلم الأمراض الباطنية . ورئيس المدرسة : الأب لوفافز والشانسليه والأب مرسلييه (٢). ويفرض على الأطباء المتخرجين فحصاً يسمى «كولوليوم» يجرى فى اسطنبول يمنح الناجحين حق ممارسة المهنة فى الدولة العثمانية ويمنح البكالوريوس فى الطب أو الصيدلة أو الهندسة ، أى الكليات التابعة للجامعة . ومن النتائج الهامة التي حققتها هذه الكليات:

١- ولقد حققت هذه الكليات ما تصبو إليه سن أهداف إلى حد ما ، حيث أضعفت المدرسة البروتسانتية المنافسة لها .
٢- قاومت النفوذ الذى حاولت المدرسة البروتستانتية نشر من خلال الهرطقة أو اللامبالاه الدينية النصرانية .
٣- قدمت للبلاد الأطباء الأهليين المثقفين وهم من النصارى ، والذين يعرفون كيف يستفيدون من ثقة زبائنهم ليوجهوهم نحو أهدافهم التنصيرية ، وبهذا قدموا خدمات جليلة للمرسلين الكاثوليك .
٤- أصبحت بلاد الشام أرضاً رائعة للتوسع الفرنسى ، وتخرج منها حوالى ٥٣٥ طبيباً يحمل الدبلوم الفرنسى ويقومون بالعمل التنصيرى وينشرون النفوذ الفرنسى فى سوريا والدولة العثمانية كلها(٣).

مما سبق تبين لنا أن كلية الطب اليسوعية ، قد أساءت إلى اللغة العربية وهى اللغة الأم لبلاد الشام ، واستبدلتها كلياً باللغة الفرنسية داخل الجامعة لتحقق بذلك سياسة الإلحاق والاستعمار والتغريب للبلاد، ليلحق كل متعلم بثقافة فرنسا وماديتها، وقيمها التطلعية وتفكيرها الإستعمارى ، الذى يسخر من كل ما هو عربى ومسلم ويعمل على تدميره

١) طلال عتريسي البعثات اليسوعية ، ص ١٥٥.
٢) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية ، ص ٢٦٢ .
٣) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٣١ - ١٣٢.

فيكون من يسير على نهج هؤلاء ، يدهم التى يبطشون بها فى بلاد المسلمين .

وهذا نص الوثيقة رقم ٢١٧ ، تبين الفكرة من وراء تأسيس كلية الطب: سعادة الدكتور ديلكس (Delcasse) وزير الشؤون الخارجية فى باريس . حول كلية الطب فى بيروت «... تعود فكرة تأسيس هذه الكلية إلى «غاميتا» والكردينال «لافيجرى» والهدف من الفكرة إيجاد كلية فرنسية كبيرة فى سوريا يأتى إليها شبان هذا البلد ليتعلموا فيها العلوم الطبية ، ويتمكنوا من دراسة لغتنا ، كى ينتشروا فى المشرق ، فيما بعد ، على غرار الكثير من أصدقاء نفوذنا وحضارتنا. إن الغاية الأولى للمؤسسين أن يجعلوا من هذه الكلية فكرة سياسية ومؤسسات دعائية ، إن الأساتذة الكرام الذين أرسلتهم وزارة التعليم الفرنسية ليشاركوا فى الإمتحانات السنوية فى الكلية يتصرفون وكأنهم فى محكمة دولية ، وبأعتقادهم أن هذه الكلية تمثل التعليم الفرنسى فى المشرق لذا يجب أن يتخرج منها علماء قبل أى شىء آخر . إن الهدف السياسى الذى وضعناه لأنفسنا قد أخضع اليوم للفوائد العلمية المزعومة فى هذه المؤسسة» «التوقيع غير واضح» (١).

نص وثيقة أخرى حول كلية الطب فى بيروت : «في ١ شوال ١٢٩٨هـ/١٢ آب (أغسطس)١٨٨٠م كتب المسؤول العام لبعثات جمعية يسوع فى سوريا ، تقريرا حول إنشاء مدرسة طب كاثوليكية فى بيروت . يشير فى هذا التقرير إلى فائدة وضرورة الدفاع عن نفوذنا الوطنى ، من خلال هذه المدرسة ، موجه الدعاية النشطة للبعثات الإنكليزية البروتستانتية ، خاصة عبر الكلية السورية الإنجيلية التى تضم مدرسة طب فيها الكثير من الطلاب وللأطباء فى سوريا قيمة ونفوذ بارزان ، اذا وانقاذا لمصالحنا ، يجب أن نضم إلى جانبنا ، ونربى وفقا لأفكارنا عملاء لهم مثل تلك القيمة .

... لقد تم منح المؤسسات الاستشفائية ، وفقاً للغرض الخارق للعادة الذى وافق علية البرلمان ، مبلغ ١٥٠٠٠ فرنك للمساهمة فى بناء مدرسة عليا للطب إلى جانب كلية التعليم الثانوى الموجودة سابقاً. وقد أخبر سفير الجمهورية لدى الكرسى البابوى ، عن إجراء تقدم به الأب نورمان ، ووافق عليه البابا نفسه. وقد أبدى اليسوعيون رغبة فى اختيار المعلمين بحرية مطلقة دون الخضوع لرقابتنا فيما يتعلق بامتحان القدرات العلمية والعملية لأساتذة المستقبل. وبعد التفاوض .. تقرر أن يترك لليسوعيين اختيار

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٥٠.

الأساتذة ، على ألا يتم أى إلتزام نهائى معهم دون موافقة الحكومة .

وبالرغم من الإتفاق التام حاول اليسوعيون فى مناسبات عدة ، أن يتخلوا عن التزاماتهم . ويمكن أن نأمل من الأطباء الشباب ، خريجى بيروت ، ان يمارسوا أكثر فأكثر ودون صعوبات ، مهنتهم فى الدولة العثمانية ، وأن يوسعوا النفوذ الفرنسى ، على أن نهيئ من أمثالهم أعداداً وافرة من الطلاب لكلية الطب فى جامعة القديس يوسف»(١).

المطبعة الكاثوليكية :

أدى التوسع فى مؤسسات اليسوعيين التعليمية ، من المدارس الإبتدائية والتعليم الثانوى والجامعى إلى حاجة ماسة لوجود المطبعة ، حيث تقوم بطبع كتبهم ونشراتهم الدينية ، العلمية والكلاسيكية والأسبوعية ، ومن أهمها : كتب الوعظ الدينى ، والصلوات ، والتعليم النصرانى ، وتاريخ القديسين وطرق الصليب(٢) .

ولقد بدأ اليسوعيون نشاطهم فى ميدان الطباعة ، بعد غيرهم نسبياً حيث أنشأوا أول مطبعة كاثوليكية لهم فى عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، وكان نتاجها ضئيلا جداً . ولم يبدأوا الطباعة الحديثة إلا فى عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م حيث تطورت تدريجيا خلال السنوات التالية ونهضت هذه المطبعة عام ١٢٩٢هـ/ عام ١٨٧٥م(٣). وحين نقلوا مركز تعليمهم العالى إلى بيروت ، وأصبحت لديهم أجهزة طباعة كاملة العدة ، واحتلت مكان الصدارة فى هذا الميدان بفضل ما أخرجته من كتب التراث القديم ، وما طبعته من سائر كتب التعليم وبفضل مساعيها الممتازة ، والعناية التى تبذلها فى تحرير مطبوعاتها وتصحيحها(٤).

ولقد أسست هذه المطبعة بفضل المساعد إلياس وهو مسلم اعتنق الكاثوليكية وجدد فن الطباعة العربية وحل معضلة التشكيل . ومن مطبوعاتها العلمية والكلاسيكية كانت كتب القراءة ، والقواعد والقواميس

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٥١-١٥٢.
٢) طلال عتريسي : المرجع السابق ، ص ١٣٣.
٣) نور الدين حاطوم : محاضرات في نشاط البعثات الدينية ، ص ١٤.
٤) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٠٨.

، والجغرافيا والتاريخ ، وبين التاريخ النصرانى ، وتاريخ لبنان والموارنة ، ومنها على سبيل المثال : مختصر التاريخ المقدس ، تاريخ الكنيسة ، تاريخ آخر أباطرة الرومان، تاريخ لبنان تاريخ أساقفة الطائفة المارونية ، تاريخ بيروت ، تاريخ بعلبك ، تاريخ خان الفرنسيين فى صيدا (١)

ومن أشهر منشورات المطبعة الكاثوليكية الأسبوعية ، مجلتي البشير والمشرق. فالبشير كانت تصدر يوم الخميس من كل أسبوع ويشرف عليها مرسلون يتمتعون بالحماية الفرنسية ، وكانت قيمة الاشتراك فيها فى بيروت عن سنة واحدة ٥٠ قرشاً ، وعن ستة أشهر ٢٥ قرشاً . وفى الخارج عن سنة واحدة ٦٥ قرشاً وعن ستة أشهر ٣٥ قرشاً . والدفع سلفاً وكان شعارها: تعرفون الحق ، والحق يحرركم(٢). وهذه المؤلفات التى تطبع للأوروبيين عامة والمستشرقين منهم خاصة لتدريبهم على تعلمهم اللغة العربية . وبهذه الصورة أمكن نشر كتب للتعليم الإبتدائى والثانوى والعالى ودلائل ومعاجم فرنسية وعربية وكتب فلسفية ، فقه اللغة وآثار شعرية وأدبية ، وتاريخية وغيرها. وهى تؤلف مكتبة قائمة بذاتها. وبالإضافة إلى هذه الكتب ، هناك مؤلفات المنصرين ومساعديهم وهى مؤلفة باللغة الفرنسية ، وتضم تلك المؤلفات التى تيسر لمؤلفها بالعربية والفرنسية الأطروحات وغيرها من كتب الدراسة والبحث. ويعود نجاح المطبعة الكاثوليكية إلى مساعديها المعروفين فى الأوساط الإستشراقية وهم أساتذة منصرون فى الكلية أو من تلاميذها القدماء(٣)، ونخص بالذكر : الأب روديه (Rodet)، والأب بيلو(Belot)، والأب دونا (Dona)، الأب فرنيه (Vernier) ، الأب جيسموندى (Gismondi)، الأب لامنس (Lammens). ومن تلاميذهم ، لويس شيخو ، وحوا ، ومعلوف ، ورباط ، وصالحانى .

نشاط البعثات الفرنسية «ونشاط العازاريين الكاثوليك»

نشطت فى بلاد الشام - فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى - إلى جانب البعثات الكاثوليكية اليسوعية بعثات أخرى كاثوليكية أمثال العازاريين الذين أعادوا افتتاح كليتهم فى عين طورة ، وكذلك

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ص ١٣٣.
٢) مجلة البشير: (ميكروفيلم) رقم ١٢٣، الجامعة الأردنية، عمان ، ص ١.
٣) نور الدين حاطوم: محاضرات عن نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ١٤-١٥.

أنشأوا مدرسة لهم فى دمشق (١).

كلية عينطورة (٢) :-

تأسست فى عام ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م على يد سان فنسنت دى بول(Saint Vincent De paul) . أما تاريخ نشأتها فى بيروت (لبنان) فيختلف عن تاريخ النشاط اليسوعى ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع فرنسا ، لأن فرنسا أرسلتهم وقدمت لهم دعماً مباشراً وكان هدفها من ذلك مواجهة اليسوعيين ، والبروتستانت ، ولأنها لاحظت فى عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م أن الكبوشين ورجال دين البعثات الكاثوليكية الذين تتولى فرنسا حمايتهم يأتون من «حثالة أديرة إيطاليا» ، لذا سعت لتنظيم جديد ، يسمح بأن تكون أفضلية القدوم إلى الشرق لرجال دين فرنسيين ، وأمام نجاح الإنجليين .. تمنت الحكومة الفرنسية أن يتولى اللعازاريون وحدهم - المسموح بنشاط جمعيتهم فى فرنسا، ويرأسها فرنسي - مسؤولية إعادة تجديد نشاط المرسلين فى بلاد الشام . وتطابقت الرؤية السياسية لمسؤولى هذه البعثة مع فرنسا بخلاف اليسوعين، فخلال سنوات عام ١٢٥٦ - ١٢٧٧هـ /عام ١٨٤٠ - ١٨٦٠م التى عصفت بجبل لبنان، نفذ اللعازاريون سياسة فرنسا فى تهدئة أهل الجبل الثائر ضد حكم محمد على فى بلاد الشام ، بينما وقف الأب زيللو اليسوعى يحرض الثائرين ضد الموقف الفرنسى وكانت كلية عين طورة من أبرز المؤسسات اللعازارية التى تركها اليسوعيون أثر رحيلهم من بلاد الشام ، وما انفكوا يطالبون بها إلى أن تصالحوا مع فرنسا فكفوا عن ذلك . وكان أول من أنشأها اليسوعيون وعملوا بها عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ثم جاء بعدهم اللعازاريون تحقيقاً لرغبة فرنسا (٣). وذلك بهدف إعادة افتتاح مدرسة عينطورة ، ليكون لهم أفضلية القدوم إلى الشرق ، أي لرجال الدين اللعازاريين الفرنسيين الكاثوليك ، وهم يعتبرون أنفسهم أكثر الإرساليات الفرنسية مساهمة فى تحقيق انتداب فرنسا على سوريا ولبنان ، لأنه من بين الإثنى عشر ألفاً من طلابها كما يقول الأب لورما : سبعة كانوا وزراء أو سكرتيرى دولة .. فى مصر، وأن مدراء الخدمات الرسمية فى لبنان وسوريا ، وفى دولة العلويين آنذاك ، كانوا جميعاً من طلاب اللعازاريين.

---

١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٠٨.

٢) عين طورة : أو عينطورة : قرية فى لبنان (قضاء كسروان) مدرسة للأباء اللعازاريين . انظر المنجد فى الأعلام ، ص ٤٩٨.

٣) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية، ص ١٢٦

وقد تم اختيار طرابلس - شمالاً - مقراً للنشاط والدعوة، لأسباب ثلاثة :

أ - إن طرابلس مدينة من أهم مدن لبنان ويتجاوز عدد سكانها ٢٥ ألفاً. كما أن وجودها بمحاذاة البحر يجعلها على صلة دائمة بالأوروبيين .

ب - لا يوجد أي مدرسة كاثوليكية في المدينة لتعليم اللغة الفرنسية فوجدت مدرسة عينطورة لتقوم بالنشاط الكاثوليكي فيها .

ج - استعداد البروتستانت للقدوم إلى المدينة نظراً لغياب البعثات عنها .

د - تثبيت نفوذ فرنسا في لبنان ليبرهنوا من خلال هذه المدرسة على محاسن فرنسا في مجال التربية ، وتوفيرها لأهم عائلات الجبل . هذه التربية يجب أن تساعد هؤلاء الناس على إعداد قادة تابعين لفرنسا يعتنقون مبادئها ويعملون لمصلحتها في الخارج(١).

أهمية كلية عينطورة ، وأهدافها للفرنسيين :-

بدت أهمية كلية عينطورة من المراسلات التي تمت بين قنصلية فرنسا في بيروت وفي عكا وتوابعها وبين الحكومة الفرنسية ، وفيما يلي نورد نصاً لبعض هذه المراسلات(٢) :

بيروت ١٠ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٣٤م . قنصلية فرنسا في عكا وتوابعها الإدارة التجارية رقم (٧١)، مجلد واحد .

سعادة الأميرال الكونت دي ليرين (Cimtede De Lirgny) وزير الشؤون الخارجية في باريس، إن رجال الدين الذين يتعلقون بنا (العازاريون)، لا يكتفون بتقليد أسلافهم، لأن حاجات اليوم أكبر من حاجات الزمن الماضي، بل يريدون أن تكون كلية عينطورة لأبناء الفرنسيين وأبناء الموارنة أيضاً الذين يتهيأون لكي يصبحوا تجاراً وكتاباً وتراجمة، وأن تكون كذلك إلى من يرغب في تعلم الفرنسية والإيطالية. سيكون لهذه المؤسسة فائدة مزدوجة بالنسبة لفرنسا وسوريا وقبرص والمناطق المجاورة في تربية أطفالهم أولاً، وفي إعداد تجار وتراجمة وكتاب يتقنون الفرنسية ويتعاملون معهم مباشرة، دون اللجوء إلى مترجمين. لقد فكرت، سعاة الوزير، أن مؤسسة كهذه تستحق تشجيع غرفة تجارة مرسيليا التي تهتم ولا شك بازدهار تجارتنا بالخارج .

التوقيع : غيزو .

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٦٣ - ١٦٤.

٢) طلال عتريسي : المرجع السابق ، ص ١٧٦-١٧٧

قنصلية فرنسا في بيروت، الإدارة السياسية مجلد ٤ ، رقم ٥٣
بيروت ٧ تموز(يوليو) ١٨٤١م .

سعادة الوزير السيد غيزو وزير سكرتير الدولة في قسم الشؤون الخارجية في باريس . منذ مدة وأنا أقترح أن تهتموا بكلية العازاريين في عينطورة اهتماماً خاصاً.. إن هذه المدرسة ، ولسبب النقص في الأموال اللازمة ، قد توقفت عن التقدم حالياً . يبدو لي ، سعادة الوزير ، أنه بالإضافة إلى ما يحققه توسع هذه المدرسة لنفوذنا ، لأنها تقدم للملك أيضاً فائدة مباشرة . فإذا وهبنا لها عشر منح أو خمسة عشر .. وإذا كان بالإمكان توفير قسم من هذه المنح لبعض أطفال الأسر المارونية ذات الارتباط الوثيق بفرنسا ، فإن حكومة الملك ستخلق بين هذه العائلات من خلال نشر اللغة والثقافة الفرنسيين ، نقاط اتصال جديدة معها ومع البلد ، ورموز جديدة معها ومع البلد ، ورموز جديدة وثمينة للاعتراف بفضلها.

التوقيع : (غير واضح) .

ولقد اعتمدت هذه المدرسة في مواردها المالية على المساعدات الرئيسية للعازاريين ، وذلك عبر تجديد المعونات من خلال اثنتى عشرة منحة مخصصة لأبناء العائلات الرئيسية ، لأن هذه المساعدة - كما يعتبرها الوزير غيزو - هي إحدى أهم الوسائل لتثبيت النفوذ في لبنان .

وعرف من المدرسين الأب «لوروا» وأمثاله الذين تعصبوا للمذهب الكاثوليكي ويدينون بالولاء لفرنسا. ويقبل الطلاب في هذه الكلية من الشباب الفرنسيين الموجودين في سوريا ، وكذلك أطفال الموارنة ، الذين يتهيأون ليصبحوا موظفين وكتبه وتراجمة وأولاد العائلات الكبيرة الغنية وكذلك أبناء القناصل والسفراء ، ويقبل فيها أيضاً الكاثوليك والأرثوذكس والدروز والمسلمين . وقد بلغ عدد الطلاب في مطلع القرن العشرين ٤٠٧ موارنة ٢٥ روم كاثوليك ، ١٠ روم أرثوذكس ، ٢٠ مسلماً ، ١٥ درزياً . ويبدو أن الاهتمام الرئيسي في هذه الكلية ، انصب على إعداد الطلاب في ميادين التجارة(١) ، وهكذا وجد الفرنسيون في كلية عينطورة فائدة مزدوجة في تربية أطفالهم .. وفي إعداد أمناء مخازن وتراجمة يوفرون عليهم اللجوء إلى الوسطاء.

ويتعلم الطلاب في هذه المدرسة الآداب العامة والدين النصراني ،

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٦٢-١٦٣.

واللغات الفرنسية والإيطالية والعربية ، ثم التاريخ والجغرافيا والحساب ، أما باقي المواد كالفلسفة واللاتينية والبلاغة ، والهندسة فتعطى بناء على رغبة أهالي الطلاب . ويسمح هذا البرنامج للطلاب بمتابعة دراستهم في فرنسا ، ويحق لمن حاز على شهادة النجاح فيها أن يدخل إلى كليتي الطب والحقوق الفرنسيتين .

ويعتبر التعليم في عينطورة ، نظيراً للتعلم في الكليات الفرنسية وهو سبب شهرتها ، كما يرى القنصل الفرنسي في بيروت الذي قال : «إن شهرة هذه الكلية تعود إلى طابعها الفرنسي في التعليم ، وإلى إعدادها لمهنة التجارة التى أظهر لها العرق السوري قدرة خاصة . إن من بين تلاميذ هذه الكلية من أصبحوا اليوم تجاراً وموظفين فى مصر وسوريا. ومن الضروري القول أن عدد الطلاب الذين تستقبلهم كلية عينطورة كان محصوراً بين أبناء العائلات التى تستطيع تسديد ألف وخمسمائة قرش ذهبية رسوماً للتسجيل فيها». وكما قلنا سابقاً يحق لمن نجح فيها أن يدخل إلى كليتي الطب والحقوق الفرنسيتين . أي أنها تعادل الثانوية العامة اليوم وهي فترة إعداد لدخول الجامعة(١).

بعثات فرنسية أخرى :

١- أخوات المحبة (٢). : (Les Filles de La Charite) :-

وهم من نفس الجمعية التى ينتمي إليها العازاريون ، وعملهم متمم لبعضه البعض . كما أنها تعمل على مساندة البعثات المنتشرة فى بعض أنحاء العالم ، في تطوير مؤسساتها. لهذا السبب وصلت بعثة المحبة إلى لبنان لدعم العازاريين ، فتمكنت «أخوات المحبة» من اجتذاب أبناء الطبقات الاجتماعية النصرانية فى جبل لبنان بواسطة مؤسساتها الخيرية ومدارسها المجانية ، كما أنشأت داراً للمعلمين لإعداد الكوادر لتحتل المراكز الكبيرة (٣). وافتتحت مدرسة صغيرة للبنات ، بمساعدة القنصل

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٦٣.
٢) أخوات المحبة : أنشأها القديس منصور دى بول ولويز دى مارياك للاهتمام بالمياتم والمستشفيات وذلك فى عام ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م ولهن المؤسسات العديدة فى العالم العربي ، انظر المنجد فى الأعلام ، ص ٣٠٤.
٣) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ص ١٦٤.

العام الفرنسي والدكتور سوكييه ممثل البعثة الفرنسية . وعندما انتشر التيفوس والكوليرا في بيروت في عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م ، لعبت «الأخت جيلاس وأخواتها» دوراً فعالا في تخفيف الآم المصابين ، مما حمل والي بيروت على أن يقدم لها أرضاً تقع في حي الفلفول ، حيث تم بناء ميتم للصبيان ثم آخر للبنات ، وعرف باللعازارية ، وكذلك أنشأت مدرسة مار يوسف الظهور للبنات في زقاق البلاط عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م (١).

٢ - الفرنسيسكان (Franciscains) :-

رهبانية أسسها القديس فرانسيس ألاسيزي عام ٦٠٧هـ/ ١٢٤٤م وجعل الفقر أساسا لحياتها فهي تعيش من التسول . انصرف رهبانها إلى التعليم والتنصير في المدن حيث نشطوا حياة العلمانيين الروحية ورهبانها في الشرق وهم حراس الأراضي المقدسة». جاءوا إلى القدس عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ونزلوا بيروت عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م وحلب عام ٩٧٩هـ/١٥٧١م وطرابلس لبنان ٩٩٥هـ/١٥٨٢م، والناصرة وصيدا عام ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م(٢).

٣ - الكبوشيون (Les Capucins)

وصلت بعثة الكبوشيين إلى سوريا في عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م وهي من أقدم البعثات العاملة في بلاد الشام، تخضع هذه البعثة لإدارة فرنسية بحتة ، وينتمي تلامذتها إلى الطائفة الكاثوليكية. الذين عملوا دعاية عظيمة لفرنسا في الخارج، وكانوا يمهدون لتوسعها الاستعماري بطريقة غير مباشرة .

٤ - إخوة المدارس المسيحية (Freres Des Ecoles Chretiennes):-

جمعية رهبانية أسسها القديس دي لاسال ، لتعليم الناشئة عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م ولها مدارس في الشرق . تأسست بعثتهم في عام ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م وانتقلت من مصر إلى القدس وبيت لحم (فلسطين) ثم استقرت البعثة فيما بعد في مدينة بيروت ومنها إلى طرابلس وبيت شباب (٣) .

---

١) عصام محمد شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٣ .
٢) المنجد في الأعلام ، ص ٥٢٦.
٣) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٦٥.

٥ - المخلصات الباسيليات :-

أسسها الروم الكاثوليك ، وذلك عام ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م فى مدينة صيدنايا ثم انتقلت إلى لبنان. ديرها الرئيسي دير سيدة البشارة أو النياح فى صيدا .

٦- الأخوة المريميون (Le Freres Maristes) :-

وهى جمعية أسسها شامبانيا الطوباوي لتعليم الناشئة عام ١٢٢٣هـ/ ١٨١٧م ، ولها مدارس عديدة فى الشرق (١) ، ولهذه البعثة وجود قديم في سوريا، برزت مؤسساتها مؤخراً، حيث قاموا بتأسيس مدرستين بمساعدة الأليانس الفرنسية ولهم مدرسة فى رأس بيروت حيث يقطن الأوربيون والموارنة بشكل أساسي . لهم دور قوي فى تعليم الفرنسية بسبب ازدياد مدارسهم في جونية وصيدا والبترون وجبيل ودير القمر وعمشيت.

٧- العائلة المقدسة :- Sainte Famille

تأسست فى عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م للانصراف الى التعليم والاهتمام بالمرضى ، لهن مدارس عديدة فى لبنان ومصر .

٨- سيدات الناصرة Les Dames de Nazareth

أنشئت فى عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م غايتها القيام بالعمل التنصيري بين النساء عن طريق تقديم الخدمات الصحية ، لها العديد من الأديرة فى الشرق الأوسط. وصلت بعثة سيدات الناصرة إلى بيروت فى عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م ، وبدأت العمل بتأسيس مدرسة مجانية ودير على تلة الأشرفية فى بيروت ، وتحصل مؤسسات هذه البعثة على منحة سنوية من القنصلية الفرنسية وتعتبر اللغة الفرنسية لغة التدريس الوحيدة فيها(٢).

٩- جمعية القلبين الأقدسين :-

أسسها الخوري يوسف الجميل فى لبنان فى عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، بالتعاون

---

١) المنجد فى الأعلام ، (الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار المشرق عام ١٩٨٦م) ، ص ٢٨.

٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص١٦.

مع الأبوين ريكادونا واستيف اليسوعيين والأختين روزا حبيقة ومريم حنة، ويقمن بالاهتمام بالتنصير بين النساء إلى جانب الاهتمام بالمرضى فى أكثر الأقطار العربية .

١٠- جمعية مريم الإصلاحية : (Societe De Marie Reparatice) -

بدأ تأسيسها عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م ويطلق عليهن أيضاً مرسلات مريم ، وبدأن نشاطهن فى بيروت بعد ذلك ، ولهن مدارس ومستشفيات فى لبنان وسوريا والمغرب والجزائر وتونس (١) .

ولقد انضمت بعض البعثات الكاثوليكية إلى البعثات السابقة مثل بعثة الكرمليين (Les carmelites) ولهذه البعثة وجود قديم فى سوريا وفلسطين وقد استمدت اسمها من جبل الكرمل فى فلسطين ، ولكنها وصلت إلى بيروت فى مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي.

١١- الوردية :-

تأسست فى القدس عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م لمساعدة كهنة الأرض المقدسة فى الخدمة الكنسية الكاثوليكية (٢).

١٢- جمعية مار يوسف :-

اسم تحمله عدة جمعيات ، أسست الكثير من المستشفيات والمدارس فى سورية ولبنان .

مناطق انتشار مدارس الفتيات للكاثوليك فى لبنان :-

كان لليسوعيين مركزان نسائيان باسم أخوات مريم ، مركز فى بكفيا ، ومركز فى زحلة باسم أخوات القلب الأقدس فى زحلة . ولقد وصل بقية أخوات مار يوسف إلى لبنان فى عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م ووجدن عقبات منعتهن من ممارسة نشاطهن ، وذلك بسبب الموقف الفرنسي المعارض لليسوعيين فى

---

١) طلال عتريسي :البعثات اليسوعية ، ص ١٦٦-١٦٧.
٢) المنجد فى الأعلام : ص ٣٠٤.

ذلك الوقت ، فاضطررن لمغادرة بيروت وعدن اليها بعد السماح لليسوعيين بممارسة نشاطهم في لبنان .

وعلى خطى اليسوعيين رأت بعثة الأخوات بإنشاء المدارس الخارجية والداخلية في بيروت إلى جانب المياتم وغيرها ، وكذلك في صيدا وحلب ودير القمر وصور وغيرها وذلك لتعليم الموارنة بشكل اساسي ، ومنافسة البعثات البروتستانتية.

ولقد اكتسبت مدرسة صيدا أهميتها ، لأنها تمثل الوجود الكاثوليكي المناهض للبعثات البروتستانتية النشيطة خصوصا في تلك المنطقة أما مدرسة دير القمر : فهي المدرسة الوحيدة التي تدرس فيها اللغة الفرنسية وهي : منطقة هامة تكتظ بالموارنة ، حيث يقوم الإنجليز بدعاية ضخمة . هذا الاستقطاب تؤكده احدى أخوات البعثة بقولها : أتت نساء مختلف القناصل لرؤيتنا ، وأبدت كل واحدة منهن اعجابها بتقدم تلميذاتنا العزيزات (١).

أما أهداف هذه المدارس فلا تختلف عن أهداف مدارس الذكور ، إلا أن مدارس البنات أبلغ وأكثر تحقيقا لمآرب المنصرين بتنصير المرأة يؤدي الى نتيجة أفضل لأنه يؤدي إلى تنصير الأسرة بكاملها ، فهي المسؤولة عن تربية الأولاد بسبب تأثيرها الكبير عليهم .

وتأتي المعونات المادية الى تلك المدارس من الحكومة الفرنسية ومن هبات ومساعدات الأغنياء .

وتعتبر الفصول في مدرسة دير القمر مكتظة جدا ، حيث كان يضم الفصل في عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م مائة تلميذة مارونية (وهذا عدد مبالغ فيه جدا) الى جانب المدارس النصرانية التي تشرف عليها أخوات مريم ويسوع في مختلف المناطق اللبنانية النصرانية فيما بين عام ١٢٧٠/١٣٥٠هـ - ١٨٥٣/١٩٣١م في عين آبل والبترون وبيت شباب وبكفيا وبكاسين وشهوان والراجور وجزين وغزير وحمانا وحريصا وزحلة وجونيه وغيرها . والتي ضمت أغلبية مارونية واضحة قياسا الى الأرثوذكس والكاثوليك فيها.

والملاحظ أن عدد المدارس التي افتتحها اليسوعيون في بعض المناطق اللبنانية مثل بكفيا وغزير وزحلة وعين آبل ، أي المناطق النصرانية يفوق عدة مرات المدارس في مناطق سوريا في حلب ودمشق

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٥-١٢٦.

وغيرها ويعود السبب فى هذا التمركز الشديد فى المناطق اللبنانية الى كثافة الوجود النصراني الماروني فيها قياسا الى المناطق السورية الآخرى والتى انتشرت فيها البعثات اليسوعية (١).

النشاط الألماني (الكاثوليكي) في فلسطين :

كان للكنيسة الكاثوليكية (اللاتينية) وضع خاص فى الدولة العثمانية وهو يختلف عن وضع الكنائس الأخرى كالأرثوذكسية والأرمنية والشرقية المتحدة مع روما . ذلك أن الإكليروس الأرثوذكسي والأرمني من رعايا السلطان ، وهو الذي يصادق على تعيين بطاركتهم وأساقفتهم . بينما لم تخضع الكنيسة اللاتينية للقانون العثماني ، وإنما كانت خاضعة للقانون الدولي لأن رهبانها مواطنون أجانب . ولذلك بقي ممثل البابا فى اسطنبول غير معترف به رسمياً من قبل الدولة العثمانية حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان يحتل وموظفوه قسماً من السفارة الفرنسية فى العاصمة العثمانية ويمارس نشاطه من خلال السفارة المذكورة حسب الحق الذى حصلت عليه فرنسا على حماية الكاثوليك فى المعاهدة الفرنسية - العثمانية لعام ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م وبقي موظفو الكنيسة الكاثوليكية فى جميع أقطار آسيا العثمانية لاصلة رسمية لهم بالسلطات العثمانية ، باعتبارهم أجانب يتمتعون بحماية فرنسا ، وهذا أعطاهم نفوذاً أقوى مع أنهم أقل عدداً من الروم الأرثوذكس فى فلسطين(٢).

وكان الرهبان الفرنسيسكان الممثلين للكنيسة الغربية فى فلسطين والذى يرجع وجودهم فيها إلى عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م . قد بلغ عددهم مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي نحو خمسمائة راهب . وانحصرت مهمتهم حتى منتصف ذلك القرن فى حماية الأماكن المقدسة التى كانت مسرحاً للنزاع بين مختلف الطوائف النصرانية (٣).

وقامت الجمعيات التنصيرية الكاثوليكية الألمانية بجهود لا بأس بها ، تمثل بإنشاء المدارس فى فلسطين ، فأنشأت خمس مدارس للذكور فى منطقة (الجليل) فى شمال فلسطين فى نهاية القرن الثالث عشر الهجري الموافق

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢٦.
٢) علي محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٧٠.
٣) علي محافظة : المرجع السابق ، ص ٧١.

نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وهي :-
مدرسة دير حنة : احتوت على اثنى عشر تلميذا .
مدرسة سخنين : وكانت تضم اثنى عشر تلميذا .
مدرسة عرابة : وكانت تضم خمسة وعشرين تلميذا .
مدرسة عيلبون : كانت تضم ثلاثين تلميذا .
مدرسة مغار : التى كانت تضم خمسين تلميذا .
وفى مدرسة مغار تم التحاق بعض البنات فكانت المدرسة المختلطة الأولى فى فلسطين . أما معلمو هذه المدارس فكانوا من خريجي معهد تدريب المعلمين فى القدس .

واستطاع الراهب جورج غات (George Gatt) الذى جاء من المانيا إلى القدس فى عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ، ليتولى إدارة النزل النمساوي واستطاع أيضا أن يدير مدرسة للبنين فى القدس . تسمى مدرسة القديس بطرس ، وأسس إرسالية المانية كاثوليكية فى غزة فى عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م وبنى داراً للإرسالية وكنيسة صغيرة ، واشترى عدداً من قطع الأراضي والبيوت وقد مولته جمعية القبر المقدس فى خلال السنوات الخمس الأولى من إقامته فى غزة بمبلغ تسعة آلاف مارك ألماني .

وقدمت الجمعية الكاثوليكية الألمانية دعمها للمنصر تسيفيرين بيفر(Zephyrin Biever) الذى هاجر من لكسمبورغ إلى فلسطين ليتولى إدارة مدرسة القديس بطرس للبنين فى القدس . ثم تولى إدارة الإرسالية الكاثوليكية فى مادبا فى شرقي الأردن . ولقد مولت الجمعية المشاريع الدينية والتعليمية التى قام بها الأب الفرنسي ماريا راتسبون (Alfons Maria Ratisbonne) اليهودي المتنصر مؤسس جماعة (سيدة صهيون) ومنشىء العديد من الأديرة والمدارس فى فلسطين منذ عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥ (١)

وفى مدينة حيفا - على الساحل الفلسطيني - استقبلت الراهبات ، الفتيات إلى جانب الصبية . إلا أن عددهن لم يتجاوز خُمس العدد العام للتلاميذ ، وأشرفت الراهبات على التعليم فى مدارس الفتيات بأنفسهن(٢).

وكانت هذه المدارس تتلقى المعونات المالية من التبرعات والهبات، من الجمعيات المختلفة ، فمثلاً قامت جمعية لودفيغ التنصيرية الكاثوليكية

---

١) علي محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٢٧.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٢٠١.

بدعم النشاطات الكاثوليكية فى فلسطين بمبلغ ٥١٥ ألف مارك ألماني خلال خمسين عاماً من النشاط. واستطاعت جمعية القبر المقدس أن تمول المؤسسات الكاثوليكية فى الشرق خلال ثلاثين عاماً بمبلغ إجمالي قدره ٤ر٢ مليون فرنك فرنسي ، وبلغت موارد جمعية القبر في العام التالي لتأسيسها نحو ٢٤٧٥٩ ماركاً. كما بلغت إيرادات جمعية فلسطين فى السنوات الأولى من تأسيسها نحو ٣٠ ألف مـــارك وارتفعت حــتى وصــلت إلى ٤٤ ألف مارك فى السنة. وكان نصف دخل جمعيتي القبر المقدس وفلسطين يأتي من تبرعات تقدمها أسقفية منطقة كولونيا، وقدمت أبرشيات مونستر (Munster) وأسقفية إمارة برسلاو (Breslau) تبرعات سخية، وفوق ذلك كانت تصل إلى الجمعيتين تبرعات وهبات من بعض الدول الأوروبية الكاثوليكية(١).

ومن الجدير بالذكر أن جمعية كولون أخذت قصب السبق فى تأسيس مستوطنة زراعية للآباء اللعازاريين فى (تبيغا) (٢) وقد افتتح الآباء اللعازاريون (٤) مدارس للصبيان فى قرى المغار وعيلبون وسخنين وعرابة ، وبعد عام على انشاء تلك المدارس كان هناك ١٥٠ صبيا على مقاعد الدراسة من ضمنهم (٣٠) تلميذا من قرية دير حنا .

وقبيل نهاية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي افتتح الكاثوليك فى فلسطين عدد من مدارس الصبيان فى منطقة الجليل . وفى بداية القرن الحالي وسعت الجمعية نشاطها فى المنطقة بإنشاء مدارس للإناث (٣). ولقد أشرف الآباء اللعازاريون على التعليم فى مدارس الصبيان وكانت الأهداف التى تسعى اليها هذه المؤسسات التعليمية من انشاء المدارس هي :-

١ - عدم تغريب التلاميذ المحليين من خلال السياسة التعليمية . ولقد حدد الراهب شميدت سياسة الجمعية التربوية بقوله : «على الإرساليات أن تبتعد عن سياسة ألمنة - جعلهم ألمانيين أو إلحاقهم بألمانيا فكرياً - التلاميذ لأنها قضية خاسرة من بدايتها». وطالب شميدت أن يكون للمدارس طابعها العربي والألماني. وأن تدرس اللغة الألمانية فقط كلغة أجنبية ، وعينوا مدرسين ومدرسات من العرب لتدريس اللغة العربية. أما مواد التدريس فى هذه المدارس فكانت اللغة العربية ، والألمانية

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ٢١٠ .
٢) تبيغا : تقع على الشاطىء الشمالي الغربي لبحيرة طبرية .
٣) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٢٠١.

والفرنسية ، والقراءة والكتابة ، والحساب والتاريخ والجغرافيا والدين النصراني.

٢ - نشر الكاثوليكية وفرض حماية المانيا على كاثوليك فلسطين حتى تكون لهم حجة للسيطرة على الأماكن المقدسة فيها.

٣ - اللحاق بنشاط الإرساليات الأخرى فى فلسطين المتقدم، والتى سبقتها فى العمل التنصيري والاستيطاني في فلسطين (١).

٤ - كغيرهم من المنصرين رأى الألمان فى عملهم الإرسالي استمراراً للحملات الصليبية ولكن بوسائل سلمية ، فعملوا على تنصير المسلمين ولكن الكاثوليك حصروا نشاطاتهم التنصيرية بين أتباع الكنيسة الأرثوذكسية (٢) إلى جانب محاولة تنصير المسلمين .

٥ - كان النشاط التنصيري مبرراً لتدخل قناصل ألمانيا فى الشؤون الداخلية للبلاد ، إذ لم ينفك هؤلاء عن حماية المنصرين وحماية اليهود المهاجرين من ألمانيا أو الراغبين فى الحماية الألمانية (٣).

٦ - نشر الحضارة النصرانية فى المستعمرات ، فالاستعمار كما تراه الإرساليات الكاثوليكية الألمانية يبقى عملا غير محمود من دون نشر النصرانية معه فى آن واحد لأن الإرسالية هى التى تقدم السند والدعامة للنشاط السياسي الاستعماري الألماني فى ما وراء البحار. وكان هناك وفاق بين الكاثوليك الألمان على أن الاستعمار هو ضرورة طبيعية لألمانيا ، وأنهم - أي الكاثوليك - ملزمون بجعل كنيستهم تشارك فى هذا التحول والارتقاء.

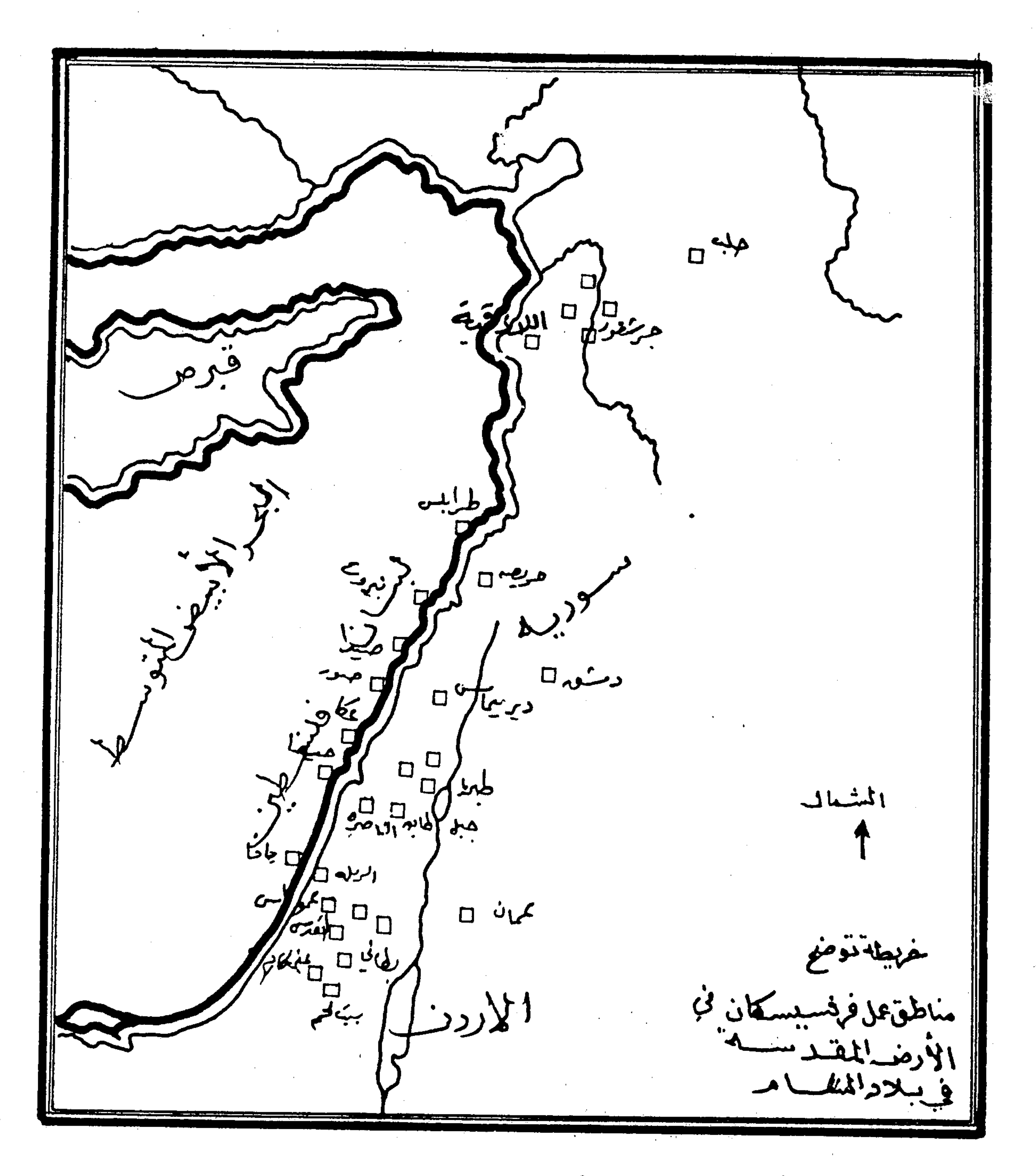
وكانت المساعدات المالية التى تعتمد عليها هذه المدارس من الهبات والمساعدات والتبرعات السخية من بعض الدول الأوربية الكاثوليكية، والأبرشيات والأسقفيات الأوروبية الكاثوليكية .

---

١) عبدالرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٢٠٢-٢٠٣.

٢) عبدالرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ٢١١.

٣) علي محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٩١.



عن كتاب The Custody of The Holy land، ص ١٧

F.G

جدول بعدد المدارس والطلاب

في بلاد الشام / التابعين للبعثة اليسوعية

المنطقة	العالية ذكور		الثانوية ذكور		الثانوية اناث		ابتدائية ذكور		ابتدائية اناث		المجموع	
	عدد المدارس	الطلاب	عدد المدارس	الطلاب	عدد المدارس	الطلاب	عدد المدارس	الطلاب	عدد المدارس	الطلاب	المدارس	الطلاب
بيروت	٢	٥٠٦	١	٢٣١	١	١٠٠	١٥٥	٣٨٤٨	١٣	٢٩٠٢	١٧٢	٧٥٨٧
عكا							١٢	٢٣٣	٥	٩٤٠	٢٢	١٦٧٢
طرابلس			١	١٢٧			٥	٢٦٩	٣	٩٣٥	٩	١٢٢١
جبل لبنان	٤	٤٠٠	٥	٧٣٠	١	١٠٠	١٨	١٧٣٠	١٦	١٥٧٧	٤٤	٤٥٢٧
	١	١٩٠ اناث									١	١٩٠
دمشق			٤	١٣٦٠			٤٨	٦٩٩٥	٨	٥٣٢	٦٠	٨٨٨٧
حماه							٢٦	١٠٥٠	٢٣	٥٦٥	٤٩	١٦١٥
حوران							٤	٢١٠			٤	٢١٠
المجموع	٧	١٠٩٦	١١	٢٤٤٨	٢	٢٠٠	٢٢٣	١٤٨٣٥	٦٨	٧٤٥١	٣٦١	٢٦٠٣٠

المعلومات عن: كتاب أسباب النهضة العربية

أنيس النصولي ص ٩٦-٩٨.

مناطق نشاط الإرساليات البروتستانتية :-

الإرساليات البروتستانتية كثيرة ومتنوعة ، ولكن البعثة الأمريكية كانت أقواها وأكثرها نشاطاً واستمراراً فى العمل. حيث قدمت إلى الشام فى عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م وكان دعاتها يعملون تحت إشراف «مجلس الرقابة الأمريكي للجمعيات التنصيرية فى الخارج» وقد أسس هذا المجلس مركزاً للتنصير فى مالطة ، ثم وسع نشاطة نحو الشرق وحل الأمريكان بيروت وأسسوا فيها أول مركز لهم ، وظلت منذ ذلك الوقت مركزاً لانطلاق عملهم التنصيري. ولقد اصطدم هؤلاء المنصرون بما اصطدم به غيرهم من صعوبات وعراقيل ومن تلك الصعوبات التى واجهت العمل الإنجيلي فى بلاد الشام :-

١- تمسك المسلمين بدينهم وصعوبة خروجهم منه ، مهما قدمت البعثات الأجنبية ، وهم على معرفة بموقف هذه البعثات وأهدافها من المسلمين.
٢- عداء الكنائس المحلية والهيئات النصرانية الآخرى للبعثات البروتستانتية.
٣- كان الحكام يرون فى المنصرين أداة تغلغل أجنبي .
٤- الحالة غير المستقرة فى بلاد الشام وقيام الفتن بين الحين والآخر (١).
٥- عدم وجود طائفة بروتستانتية أصلاً فى البلاد لتقديم العون اللازم لها .

ورغم تلك الصعوبات فقد نجحوا فى تأسيس المستشفيات والمدارس والكليات والجامعات فى شتى أنحاء بلاد الشام. وفيما يلي نبحث موضوع مناطق نشاط الإرساليات البروتستانتية في الناحيتين الصحية والتعليمية :

أولا : المؤسسات الطبيـــة :

كلية الطب التابعة للكلية السورية الإنجيلية:

افتتحت كلية الطب فى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م وقد عرفت هذه الكلية منذ بدايتها بأنها كلية تنصيرية يؤمها الكثير من أبناء الشام دون تمييز، كما عرف من مؤسسيها د. كرنيلوس فانديك الذى كان يرتدي ثياباً عربية فى زي أهل بيروت . وهذه أهم وسائل التغرير بالسكان ليقبلوا على جامعة رئيسها يلبس الثياب العربية ، فتزيد محبته فى القلوب ، وتزيد ثقة الناس به ، مما يشجعه على تحقيق مآربه في نشر تعاليم النصرانية بين جميع طوائف

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية، ص ١٨.

المسلمين وغيرهم(١). وكان أول طبيب بيروتي تخرج من الكلية الطبية فى عام ١٢٦٨هـ/١٨٧١م هو سليم فريج إضافة إلى خمس أطباء آخرين هم : سليم دياب من طرابلس ، ويوسف حجار عكين ، وناصر حليم من حمانا ورشيد شكر الله من بعبدا ، وشبلي الشميل من كفر شيما(٢) صاحب مجلة الشفاء . ولقد انتقل بناء كلية الطب ووضع حجر الأساس لها فى الأرض التى اشتروها فى رأس بيروت فكانت فى «بناية الساعة» وانتقلت إليها الكلية فى عام ١٢٧٧هـ/١٨٧٣م بعد أن كانت ملحقة ببناء الكلية السورية الإنجيلية فى بيروت (٣).

وتعتبر الدائرة الطبية فى المدرسة (الكلية) فرعاً من المكتب الطبي السلطاني فى اسطنبول وقد أنشأها كل من : كرنيلوس فانديك ويوحنا رتبات ثم انضم اليهم جورج بوست وأدون ورتشارد بركستك ووليم فانديك. والدروس التى تعطى فى كلية الطب هي :الكيمياء ، والتشريح ، والنبات ، والفسيولوجيا والترايبوتيا والاقرابازين العملي والحيوان والهيجين والجراحة والتشخيص الطبيعي والولادة ، وأمراض النساء وامراض العيون والباتولوجيا ، واللاتينية وغيرها . ومدة التعليم القانوني أربع سنوات وقد تخرج منها أول صف طبي بعد انتهاء دروسة ونال الشهادة الطبية فى عام ١٢٦٨هـ/١٨٧١م ..

ويوجد فى الكلية عدة معارض منها معرض النبات ومعرض للتشريح وآخر للجراحة والحيوان والكيمياء والطبيعيات والجويولوجيا والآثار القديمة . كذلك هناك مختبرات متعددة منها المختبر الكيمياوي وصيدلية للمدرسة ومختبر البكتريولوجيا ومختبر علم الحيوان والمختبر الفسيولوجي ومختبر الطبيعيات ومختبر أشعة رنتجن ومختبر جراحة الأسنان (٤). وكذلك المعرض الجراحي ومعرض المواد الطبيعية والمعارض الخاصة المتعلقة بالتشريح والباثولوجيا والتوليد (٥)، والمعرض الميكرسكوبي . ويحتوي المعرض الجراحي على عدد وافر من

---

١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : بداية التنصير الأمريكي فى الشام ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية السنة الثانية العدد الثامن ، ص ١٠٦.

٢) شبلي شميل : (١٨٦٠-١٩١٧م) طبيب لبناني من مؤلفاته الأهوية والمياه والبلدان لأبي الطب أبقراط الحكيم «وسائل الحقيقة لإثبات مذهب الشفاء».

٣) عصام محمد شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٨٠.

٤) أنيس النصولي : أسباب النهضة العربية ، ص ٨٨ - ٨٩ .

٥) كتاب المدرسة : الكلية السورية الإنجيلية ، ص ١٦.

(الرفوف) الباثولوجية لتمثيل الكسر والخلع والنخر والنكروس والحصى وغير ذلك من الآفات الجراحية وعلى جهاز التمثيل معالجة السكر والخلع وتماثيل من شمع لتوضيح أنواع كثيرة من الأمراض .

ويمثل معرض المواد الطبية صيدليات إنجلترا وأمريكا بمستحضرات مصنوعة باللغة اللاتينية . وتحتوي المعارض المتعلقة بالتشريح والباثولوجيا والتوليد . على مجموعة جيدة منتخبة من المستحضرات الطبيعية والصناعية وعلى تماثيل من شمع لإيضاح الأمراض المتنوعة التى تصيب العين والجلد. ويحتوي المعرض الميكرسكوبي : على مجموعة كبيرة من القطع الزجاجية للميكرسكوب ، وغير ذلك من الآلات الصغيرة والأنسجة السليمة والمصابة من أجسام الإنسان والحيوان والغرف المحتوية على هذه المعارض ، تفتح للطلبة فى أوقات معينة (١). ولقد تولى التدريس فى كلية الطب عند افتتاحها كل من دانيال بلس وكرنيلوس فانديك ويوحنا ورببات والشيخ نصيف اليازجي وأسعد الشدودي(٢).

وخلاصة ما يقال عن مناخ المدرسة أنه ملائم جداً للصحة فقد اتخذت جميع الوسائل للاعتناء بالتلاميذ الداخليين من المرضى فإن أحد أساتذة المدرسة الأطباء ينظر فى كل حادثة مرض ويتفقد المريض إلى حين شفائه وتقوم على تمريضه إحدى السيدات من اللواتي درسن فن التمريض ولا يكلف المريض بغير ثمن الدواء (٣) أو ما يطلبه ، علاوة عما يقدم لجميع التلامذة من أسباب الراحة .

هكذا نرى مدى ما تقدمه كليات ومدارس الإرساليات الأجنبية لأبناء البلاد ، وذلك بعض ما تتلقاه من المعونات المادية الكبيرة وعلى كافة المستويات سواء من الحكومات أو تبرعات الأفراد لأنهم يملكون القوة الدافعة لبذل المال واقتناعهم بضرورة تنصير بلاد المسلمين كافة وبلاد الشام خاصة ، بحجة وجود الأماكن المتدسة النصرانية فى فلسطين ، والغرب النصراني المادي يريد هذه البلاد أن تقع تحت سيطرته فلماذا لا تكون تابعة له وهى نصرانية قلباً وقالباً خاصة وأن المسلمون لاهون عما يحاك لهم تحت جنح الظلام.

---

١) كتاب المدرسة الكلية الإنجيلية ، ص ١٦.
٢) أنور الجندي : التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ، ص ٨٦.
٣) كتاب المدرسة الكلية السورية الإنجيلية ، ص ١٢.

وكانت الكلية تقوم على تقوية العلاقات الشخصية بين الأساتذة والطلاب وبين الجامعة وطلابها الخريجين حتى يبقى التأثير التنصيري على الطلاب حتى بعد الانفصال عن الجامعة بتخرجهم(١).

ويوجد للإرسالية الأمريكية ثلاث مراكز أخرى للعمل الطبي فى سورية ولبنان وهى :-

١- مستشفى فى الميناء بطرابلس وتلحق به مدرسة للتمريض .
٢- مستشفى فى دير الزور ويضم ٨٥ سريراً.
٣- مستشفى هملين فى (جمانا) للمصدورين (مرض الصدر) ويضم ٢٠ سريراً.

بالإضافة الى مستشفى جمعية التنصير الكنسية (C.M.S) فى مدينة السلط بالأردن(٢).

النشاط الطبي للإرساليات الآخرى :

١- بعثة أدنبره الطبية (E.M.M. Edinburah Medical Mission): أسست بعثة أدنبره الطبية مستشفى فيكتوريا فى حى القصاع فى دمشق وكان له شهرة واسعة لمدة من الزمن .
٢- البعثة الدانمركية : عملت فى المدن الداخلية مثل (النبك) ومستشفى البعثة يعرف بالمستشفى الدانمركى (٣).

٣- المستشفى البروسي في بيروت (خستخانة بروسيا) :
تأسس فى جماد الأول من عام ١٢٧٧هـ/ ٧ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨٦٠م حيث دعا الأمير البروسى كارل ، رئيس هيئة فرسان يوحنا جميع أعضاء جمعيتهم إلى تقديم المساعدة إلى الموازنة وضحايا الحرب مستغلين ظروفهم وتشردهم فى الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م وقاموا بتقديم المساعدة البروتستانتية لهم مع أنهم مخالفون لهم فى المذهب حتى يتم تحويلهم وكسبهم إلى الطائفة البروتستانتية وحتى لا يقعوا تحت حكم الإسلام الذى يكرهونه ويكرهون أتباعه ويريدون القضاء عليه ، وبالفعل تمكنت الرهبنة من جمع مبلغ ٤٢ ألف مارك لمساعدة الموارنة وتم إرسال عضوين من الرهبنة هما الغراف فون بسمارك ربولين والغراف بربونشر سدلنتزكى (Grafron Perponcher Sedolnitzky) ليعاينا

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية ، ص ٢١.
٢) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص ٢٥.
٣) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص ٥٤ - ٥٥.

الوضع ، ورافقهما فى رحلتهما كل من فون بيرليبنون (Von Behr - Liebenow) والطبيب فندت (Wendt) وأربعة ممرضين تابعون للرهبنة إضافة إلى ذلك اصطحب الغرافان معهما مستشفى متنقل للطوارىء يتسع ل ٦٠ سريرا وصلوا الى بيروت فى عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م (١).

ولقد ألحق بالمستشفى البروسى فيما بعد مدرسة لتخريج الممرضات، وبالفعل تم تخريج فتيات سوريات حصلن على تدريب فى التمريض بالمستشفى البروسى ، ويقوم المستشفى البروسى فى بيروت على نفقة الألمان وأمراء مار يوحنا. ويقبل على هذا المستشفى الفقراء من مختلف المناطق والمعاينة مجانية وتعتنى الراهبات بالمرضى ونظافة الغرف ، برعاية رئيسته السيدة لويزا (٢). وعرف ممن عملوا فى هذا المستشفى الدكتور فان دايك (Van Dyke) والذى نال أعلى وسام من الإمبراطور الألمانى غليوم الثانى بسبب نشاطه التنصيرى فى المستشفى البروسى بالاشتراك مع الدكتور «يوحنا ورتبات». وكان أساتذة الطب فى الكلية السورية الإنجيلية يعاينون المرضى فى المستشفى البروسى ، كما أن الطلاب كانوا يتدربون فيه قبل إنشاء المستشفى الخاص بهم(٣).

وكان يوجد فى بيروت فى الفترة من عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م مستشفيان تابعان للبعثة البروتستانتية الأنجلو - أمريكية بما حدا بالفريق الألمانى أن يختار منطقة غير بيروت للقيام بنشاطهم الطبى فقرر الفريق الألمانى اختيار منطقة صيدا لأنها مكتظة بالسكان واللاجئين النصارى ، الذين أفرزتهم الحرب الأهلية عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م .

وفى شعبان من عام ١٢٧٨هـ/ ٢٦ فبراير (شباط) من عام ١٨٦١م تم افتتاح المستشفى والذى يتسع ل ٣٢ سريراً ورغم ذلك فقد واجهت البعثة الألمانية مصاعب كثيرة وخاصة لعدم معرفتهم اللغة العربية ، ولم يتم التغلب على تلك المشكلة حتى عن طريق المترجم(٤).

ولم يعد العمل فى صيدا مشجعاً على الاستمرار فيها ، خاصة أن الفرنسيين قد أنشأوا مستشفى فى المنطقة إضافة إلى عزم السلطات

---

١) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى ، ص ١٠٤.
٢) عبد الرؤوف سنو: المصالح الألمانية فى سورية وفلسطين،ص ١٨١.
٣) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى ، ص ١٠٥.
٤) عبد الرؤوف سنو: المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٧٣-١٧٤.

العثمانية تشييد مستشفى لها فى منطقة صيدا، ولهذا عملت رهبنة فرسان يوحنا على حل مستشفاها فى صيدا ، للانتقال به إلى بيروت وذلك بعد ١٣ شهراً من العمل المتواصل . وعالجت فى هذه الفترة حوالى ٨٤٩ مريضاً وكان من أهداف إقامة هذا المستشفى أن يكون عاماً للبعثات النصرانية من كاثوليك أو أرثوذكس وتقديم المساعدة للموارنه وهم من غير طائفتهم حتى يحولوهم إلى الطائفة البروتستانتية .

بعد ذلك انتقل المستشفى البروسى بالفعل إلى بيروت وموقعة فى رأس بيروت قرب الكلية السورية الإنجيلية، وبالذات فى الشارع البروسى الذى توجد فيه القنصلية البروسية ودار الأيتام زوآر ومدرسة البنات التابعة للكيزرزفرت (١)، واطلق على المستشفى اسم (المستشفى البروسى) وافتتح إلى جانب المستشفى صيدلية ومستوصف. وأصبح انصراف المرضى إلى المستوصف كبيراً ولكن كان معظم المرضى يقطعون علاجهم دون سبب وجيه ، ولهذا وضع الطبيب (لورينج) أنظمة صارمة لاستقبال المرضى فكان على كل مريض أن يبرز رقماً من وقت لآخر لإدارة المستشفى كما كان على المريض أن يضع بتصرف المستشفى قطعة من الحلى أو شيئاً ثميناً يخسره إذا ما قطع العلاج دون سبب معقول . ولم يزد عدد المراجعين للمستشفى سنوياً عن ٣٠٠ مريض على الرغم من تأسيس أقسام لمعالجة الأثرياء من المرضى المحليين والأجانب برسوم مرتفعة وقد لعب صغر حجم المستشفى دوراً فى تحديد قدرته الاستيعابية ، حتى أنه كان أحياناً يضطر أن ينام طفلان معاً فى سرير واحد بسبب ضيق المكان .

ولهذا قررت هيئة فرسان يوحنا تشييد بناء جديد للمستشفى فى بيروت بناء على اقتراح (فيبر) على أن تخصص عشر غرف من المستشفى للمرضى الميسورين حتى يتمكن المستشفى الاستفادة من أرباح تلك الغرف لتمويل المستشفى فى المجانية (٢).

وبعد مفاوضات مع المفوض العثمانى فى بيروت فؤاد باشا وافقت السلطات العثمانية على إهداء رهبنة فرسان يوحنا قطعة من الأرض لتشييد المستشفى العثمانية عليها ، مشترطة أن تفرز قطعة الأرض فى الدوائر العقارية على أنها هبه من الحكومة العثمانية ، لأن بيروت حتى عام ١٢٩٠هـ/١٨٨٣م لم يكن فيها مستشفى عثمانى واحد، بينما وجدت ثلاث

---

١) حسان حلاق : بيروت المحروسة ، ص ١٠٥.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٧٥-١٧٦.

مستشفيات أجنبية ، أحدها المستشفى البروسى ، والإثنان الآخران تابعان لراهبات الناصرة والكنيسة الأرثوذكسية .

وفى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م انتهى بناء المستشفى وبلغت تكلفته ١٢٠ ألف مارك ألمانى جمعت من متبرعين فى رهبنة فرسان يوحنا ولجنة سوريا البرلينية ومن المنظمة البريطانية والقارية لدور الأيتام السورية ومن جمعيات وشخصيات ألمانية مختلفة ، وتم تدشين المستشفى فى رمضان من عام ١٢٨٤هـ/ ديسمبر عام ١٨٦٧م وهو يتكون من طابقين يتسعان لخمسة وأربعين سريراً ويضم جناحين وغرفتين خصوصيتين للميسورين وأعضاء الرهبنة . وخصصت درجتان أخريان للمرضى الذين يستطيعون تأدية رسوم المعالجة فى الدرجة الأولى حيث يدفع المريض ١٠ فرنكات يومياً وتطورت فيما بعد إلى ٢٠ فرنكاً والدرجة الثانية يدفع فيها المريض ٥ فرنكات ارتفعت إلى ١٠ فيما بعد ، والدرجة الثالثة مجانية للفقراء من أفراد الجمعية الألمانية فى بيروت ومن السكان الأجانب والمحليين . ولقد سعى (فيبر) لقيام تعاون بين مستشفاه والكيزرزفرت حتى تحل الشماسات محل الممرضين من الراهبات التابعين لإخوة راوهن (Rauhen Bruder) وتم الاتفاق فعلا بين الجهتين على أن توزع المسئوليات على الشكل التالى :-

١) تهتم رهبنة فرسان يوحنا بتأمين المال اللازم للمستشفى .
٢) تناط المسئولية الطبية بالطبيب لورينج يعاونه الطبيب لودفينغ .
٣) تتولى الشماسات (الكيزرزفرت) شئون التمريض.

ولقد بلغ عدد مراجعي المستشفى فى السنة الأولى لانتقاله للمبنى الجديد ٢٨٧ مريضاً توفى منهم ١١ وتحسنت حالة ٤٦ مريضاً ، وغادره ٥ مرضى وشفى ٢١١ مريضاً وتبعاً للطوائف فقد كان توزيعهم كالتالى :- ٢٠٧ من النصارى ، ٥١ أوروبيين ، ١٧ مسلماً ، ٨ دروز ، ٤ من اليهود وخلال فترة عشر سنوات بلغ عدد المرضى المعالجين سنوياً نحو ٥٠٠ مريض وارتفع العدد فيما بعد إلى ٦٣٠ فى السنة ، إلا أن العدد تراجع إلى ٦٠٠ فى السنة من عام ١٢٨٥هـ/١٨٨٨م وذلك بسبب المنافسة بين مستشفى الكاثوليك وآخر للأرثوذكس .

ولقد كان المستشفى فى مقدمة المستشفيات التنصيرية بين المسلمين حتى أن الشماسات رأت فى المستشفى البروسى فى بيروت ١١ مركزاً

أمامياً للعمل التنصيرى بين المسلمين(١)، ولكن لم تنجح الشماسات فى تنصير أى من المسلمين باستثناء اثنين من الدروز(٢).

وقد تم توسيع المستشفى مرة أخرى بسبب الإقبال المتزايد عليه حيث انتقل فى عام ١٢٧٠هـ/١٨٧٣م إلى مبنى جديد فى حديقة المستشفى وفى عام ١٢٧٦هـ/١٨٧٩م شيد فى المستشفى قسماً الأمومة وجناحات مع غرفة للعمليات حديثة المعدات إضافة إلى حمام ومطبخ، وظلت أعداد المرضى فى مد وجزر حسب الظروف المتاحة للمستشفى من مؤسسات علاجية أخرى إلى أن عادت أعداد المرضى فى الارتفاع إلى ١٤٠٠ مريض سنوياً.

وكان لا بد من وجود تعاون بين نشاط المنصرين الألمان وبين الأمريكان لاتحادهم فى المذهب البروتستانتى، فقد كانت كلية الطب التابعة للكلية السورية الإنجيلية تتطلب إقامة مستشفى لتدريب تلاميذها . فدخلت الكلية السورية الإنجيلية عن طريق أحد أطباء الكلية وهو جورج بوست (George Post) فى مفاوضات مع رهبنة فرسان يوحنا انتهت بالاتفاق على وضع المستشفى البروسى الألمانى تحت الإدارة الطبية لأطباء الكلية السورية وذلك فى عـــام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م (٣).

مناطق نشاط الإرسالية الطبية فى فلسطين :

مستشفى الكيزرزفرت Kaiserswertner hospital

افتتح هذا المستشفى فى عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م فى منزل مستأجر على جبل صهيون، وهو قريب من موقع كنيسة المسيح الأنجليكانية، وكان المنزل مؤلفاً من طابق أرضى مستعمل كمأوى، وطابق علوى يحتوى على غرفتين استعمل كمستشفى يتسع من ٨ ـ ١٢ سرير، إلى جانب صيدلية صغيرة، وتولى إدارته طبيب من مستشفى البعثة اليهودية الإنجليزية . واعتبر أول مستشفى فى القدس يستقبل المرضى من كل الطوائف الدينية فى المدينة. بينما اقتصر مستشفى البعثه اليهوديه ـ الإنجليزية (جمعية يهود لندن L.J.S.)

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٧٨.
٢) قمنا ببيان الفرق بين الدروز والمسلمين فى الفصل الثانى من هذا البحث .
٣) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٧٩.

على استقبال المرضى من اليهود فقط. (١)

ولقد أطلق السكان على المستشفى اسم المستشفى البروسى ، ولقد عمل فيه مجموعة من الأطباء منهم ، مك غاون Macgawon وشابلن Chaplin وفرنكه Franke. ومن الأسباب التى دعت لبناء هذا المستشفى ، افتقار المنطقه لوجود مستشفى للإرسالية الألمانية البروتستانتية ، رغم وجود مستشفى كاثوليكى فى القدس بينما وجدت ٩ مستشفيات أخرى للإرساليات المختلفة فى القدس . والقيام بالعمل التنصيرى بين المسلمين كان من أهم أهداف المستشفى ، والذى كان قد افتتح لهم قسما خاصا فى عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م ولقد أقبل المسلمون على هذا المستشفى لافتقارهم لوجود مؤسسة صحية تعتنى بهم . وسرعان ما نما المستشفى وبلغ عدد مرضاه ٢٤٦ مريضا فى عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م بينهم ١٠٦ مسلما . ولقد شكل المسلمون أكثرية المرضى إذ بلغت نسبة المراجعين منهم حوالى ٦٠٪ ، بينما كان الأرثوذكس يشكلون الغالبية النصرانية بين مرضى المستشفى. وكانت الرعاية الطبية تستمر بعد خروج المرضى من المستشفى ، حيث تزور الشماسات المرضى بانتظام فى منازلهم وتزودنهم بالأدوية .

ثم بعد ذلك توسع المستشفى ليستوعب العدد المتزايد من المرضى ففى المرحله الأولى تم بناء غرفتين إضافيتين على سطح المنزل ، فارتفع عدد المرضى إلى ١٠٠ مريض . وتم توسيع المستشفى للمرة الثانيه ثم عملوا على تشييد مبنى جديد فى حديقة المنزل بعد صعوبات فى الحصول على رخصة بناء من السلطات العثمانية . وكان البناء الجديد من طابقين ، خصص الطابق الأول للرجال وتألفت من غرفتين ضمت كل واحده منها ١٢ سريرا ، وخصص الطابق الثاني للنساء وضم ١٣ سريرا . وبعد عام من إنشاء المبنى الجديد ارتفع عدد المرضى إلى ١٥٠ مريض سنويا. وأضيف فيما بعد عيادة خارجية polyclinic والذى وصل معدل مرضاها من ٦٠٠٠ إلى ٨٠٠٠ مريض سنويا خلال عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م(٢).

ولقد صمدت شماسات الكيزروفرت فى عملهن رغم الصعوبات التى اعترضت طريقهن ، وخصوصا من الناحية المالية ، ومحاولة خروجهن من المنزل من قبل بعض الجهات الكاثوليكية . وخصوصا بعد أن وصلت المساعدة من الملك فريدريك ويليم الرابع واشترى المنزل بـ ١٣ ألف تال

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ٦٢.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانيه فى سوريا وفلسطين ، ص ٩١ - ٩٢.

(٢٥٠ ألف قرش) حتى لا تتعرض الشماسات للطرد مرة أخرى ووصلت فى نفس الوقت تبرعات للشماسات ، مما مكنهن شراء قطعة من الأرض خارج بوابة يافا فى القدس حيث بنت عليها مدرسة للبنات . وبناء على تقرير الطبيب المشرف على المستشفى الدكتور هوفمان Hoffmann تقرر نقله إلى مبنى جديد خارج أسوار القدس.

مأوى المجذومين (معونة يسوع) : Das Aussatzigenesyl " Jesus Hilfe"

تأسس هذا المأوى فى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م بجهود من البارون كيفنبرنك اشروان Baron Keffenbrinck - ascheraden وهو من منطقة بومر Pommer الألمانية بعد أن قام برحلة إلى فلسطين مع زوجته ، فشاهدا مجموعات من المصابين بمرض الجذام ولأنهم ينقلون أمراضا معدية ولا تهتم السلطات العثمانية بعلاجهم وهم مجموعات يقيمون فى أكواخ ، ولقد بلغ عددهم من ٤٠٠ -٦٠٠ مجذوم ويقيمون بالقرب من بوابة صهيون وأطلق على المنطقة التى تجمعوا فيها اسم (أكواخ البؤساء) ويعيشون على التسول ولهم رئيس يقوم على تنظيم عملهم حول القدس وهم مجموعة من المجذومين الذين اتخذوا من الكهوف والمقابر القديمة مأوىً لهم فقام البارون وزوجته بالاتصال بالطبيب البريطانى شابلن Chaplin والذى كان مقيما فى القدس والمطران غوبات والقنصل البروسى جورج روزن Georg Rosen واتفقوا على إنشاء مأوى للمجذومين من أموال تجمع لهم من أوروبا على أن تؤسس لجنة محلية لإدارته(١). وقد استطاع البارون وزوجته الحصول خلال تسعة اشهر على مبلغ ٩ آلاف تال وتبرعت زوجة البارون بمبلغ ٢٦٥٠ تال من جيبها الخاص أما اللجنة المحلية فاستطاعت بدورها أن تجمع مبلغ ٣١٠٠ تال وبجهود القنصل البروسى فى القدس ، أمكن بناء منزل خارج مدينة القدس ، وذلك فى حوالى ٢٧ من ذى الحجة من عام ١٢٨٤هـ/٣ مايو (آيار) ١٨٦٧م ، كمأوى للمجذومين أطلق عليه اسم (معونة يسوع) ، وذلك للدلاله على قوة المسيح كطبيب لكل الأمراض . ورغم تلك الجهود ظل المأوى خاليا لعدة شهور ، لأن المجذومين كانوا من المسلمين فى معظمهم والذين خشوا أن تكون العناية الطبية فى المأوى وتقديم الغذاء والدواء إليهم مجانا مرتبطين بسياسة تنصيرية كما اعتقد البعض باستحالة مغادرة

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ١٤١ -١٤٢.

المأوى فى حال الدخول إليه(١).

إلا ان المجذومين بدأوا بالتردد على المأوى لحاجتهم الماسة للعلاج ، والغذاء اللازم وخلال الأشهر التالية بلغ عدد المرضى ٤ - ٥ مرضى ومع انتهاء العام الأول على تأسيسها ارتفع العدد إلى ١٢مريضا(٢) ، حتى بلغ فى السنوات اللاحقة إلى ١٦ مريضا اضطرهم إلى توسيع المبنى فى ما بين عامى ١٢٩١هـ - ١٢٩٥هـ/١٨٧٤- ١٨٧٧م حتى أنه بنى بعد ذلك منزلاً جديداً على قطعة أرض مساحتها ٧ هكتارات يتسع ل ٦٠ مريضا وكان قبل الانتقال للمبنى الجديد قد بلغ عدد المعالجين ٨٦ من بينهم سيدة ، وكان توزيعهم بالنسبة للطوائف كالتالى : ٥٤ من المسلمين ، ٢٩ من الأرثوذكس (نصارى) ، ٢ كاثوليك (نصارى) ، ١ بروتستانت (نصارى). وتوفى منهم ٢٤ مريض ، بينما ترك المأوى ٣٤ مريض بمحض إرادتهم، وتم طرد مريض واحد لأسباب سلوكية ، ولقد عمل فى المأوى الطبيب شابلن وحل محله الطبيب أبسنلر منذ عام ١٢٩٣هـ/١٨٨٥م. ورغم جهود سنوات طويلة لم يشف أى مريض بالجذام داخل المستشفى ولكن تمكن الأطباء من تحسين أوضاعهم الصحية بعض الشيء عن طريق الاستحمام والنظافة بشكل عام والتمارين الرياضية وعزل ذوى الحالات الخطرة(٣).

وأشرف على إدارة المأوى منذ البداية المنصر تابه Tappe وهو من المنصرين السابقين.. وحل مكانه المنصر مولر Muller منذ عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م، وتخلى بدوره عن المنصب لكارل شوبرت Karl Schubert ونشطت -إلى جانب هؤلاء المسئولين - شماسات ممرضات تابعات لبيت الشماسات لإخوة أمواس - نيزكى Diakonissennaus Emmaus - Niesky Der Brudergemeine ، وبسبب الخلاف بين مؤسسى المأوى عام ١٢٩٨هـ /١٨٨١م تخلى مؤسسو المصح عن مسئوليتهم تجاه مستقبل المأوى. ولهذا رأى المسئولون فى لجنة القدس أن يوضع المأوى (المصح) تحت إدارة الكنيسة الموارفية Moravion Churche وفرعها فى هرنهوث Hernhut والتى كانت تزود المصح بالإداريين وبعد مفاوضات أعلنت عن استعدادها لإدارة المأوى لعشر سنوات على سبيل التجربة ، وتخلت لجنة القدس التى كان يرأسها المطران غوبات عن إدارة المأوى وتولتها إخوة برتلز دورف التى

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٤٣.
٢) على محافظة :العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٨.
٣) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

كانت مزودة بالكوادر اللازمة(١). وقد تم تسجيل جميع ممتلكات المأوى من عقارات باسم الجمعية لدى دوائر الطابو ، وذلك بعد جهود مضنية بذلها الصراف فروتيفر مع السلطات العثمانية، وفى هذه الفترة طبق نظام جديد داخلى فى عام ١٢٩٦هـ / ١٨٨٨م ، على أثره تم افتتاح قسم للأولاد يهتم برعاية أولاد المجذومين حتى لا تنتقل العدوى لهم من ذويهم. كذلك لأن الأولاد عجينة لينة يمكن للمنصرين تشكيلها كيفما شاءوا ، وخصوصا عندما يلمسون عطف هؤلاء على آبائهم ومدى إحسانهم لهم فيعتقدون بكل معتقداتهم ويطبقون كل تعليماتهم. ولذلك فرضت إدارة المصح على وضع أبناء المجذومين تحت النفوذ الإنجيلى. وفى عام ١٣٠٠هـ/١٨٩٣م ضم هذا القسم ٣ أولاد برعاية الشماسات ولكن ظل هذا القسم محدودا بسبب رفض أولياء الأمور تعريض أبنائهم للنفوذ التنصيرى.

وكان يعيش في المصح عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ما بين ١٣ و٢٠ مجذوما بصورة مستمرة وارتفع العدد من ٢٥ - ٣٠ خلال عامى ١٢٩٦- ١٢٩٧هـ/١٨٨٨- ١٨٨٩م ، ومن ٤٠ - ٥٢ مريضا بعد عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٩م، حتى وصل العدد إلى ٦٠ مريضا، وكان هناك ٣٥ مسلما ، ١٤ نصرانيا ، و ٢ من اليهود ، وكان يشرف عليهم ٤ شماسات بمساعدة راهب وطبيب(٢).

وكانت الأهداف لمؤسسى مأوى المجذومين ليس محبة أو شفقة على المرضى كما هو فى الظاهر إنما كانت أهدافهم هو تحويلهم إلى النصرانية فإن لم يستطيعوا ذلك فيعملوا على تغريبهم بشتى الطرق عن طريق العلاج الطبى . فكانت سياسة المأوى أو المصح تضع المرضى فى أجواء تنصيرية خالصة منذ الصباح وحتى المساءحيث كان يعقد القداس وكذلك تلاوة الإنجيل ويحتفل بأعياد الميلاد . وكان فى المصح مكتبة احتوت على مجلات ونشرات تنصيرية أمثال (الكواكب والنشرة) اللتين كانت تصدرهما الإرسالية الأمريكية فى بيروت ولكن كان تأثيرها ضعيفا لأن معظم المرضى كانوا لا يعرفون أصول القراءة. وكان من المسلمين الموجودين فى المصح ثلاث فئات :الفئة الأولى ترفض التعاليم النصرانية رفضا قاطعا، حتى أنها رفضت التقرب من المرضى النصارى . أما الفئة الثانية وتضم عددا قليلا من المرضى المسلمين المرتدين . وكانت الفئة الثالثة فى شبة ضياع تحت تأثير الأجواء النفسية التى وضعتها فيها إدارة المصح . فظلت

---

١) على محافظة :العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٨.

٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٤٤. وعلى محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٨.

تحافظ على عقيدتها الإسلامية ، وفى الوقت نفسة لا تقف من النصرانية موقفا معاديا. ولهذا سقطت هذه الفئة فى عملية تغريب صعبة ، ورغم عدم اعتناقها للنصرانية ، فإن المقيمين على المصح اعتبروا تشكيك هذة المجموعة فى عقيدتها يعتبر فى حد ذاته نصراً لهم . وتؤكد تقارير المصح أن الفئتين الأخيرتين من المرضى كانتا تعانيان بشدة من عملية التغريب. وللدلالة على ذلك نورد فقرة من التقرير السنوى للمصح : وفى ساعة احتضاره نطق المسلم المرتد بشكل حازم ضد المسيحية (النصرانية) وعندما سألته عما إذا كان ينبغى أن أقرأ له بعضا من الكتاب المقدس لتقوية إيمانه بالنصرانية ، رفض ذلك رفضا قاطعا وقال بانفعال ، لقد خلقت مسلما وأريد أن أموت كذلك ! ولكن أجبته أن الخلاص لا يكون إلا بالايمان بيسوع . وهذا يدلنا على أن المسلم إذا أظهر ارتداده عن الإسلام فهو يخفى الإسلام فى قلبه ،إذا دعت الحاجة والضرورة إلى ذلك ، فهو احتاج العلاج الضرورى وهو يحمل المرض المعدى والخطير لذلك لا يستطيع أن يعول نفسه ، ولا يجد البديل عن هذا المستشفى ولكن عند ملاقاة ربه لا بد أن تظهر الحقيقة واضحه ، فقد عاد مسلما وتمسك بإسلامه، مع أن المصح كان من الثابت والمؤكد أنه يستخدم الشدة لإجبار المرضى على اعتناق النصرانية. وقد اشتكى أحد المرضى للقنصلية الألمانية فى القدس بأن الراهب تابه Tappe مدير المصح كان يمنعه من قراءة القرآن الكريم ويضغط عليه لاعتناق البروتستانتية ، وعندما حاول أحد المسلمين عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م أن يدحض الإنجيل بآيات من القرآن طرد من المصح(١).

أما عن النظام الداخلى للمأوى (المصح) والذى يعبر عن الحياة اليومية للمرضى فيدل دلالة واضحة مدى تركيز القائمين على المصح على النواحى التنصيرية حيث كان النظام يسير على النحو التالى : فى الصباح يتم الاستيقاظ عند الساعة ٣٠ر٥ ، باستثناء أصحاب الأمراض المتطورة الذين تضطرهم أوضاعهم الصحية إلى البقاء فى أسرتهم ، وبعد النهوض يأخذ المرضى حماما كاملا وبعد ذلك يرتبون أسرتهم . وفى الساعة السادسة يقدم إليهم الإفطار وبعدها بنحو ساعة يتلو عليهم المنصر قراءة الإنجيل وحديث الصباح الذى يختتم بالصلاة وتلاوة نص من الإنجيل باللغة العربية . بعد ذلك يقود المنصر من يستطيع من المجذومين العمل فى الحديقة حيث تسقى الخضار أو تؤدى أعمال أخرى سهلة .. بالطبع فإن من يقوم بتلك الأعمال قلة من المرضى ، لأن بعضا منهم كفيف أو فاقد لبعض أصابع يديه أو مصاب بقروح فى رجليه . وتستمر الأعمال فى الحديقة نحو

---

١) عبد الرؤوف : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٤٥-١٤٦.

ساعتين ، يعقبها راحة لمدة نصف ساعة . وفى الساعة العاشرة عندما تكون الحرارة مرتفعة ينعم المرضى براحة فى الظلال ، فيقومون ببعض الأشغال اليدوية حتى الظهر ، بينما تقوم النساء بترقيع الملابس والبياضات وفى الثانية عشرة ، يقدم طعام الغذاء ، يخلد بعدها المرضى إلى الراحة ويستلقون ، وبعد الظهر يتكرر عمل ما قبل الظهر . وفى الخامسة تروى الحديقة مرة أخرى ، إلى أن يحين العشاء فى الساعة السادسة . وعند السابعة يحين موعد صلاة المساء ، حيث يقرأ مرة أخرى مقطعا من الكتاب المقدس والعهد الجديد، والاستحمام هو جانب من برنامج المرضى ويحدث مرتين فى الأسبوع ، الأربعاء والسبت(١). وهذا يدلنا دلالة واضحة مدى ارتباط التطبيب بالتنصير فى بلاد الشام واستغلال ضعف المرضى وضعف حيلتهم ، لإجبارهم على الدخول فى النصرانية .

مستشفى الأطفال فى القدس Das Kiderhospital:

أنشىء هذا المستشفى بجهود من الدوق فريديريك فون ميكلنبورغ - شيفرن الكبير Friedrich Of Mecklenburg Schwerin وزوجته ماريا والطبيب ساندرسكى "Sanderczky" بعد أن قام الزوجان بزيارة إلى القدس فى عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وأبديا استعدادهما لتقديم المساعدة ببناء مستشفى للأطفال بعد التعرف بالطبيب ساندرسكى ، الذى كان يعمل آنذاك فى المستشفى البروسى منذ عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م . وتعهد الدوق بأن يدعم المستشفى - الذى سماه باسم زوجته مؤسسة ماريا الخيرية "Marian Stift"- لمدة ثلاث سنوات بمبلغ سنوى قدرة ٢٠٠٠ تال وتعهد الطبيب ساندرسكى أن يعمل فى المستشفى مجانا مع زوجته وابنته. فتم افتتاح المستشفى فى مبنى مستأجر فى ربيع الثانى من عام ١٢٨٩هـ/٦ يونيه حزيران ١٨٧٢م ، وضم ٦ أسرة للأطفال وللأمهات ومهدين(٢).

ومع نهاية العام الأول بلغ عدد الأطفال الذين عولجوا فى المستشفى اثنين وتسعين طفلا . واستمرت دوقية ميكلنبورغ - شفيرين فى تقديم المساعدة المالية للمستشفى سنويا حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى. غير أن هذة المعونة لم تكن كافية فاضطر مديره إلى سد العجز المالي من الأصدقاء والمتبرعين النصارى . وفي تلك الفترة كان المستشفى يعالج حوالى مئة وخمسين امرأة حاملا و ٥٥٠ طفلا

---

١) عبد الرؤوف سنو: المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين،ص ٤٨.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٥٠. وعلى محافظة العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٩.

فى العام(١).

ربما لم تكن أهداف إقامة مستشفى الأطفال فى القدس - والذى كان يضم فى جنباته الأطفال من سن الستة شهور وحتى سن ١٢ عام - تظهر صورة واضحة لهدف التنصير ، ولكن الثابت أن القائمين على إدارة المستشفى كانوا يعملون دائماً على إقامة علاقة وثيقة مع أولياء أمور الأطفال ، وكثيراً ما كان يستقبل الأمهات. والمستشفى يعلم هؤلاء أصول النظافة والنظام لتطبيقها في تربية أطفالهم ، وقد حاول ساندرسكى أن يقدم وعائلته نموذجا تقتدى به العائلات العربية(٢).

وهنا يصبح الهدف واضحا جليا، وهو التأثير الكبير فى السلوك والعادات مع التقليد لسلوك ساندرسكى ، وسلوك عائلته وربط النظافة والنظام بالدين وكذلك الحضارة والرقى بالتكشف والمادية ، التى تسير عليها زوجة الطبيب وابنته ولو كانت النظافة هى الهدف الأساسى لهان الأمر ، وكانوا مشكورين فى جهودهم ولكن الهدف بعيد يدركوه هم كما يجب أن يدركه كل حصيف. مع أن إقامة هذا المستشفى والجهود التى بذلت لذلك كانت ضرورة ملحة بسبب افتقار مدينة القدس وضواحيها من وجود مستشفى يهتم بالمرضى من الأطفال الذين يموت الكثير منهم بسبب نقص العناية الصحية ، والناجون منهم مصابون بمضاعفات مثل العمى أو أمراض جلدية معدية نتيجة لسوء العناية وعدم وجود الوعى الصحى من الأهل أو السلطة المؤلة . فلننظر ما مدى تأثير مثل هذه المستشفيات التى تنظر بعين العطف لأطفالنا وتنقذهم من المرض والموت والعمى وغيره ، وتعين الأمهات على العناية بأطفالهن بينما تلبس المنصرات لباس البراءة والطهر كممرضات يعلمنهن أصول النظافة لعدم تعلمهن فى مدارس أصلا وهن الفلاحات الكادحات فى الحقول ، فيكون التأثير بلا شك كبيرا على كل من تلقى العلاج فى تلك المستشفيات وتكون الثقة كبيرة فى كل ما يقوله لهم هؤلاء الأطباء والممرضات ، فالإنسان الجاهل تؤثر فيه الكلمات الرنانة والخطب . وخصوصا إذا تلقى الرعاية الصحية بدون مقابل ، فيصدق أن الراهبات إنما هن ملائكة الرحمة ، ولا يشعر بمدى تأثيرهن عليه إلا بعد فوات الأوان .

وفى الشهور السته الأولى استقبل المستشفى ٥٥ رضيعا بالإضافة إلى ١٢ أماً لإرضاع أطفالهن. ودخل المستشفى عدد من أعضاء من الطوائف المختلفة توزعت كالتالى ٣١ مسلما ١٢ أرثوذكسيا . ٨ من

---

١) على محافظة :العلاقات الألمانية الفلسطينية ص ٦٩.

٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص١٥٠-١٥١.

البروتستانت ، ٢ من الكاثوليك و ٢من الأرمن وكان معظم هؤلاء الذين يسكنون فى المناطق المجاورة للقدس . ومع نهاية العام الأول على إنشاء المستشفى بلغ عدد المرضى المعالجين ٩٢ مريضا وبعد مرور ثلاث سنوات على إنشاء المستشفى ارتفع العدد إلى ٢٤٨ طفلا و٣٠ أماً . وتضاعف العدد حتى وصل إلى ٤٦٤ طفلا.

وكان يجرى العمل داخل المستشفى تحت إشراف الطبيب ساندرسكى - والذى يقوم بمعالجة أمراض العيون والجلد - حسب النظام الأوروبى فعلق على كل سرير لوح باسم المريض ومرضه والعلاج الذى يتلقاه ، كما قام بإنشاء عيادة خارجية مزردة بصيدلية ، ثم ضم المستشفى غرفة عمليات كانت تجرى عمليات إزالة أورام غددية فى البلعوم وحصى المجارى البولية وعمليات فى العظم . وكان ساندرسكى يدخل الألعاب الرياضية المسلية للأطفال داخل المستشفى ، وحاول كثيراً كسب ثقة السكان وخاصة المسلمين لأنهم أكثر الطوائف الموجودة فى فلسطين تردداً على عيادة الأطفال. ثم انسحب الدوق ملكنبورغ ـ شفيرن ، تاركا العبء كله على ساندرسكى فعانى الأخير من صعوبة توفير الأموال اللازمة لسد نفقات المستشفى ، فالإعانة السنوية التي كانت تقدمها الحكومة الألمانية لم تكن كافية لسد العجز المالي للمستشفى البالغ ٦٠٠٠ مارك ، حتى بعد أن قام الامبراطور وليم الثانى فى عام ١٢٩٥هـ/١٨٨٨م بتقديم مساعدة مالية وحيدة قدرها ١٥٠٠ مارك ألمانى. وعندما طالبت جمعيات ألمانية أخرى عاملة فى فلسطين بمعونات مالية أسوة بمستشفى ماريا الخيرية ، قامت الحكومة بقطع مساعدتها عن المستشفى ، وبسبب تراكم الديون عليها ، وانتحار الطبيب ساندرسكى بعد فشل المشروع، تم إقفال المستشفى نهائياً(١).

ونظراً لأن قيام مثل هذه المستشفيات فى فلسطين كان يرتكز على وجود إمكانية العمل التنصيري ، فإنه لم تتقدم أية جهه سواء حكومية أو جمعية نصرانية لإنقاذ المستشفى عندما أخذ يعانى من الأزمة المالية ، ويعود ذلك فى المقام الأول إلى عدم قدرة المستشفى على تنصير فرد من الأفراد، وفشلت فى القيام بذلك بشكل علني أو سرى ، بالرغم من أنها كانت تقبل المرضى من جميع الطوائف.

---

١) عبد الرؤوف سنو :المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين،ص ١٥٣. وعلى محافظة: العلاقات الألمانية ـ الفلسطينية، ص ٦٨ـ٦٩.

ثانيــاً : التعــليـم :

المدرسة السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية فيما بعد)

تقرر الموافقة على إنشاء المدرسة الكلية السورية الإنجيلية فى ٢٥ من ذى القعدة من عام ١٢٨٠هـ/ مايو (آيار) من عام ١٨٦٤م ، وتعتبر هذه المدرسة نواة النشاط البروتستانتى فى بلاد الشام . وقد وكل نظامها إلى ثلاث دوائر ، دائرة أمنائها ودائرة مديريها ودائرة أساتذتها المعروفة بعمدة المدرسة . ولقد فتحت المدرسة الكلية السورية الإنجيلية أبوابها فى فصل الخريف من عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م وباشرت حينئذ بتدريس صف كان قد استعد لدخولها من السنة السابقة (١) وكان قد افتتح الفرع التحضيرى لهذه الكلية مؤسسها دانيال بلس ووليم طومسون (٢).

ومن أهم أهداف هذه الكلية :-

١- نشر المذهب البروتستانتى الإنجيلى فى بلاد الشام ، والعمل التنصيرى بين جميع الطوائف لجعل بلاد الشام تابعة لها لاحقة بركابها .
٢- شدة التنافس السياسى والاقتصادى بين فرنسا وإنجلترا وأمريكا حول المشرق العربى وذلك من أجل إعداد النخبة الداخلية ، والتى تقود البلاد فى المستقبل القريب نحو الاستعمار . وتعمل بأيديهم ليهدم البلاد أحد أبنائها .
٣- الإعداد والاستعداد لتخريج مدرسين ووعاظ لمدارس التنصير والأعمال الآخرى فى بلاد الشام .
٤- أن تكون الكلية وإدارتها بيد الأمريكين بدلا من الوطنيين ، يتعين على كل الأساتذة الأمريكيين أن يتقنوا اللغة العربية ليعملوا ويضعوا مؤلفاتهم بها (٣).

أما الغربيون فقد كشفوا عن هدفهم بوضوح حيث قال الكاتب الفرنسى ايتين لامى :"إن مقاومة الإسلام بالقوة تزيده انتشاراً ، أما

---

١) كتاب المدرسة الكلية السورية الإنجيلية السنوى (١٩٠٢ - ١٩٠٣م) ص٥.
٢) طلال عتريسي :البعثات اليسوعية ، ص ١٦٩ ، ومصطفى الخالدى وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ٩١.
٣) عصام شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٢.

الوسيلة الفعالة لهدمة وتقويض دعائمة فهى تربية دينية (نصرانية) فى المدارس التنصيرية ونفث جراثيم الإلحاد فى صدورهم منذ نشأتهم من حيث لا يشعرون ، فإن لم يتنصروا فقد أصبحوا لا مسلمين ولا نصارى» . وقد علق الدكتور واطسون على هذا التصريح قائلا بعد أكثر من عشر سنين : «إننا نراقب سير القرآن فى المدارس الإسلامية ، ونجد فيه الخطر الداهم ذلك أن القرآن وتاريخ الإسلام هما الخطران اللذان تخشاهما سياسة التنصير».

ولقد بدأت هذه المدرسة التعليمية العليا بثلاث غرف ، ثم ما لبثت أن نمت تدريجياً ووسعت مرافقها شيئاً فشيئاً ، وانتقلت أكثر من مرة ، حيث استقرت أخيراً فى رأس بيروت ، وفى أجمل موقع فيها، ولقد تم افتتاح الفرع التحضيرى للجامعة عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م برئاسة دانيال بلس(١) وفى عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وضع حجر الأساس لتلك المدرسة ، فكانت فى بناية الساعة وانتقلت إليها الكلية فى عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م(٢)وهى تمثل عدة بنايات ضخمة قائمة فى الجهة الغربية من المدينة المعروفة برأس بيروت (٣).

ومركز المدرسة الكلية فسيح جداً وهو قائم على هضبة مشرفة على البحر الأبيض المتوسط من أكثر جهاتها ، وهو من أفضل متنزهات مدينة بيروت وأنقاها هواء وألطفها نسيماً ، وفيه كثير من الفسح المقامة قصداً لألعاب التلاميذ المختلفة ولترويض أبدانهم إلى جانب الكثير أيضاً من المتنزهات الأنيقة المطلة على البحر ، بين مرتفع ومنخفض وتتوزع عليها الأشجار منها الظليلة ومنها ذوات الرائحة العطرية كالصنوبر وشجر الفلفل حتى أن من يرى تلك الملاعب والمنزهات وأن يكن من نفس أهالى بيروت يقف موقف الحائر المندهش ويغبط ساكنيها على ماهم فيه من جمال المنظر وطيب الهواء ونقاوته من سائر الأماكن الآخرى (٤).

وباختيار موقع المدرسة الكلية فى هذا المكان الرائع على هضبة مشرفة على البحر تجعل الدارس فيها يحبها ويعشقها بل ويعشق كل مايتعلمه فيها حتى أنه يغبطه على ذلك كل من كان خارجها إذا أجرى مقارنة

---

١) عصام شبارو تاريخ بيروت ص ١٩٠.
٢) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٢٠.
٣) انيس النصولى : أسباب النهضة العربية ، ص ٨٥ .
٤) كتاب المدرسة الكلية السورية الإنجيلية ، ص٢ .

بسيطة بينها وبين ماتلقاه من علم على أيدى معلمين الكتاتيب فى القرى والمدن مثلا فيكون تلقين الطالب فى تلك المدرسة تعاليم الإنجيل سهلا ميسورا ، وإذا رجع إلى أهله استهزأ بعاداتهم وتقاليدهم ، واعتبرها تأخراً فى ركب الحضارة التى صورتها له تعاليم ومناهج الكلية الإنجيلية ونسى كل ما تعلمه فى صغره عن الإسلام وقيمة النبيلة بين مستوى المدارس الفقيرة المتخلفة مادياً فقط والغنية بتعليم كتاب الله ولو أنها كانت سيئة التعامل جداً ومن الصعب المقارنة بينها وبين مدارس الإرساليات على اختلاف أنواعها من حيث المستوى المادى.

ورغم كل ما حظيت به المدرسة السورية من منظر رائع يخلب الألباب إلا أن المشرفين عليها قاموا بتطويرها واضافة الكثير إليها . فتم تطويرها فى عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م حيث أنشىء فرع الطب فى الجامعة أو المدرسة الأمريكية وأضيف إليه فرع الصيدلة فى عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م وفى نفس العام انشىء الفرع التحضيرى للدخول فى الجامعة. وأنشئت كلية التجارة ، ومدرسة التمريض والقبالة فى المستشفى إلى جانب فرع الطب والأسنان وكذلك ألحقت كلية الهندسة وبعدها بعام كلية الزراعة(١) فى القرن الرابع عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى(٢). وكذلك أضيف إلى كلية الطب والصيدلة والتجارة ومدرسة للمعلمين ، ومدارس ثانوية وتحضيرية ، وبمبادرة من سميث وفانديك والبستانى واليازجى تلميذاً ، وتأسست الجمعية السورية للعلوم والفنون ثم أسس بطرس البستانى المدرسة الوطنية العلمانية فى بيروت والتى تحضر الطلاب لدخول الجامعة الأمريكية(٣).

ولقد اعتمدت المدرسة السورية الإنجيلية فى مواردها المالية على المرسلين البروتستانت (الأمريكيين) ونشاطهم فى جمع الأموال والتبرعات ، وكذلك كانت ترتبط بأرصدة تجمع لها فى أمريكا، كما اعتمدت على رجال الدين الذين يمولون عمليات التنصير من الإنجليز والأمريكان ، ويقومون بجمع التبرعات من الأغنياء والمؤسسات الخيرية(٤).

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص٢٠.
٢) كتاب المدرسة الكلية السورية الإنجيلية، ص٥.
٣) فى ربيع أول ١٣٣٩هـ/١٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٠م سمحت إدارة الجامعة فى نيويورك باستبدال اسم المدرسة الإنجيلية السورية باسم جامعة بيروت الأمريكية .
٤) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٧١.

وكانت المدرسة السورية تحصل على جزء من نفقاتها من الطلاب الداخلين إليها ، حيث كان الطالب المرشح للدخول فى أى قسم من أقسام المدرسة ما عدا الاستعدادية ، عليه أن يدفع نصف ليرة إنجليزية عن مأذونية تقدمه للامتحان على أنه بعد الامتحان إذا دخل أحد أقسام المدرسة ، أى قسم كان لا فرق بين الاستعدادية أو غيرها ، يرد قيمة ما دفعه عن مأذونية الامتحان لكن إذا ترك المدرسة ولم يدخلها غرم تلك القيمة ، لقاء أجرة الامتحان. أما بقية المرتبات والنفقات التى يتحملها الطالب فهي كما يلى:-

١ - الدائرة الطبية ، والدائرة الصيدلية (١) .
٢ - الدائرة التجارية من حيث التعليم والطعام وغرف المنامة وكتب التدريس فهى متشابهة مع الدائرة الطبية والدائرة الصيدلية فالتعليم عشر ليرات إنجليزية ، إلا أن يكون الطالب حاصل على بكالوريوس علوم من إحدى الكليات المعنية المعلومة فإنه لا يدفع إلا خمس ليرات إنجليزية فقط ، وعن الطعام على المائدة العمومية ١٣ ليرة إنجليزية وعلى المائدة الخصوصية ٢٥ ليرة إنجليزية. ويدفع الطالب عن غرف المنامة (النوم) - إلا إذا نام فى إحدى غرف المنامة العمومية فما عليه أن يدفع شيئاً لقاء ذلك - إذا أراد غرفة خاصة فعليه أن يدفع أجرتها. وتختلف أجور الغرف من ليرتين إنجليزيتين ونصف إلى خمس ليرات بناء على طلبه، ويدفع الطالب عن كتب التدريس بعد أن يقدم له قائمة بأسماء الكتب اللازمة مع أثمانها على التقريب فإن شاء استحضرها لنفسه وإن شاء اشتراها من مكتبة المدرسة ، ويدفع عن ثمن الدبلوما خمس ليرات إنجليزية.
٣ - أما عن المعمل الكيميائى ، فيدفع الطالب ريالان مجيديان(٢) وعن ثمن شهادة (إذا درس سنتين) ليره واحدة إنجليزية وعن ثمن دبلوما (إذا درس ثلاث سنوات) خمس ليرات إنجليزية.
٤ - الدائرة العلمية : عن التعليم خمس ليرات إنجليزية ، عن الطعام وغرف المنامة وكتب التدريس والمعمل الكيميائى مثل الدائرة التجارية .
٥ - وعن ثمن الدبلوما ليرة واحدة إنجليزية .

---

١) الدائرة الطبية والصيدلية ، تحدثنا عنها بالتفصيل في بداية الفصل الثاني من هذا البحث.
٢) الريال المجيدى والليرة المجيدية هى ليرة العثمانيين الذهبية المتداولة فى العصر العثمانى ، وسميت مجيدية نسبة إلى السلطان عبدالمجيد الأول ١٢٥٥-١٢٧٨هـ/١٨٣٩-١٨٦١م الذى كان أول من أوجد نقوداً ثابتة فى الدولة العثمانية ، انظر : وثائق خطية فى علائق آل طرزى بالملة السريانية ، ص ٧٧.

٦ - الدائرة الاستعدادية : عن التعليم والطعام وكتب التدريس فكما مر بنا عن المدرسة العلمية ، أما غرف المدرسة الخاصة فمن ليرتين الى ثلاث ليرات إنجليزية . وعن ثمن الشهادة ريال مجيدى واحد . أما نفقة لوازم الفراش والغسيل والكتب وبقية النفقات الشخصية فعلى كل طالب أن يقوم بها وتختلف كأشخاصهم (حسب استطاعتهم)(١).

وفيما يلى نورد أسماء المدرسين الذين اشتركوا بالعمل التنصيرى فى الكلية السورية الإنجيلية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري(٢):-

اسم المدرس	عمله/مواد التدريس
القس هورد بلس	دكتور فى اللاهوت
القس دانيال بلس	دكتور فى اللاهـوت وهو رئيـس شرف وأستاذ الفلسفة الأدبية وشرح الكتاب المقدس
القس جورج بوست	معلم للعلوم وهو دكتور طبيب فى جراحة الأسنان
القس هارفى بورتر	أستاذ التاريخ والعقليات
روبرت وست	مدير القسم الاستعدادى
هرمى كراهم	أستاذ الباثولوجيا
الفرد داى	أستاذ العلوم الطبيعية
ولتر أدمى	أستاذ الكيمياء والمواد الطبية
القس تشارلس دبشر	أستاذ التشريح وأمراض العين والأذن
القس جون تيسلى	أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها
فرنكلين مور	أستاذ الفسيولوجيا وأمراض النساء
القس وليم هال	معاون مدير القسم الاستعدادى
إدورد تكلى	مدير الدائرة التجارية
جبر ضومط	نائب أستاذ اللغة العربية وآدابها
هنرى شاربونية	نائب أستاذ اللغة الفرنساوية وآدابها
لبيب جريد ينى	معلم أول الرياضيات
داود قربان	معلم أول للغة العربية فى الدائرة التجارية
بولس خولى	معلم أول للغة العربية فى القسم الاستعدادى
جيمس بتش	مدرس فى الكيمياء
نقولا ثابت	معلم في اللغة الإنجليزية

---

١) كتاب المدرسة الكلية السورية الإنجيلية ، ص ١٠-١١.

٢) المرجع السابق ، ص ٦-٧.

مفرديج بوغوصيان	معلم في اللغة التركية ، آدابها
أنيس الراسى	معلم فى اللغة العربية
القس لويس ليرى	معلم فى الرياضيات
هنرى مكركت	معلم فى الإنجليزية
يوسف باريني	معلم فى اللغة الفرنسية
أدون باك	معلم فى الفسيولوجيا واللغة الإنجليزية
القس صموئيل مور	معلم فى الاقتصاد السياسى
جيمس براون	معلم فى اللغة الانجليزية والكتاب المقدس
القس الفرد باروز	معلم فى اللغة الإنجليزية
هورد أمويمك	معلم فى اللغة الإنجليزية
روبرت ستين	معلم فى الجغرافيا
نوبا بلتشر	معلم فى اللغة الإنجليزية
شكرى كساب	معاون فى المكتبة
ثريا نتوفيلولاداكس	معلم فى الصيدلة
خالد ثابت	معلم فى اللغة الإنجليزية
منصور جرداق	معلم فى الحساب
أوسكار إيمبر	معلم فى اللغة الفرنساوية
فلتشر كردنر	معلم الحساب والأدبيات

مناطق نشاط البعثة الإنجيلية الأمريكية فى سوريا:-

أنشأت البعثة الأمريكية عدداً من المؤسسات التعليمية والطبية التى تضم مدارس صغيره وكبيرة ومستشفيات ومطبعة ودوائر تنصيرية آخرى. ويبلغ عدد هذه المؤسسات اثنتى عشرة مؤسسة بعضها توقف عن العمل ، وكثير منها يعمل فى أفق أوسع وبإمكانيات أوفر . وتشترك البعثة مع غيرها من الهيئات فى إدارة مؤسسات أخرى مثل كليـة حلب وكلية اللاهوت للشرق الأدنى فى بيروت واتحاد التهذيب النصرانى .

كلية حلب :-

مدرسة ثانوية وتعتبر مثالا للتعاون النصرانى التنصيرى ويدعمها المجلس الأمريكى والكنيسة الإنجيلية الأرمنية ، وكانت فى عينتاب ومن ثم انتقلت إلى حلب وضمت قراها مع مدرسة سوريا الشمالية للبنين التابعين للبعثة البريسبتيرية والكنيسة الإنجيلية السورية ، وشيدت لها أبنية جديدة فى موقع ممتاز خارج مدينة حلب .

كلية اللاهوت للشرق الأدنى :-

هي وليدة اتحاد بين مدرستى لاهوت وهما : مدرسة العمال الدينين فى بيروت ومدرسسة الدينيات فى آثينا ، أما مدرسة العمال الدينين فيرجع تاريخها إلى عام ١٢٥١هـ/١٨٣٥م عندما افتتح القس وليم طومسون مدرسة لاهوت فى بيروت لاعداد مساعدين من أبناء البلاد للوعظ والتنصير وإقامة الصلاة (١).

وقد كانت هناك بعثة علمية أمريكية بروتستانتية فى مدينة اللاذقية تنتمى إلى كنيسة «بتسبرغ» فى بنسلفانيا ، وقدمت هذه البعثة العلمية إلى اللاذقية عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م وشعرت بموقف الحكومة من العلويين أنه موقف إهمال وعدم اكتراث ، فحصلت من الحكومة على إجازة بفتح مدرستين ابتدائية للإناث ، وإعدادية للذكور وأعدت فى كل منها قسماً داخلياً (ليلياً) وقبل فيه الطلبة العلويون مجاناً، وتقدم إليهم اللوازم المدرسية - من كتب وقرطاسية وآلية - مجاناً ، ويقبل بالأجور المعتدلة الغرباء من مدينة اللاذقية من غير العلويين. فقبل من القرى المجاورة للاذقية طلبة من قرى المتن (متن عرنون) والسويدا فى قضاء المرقب ، ومن بلدة كسب وغيرها ، واختص القسم النهارى الخارجي بأبناء اللاذقية النصارى . والهدف من إبقاء غير النصارى أكبر مدة ممكنة ليلا ونهاراً لدى هذه المدارس هو تلقينهم العادات النصرانية فى أكبر مدة ممكنة ، حتى لايرجعون إلى أهليهم فترة من الزمن فيلمسون الفرق بين السلوك المدرسى وسلوك الأهل المسلمين وبذلك يتمكن المرسلون الأمريكان من كسبهم إلى طائفتهم.

وكانت هذه المدرسة تتلقى مساعداتها المالية من التبرعات السخية للمحسنين الأمريكان ، أما المعلمين والمعلمات فهم من أبناء الوطن ، بينما احتفظ الأمريكان بالإدارة .

ولقد اعتنت هذه المدرسة بتعليم اللغة العربية وقواعدها الأساسية إلى جانب تعليم اللغة الإنجليزية ، وكان تأثيرها كبيراً لمن درسوا فيها ، حتى «أن بعض العلويين اعتنق النصرانية دون أن يلقى هذا الاعتناق أى اعتراض أو تذمر من قبل إخوانهم الذين يؤلفون الأكثرية فى الجبل

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٢٢.

وضواحى المدينة ولا من قبل الحكومة أو أحد المسلمين المسنين»(١). وهذا يدل على تفكيك المجتمع العلوى فى الجبل وعدم اكتراث الحكومة على أمر جلل كتنصير مسلم ولو كان هناك من المدارس ما يكفى لهؤلاء لما اضطرهم للتعليم فى مدارس المرسلين الأجانب ، ولا نلقى باللوم على المسنين من المسلمين ، الذين ربما ألقوا كلمة حق أو نصيحة لهؤلاء الشباب ولكن دون أن يستمع إليهم أحد لأنه فى مفهومهم أنهم تلقوا العلوم الحديثة فيحسبون أن المسنين متخلفين عنهم فى ركب الحضارة المادية - بل التخلف المادى الغربى الملحد - فلا يستمعون إلى نصائحهم ولا يلقون لها بالا حتى ولو كان هؤلاء المسنين آباءهم ، فهم أبناء عاقون تربوا على أيدى نصارى وليسوا بمسلمين أصلا ولا نعتبر أنهم مسلمون تنصروا بل هم لم يعتنقوا ديانة قبل ذلك عندما دخلوا مدارس النصارى فكان من السهل عليهم حفظ مادرسوه وتعلموه فيعتنقوه بكل اقتناع .

المطبعة الأمريكية :-

فكر الأمريكيون فى استخدام مطبعة تخصهم لتسهيل خدمة الأغراض التنصيرية البروتستانتية وتحقق لهم ذلك عندما وصل دانيال شميل وزوجته قادمين من بوسطن ، والتقيا فى مالطة مع فسك فى عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م وكان فى معيتهما مطبعة لتخدم أهداف التنصير فى مناطق البحر المتوسط ، ووقع اختيار الأمريكان على جزيرة مالطة كمركز لنشاطهم التنصيرى فى المنطقة ، لأنها بحكم تبعيتها للاستعمار البريطانى لم تكن إدارتها تعارض التنصير البروتستانتى ، ولأنها نقطة التقاء فى شبكة المواصلات التى تربط بين أجزاء البحر المتوسط. ومن مالطة انطلق فى عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م ثلاثة من المنصرين صوب القدس عن طريق مصر (٢). وتوقفوا فى مدينة «غزة» ثم استقر أحد المنصرين فى مدينة القدس وانتقل الآخران (فسك وكنج) إلى مدينة يافا ، فصيدا حتى بلغا بيروت ووقع اختيار فسك على بيروت لتكون مركزاً لنشاطه التنصيرى بسبب أهميتها التجارية ، ومدينة بيروت عامرة بالسكان حيث كان يقطها حوالى ٥٠٠٠ شخص فى نفس الفترة ، ولها ظهير ممتد فى سوريا الداخلية كلها ، وقد عمر هذه المنطقة جماعات تفرق بينهم الأديان والمذاهب والنحل ، وكذلك بسبب قرب بيروت جغرافياً من دمشق

---

١) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثمانى ، ص ١٠٠-١٠١.

٢) عبدالعزيز عبدالغنى إبراهيم : بداية التنصر الأمريكى فى بلاد الشام ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - العدد الثامن ، ص ٩٨.

وطرابلس وصور وصيدا وجزيرة كريت حيث تقع كلها فى دائرة تشكل بيروت مركزها ، ولا يتعدى الوصول إلى أى أطرافها أكثر من يومين أو ثلاثة بمواصلات ذلك العصر . إضافة إلى اعتدال جو بيروت ، وجمال طبيعتها وموقعها وكثرة خيراتها .

وفى عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م وصل المنصران اسحق بيرد ووليام جوديل إلى مالطة مصحوبان بزوجتيهما ، وبدأ الرجلان يدرسان اللغة الايطالية وفى ربيع أول عام ١٢٣٩هـ/ نوفمبر (تشرين الأول) عام ١٨٢٣م وصلا إلى بيروت وانضما إلى مجموعة المنصرين الأمريكين بها، ووجد الجمع ترحيباً وحماية من قبل القنصل البريطانى فى بيروت . وبهذا أقيمت أولى دعائم البعثات البروتستانتية فى المنطقة السورية حيث بدأ «بيرد» بدراسة اللغة العربية وشهد عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م نشاطاً كبيراً لهذه البعثة فى تلك المنطقة . أما زوجات المنصرين فقد بدأن فى هذه الفترة نشاطاً علمياً . وافتتحن من أجل هذا الهدف فصلا بدأ بستة من التلاميذ العرب .

ولقد واجهت هذه البعثة عقبات كثيرة ، فتصدت لهم الدولة العثمانية وكذلك الطوائف النصرانية الآخرى والأهالى الوطنيون . ولم تستقر بعثة القدس التنصيرية بسبب الاضطرابات والأزمات فتوقفت عن عملها. وتكررت المحاولة ومن العوامل التى أثرت فى نشاط البعثة كذلك سفر كنج إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهلك فى هذه الفترة بلنى وفسك فى بيروت. ونكست عند موتهما الأعلام الأوروبية الممثلة فى بيروت . وكذلك توفى المنصرون الموجودون فى القدس فى تلك الفترة . ولم يبق فى بيروت إلا ثلاثة من المنصرين الأمريكان منهم إيلى سميث وهو أبرزهم نشاطاً ، حتى أنهم كسبوا إلى صفوفهم بعض الأتباع من الموارنة واليونانيين قدروا بنحو عشرين شخصاً ، ولكن ظل نشاط البعثة متعثراً حتى شوال عام ١٢٤٤هـ/مايو ١٨٢٨م حين اضطرت البعثة ومن اتبع ملتهم إلى أن تغادر الأرض العربية بعد معركة نفارينو، ومغادرة السفراء اسطنبول ومغادرة القنصل البريطانى بيروت(١).

وكان أول عمل خطير تقوم به المطبعة الأمريكية فى بيروت هو ترجمة التوراة ، الى لغة عربية سهلة وصحيحة ، ووزعت المطبعة الكتب الدينية

---

١) عبدالعزيز عبدالغنى إبراهيم : بداية التنصر الأمريكى فى بلاد الشام ، ص ٩٩.

المترجمة بالمجان أو بمبالغ رمزية أحياناً ، وبدأ استعمال سفر المزامير في تعليم الكتابة والقراءة ، وأصبح نشاط البعثة في التأليف والترجمة ملحوظاً ، ودخل إلى هذا المجال ثلاثة من أبناء المنطقة السورية هم : بطرس البستاني ، وهو من أشهر الوطنيين الذين عملوا في خدمة التنصير الأمريكي في بلاد الشام وقد كان مارونياً ثم اجتذبته الكنيسة البربسبتيرية . وناصيف اليازجي ويوسف الأسير .

ولقد وضع بطرس البستاني المسودة الأولى لترجمة «للكتاب المقدس» عن اللغة العبرية، وقد ساعد هؤلاء الوطنيون في توسيع الدائرة الثقافية للمطبعة الأمريكية حيث بدأ بتنقيب جاد عن كتب الأدب العربي المهملة في زوايا الأديرة والكنائس وفي مكتبات بعض الأمراء والمكتبات الأخرى ، وأعادوا طبعها ونشرها (١) .

وكانت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية أول ما قام به أعضاء البعثة الأمـريكية وأولوه جليل اهتمامهم . فقد تشكلت لجنة لدراسة الموضوع مؤلفة من د. ايلي سميث وكورنيليوس فان دايك (٢). وفي عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م قررت البعثة البدء في المشروع ، وفي عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م طبعت آلاف النسخ من الكتـاب المقدس باللغة العربية وانتشرت في مختلف البلاد العربية. ويرجع ذلك إلى جهود د. فانديك الذي تعلم العربية على يد ناصيف اليازجي ، واستعان به في ترجمة الكتاب المقدس .

---

١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : بداية التنصير الأمريكي في بلاد الشام ، ص ١٠٢ - ١٠٣.

٢) كورنيليوس فان دايك :- من كبار المنصرين الأمريكيين الذين وفدوا إلى بلاد الشام ولد في بلدة كنيدرهوك بولاية نيويورك في عام ١٢٣٤هـ/١٨١٨م درس الطب في كلية جفرش بفيلاديفيا ، وجاء إلى بيروت في عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م وكان طبيباً مدنياً مع البعثة التنصيرية المشيخية (البربسبتيرية) وكان من أول أعماله في بيروت أن بدأ تعليم العربية حتى أصبح ضليعاً فيها . وصار يتحدثها ويكتبها كأبنائها المثقفين. وألف بها كتباً في شتى الموضوعات ، بقي بعضها متداولا جيلين أو ثلاثة. مات في عام ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بعد أن قضى في بلاد الشام ٥٥ عاماً في عمل متصل. واستطاع أن يتغلغل في صميم حياة الناس ، وتفوق بذلك على جميع الأجانب الذين وفدوا في بلاد الشام ليعملوا فيها خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي . أنظر نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية في بلاد الشام ، ص ٢٥ - ٢٦.

قامت البعثة الأمريكية بنشر كتاب الترانيم الروحية بالتعاون مع الوطنيين الإنجيليين وظهر أول كتاب للترانيم فى عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ويضم ٢٣١ ترنيمة ومزمار ، وبعد خمس سنوات أعيد طبعه ، فأصدرت المطبعة الجديدة ٢٧٠ ترنيمة ارتفعت فيما بعد إلى ٤٣٢ ترنيمة .

ولقد اهتمت البعثة الأمريكية بالكتب الدراسية ، بما فيها القواميس ، فعملت على نشر كتب فى العلوم واللغة العربية والرياضيات والفلسفة وسلسلة كتب التهذيب التدريجى فى التعليم النصرانى ، ومعجم البستان وفاكهته للشيخ عبدالله البستانى . كما ظهرت فى عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م مجلة سنوية تسمى «مجموعة فوائد» ، وهى من أوليات المجلات التى ظهرت باللغة العربية . ومجلة أخبار عن انتشار الإنجيل فى أماكن مختلفة وهى نشرة شهرية مصورة وهاتان النشرتان الأخيرتان مهدتا لظهور نشرة أسبوعية فى عام ١٢٨٦هـ/١٨٧٩م ، وأدمجت بها مؤخراً مجلة النسيان التى كان يصدرها اتحاد المدارس الأحدية فى آسيا العربية. ثم عادت دائرة المطبوعات وفصلت هاتين المجلتين فعادتا للصدور كل منهما على حدة. ويشترك فى تحرير «النشرة» عدد من المنصرين الأمريكيين والوطنيين نذكر منهم : إيلى سميث الذى كان أول مدير لها ، وفانددايك ، وصموئيل جسب ، وهنرى جسب ، وفرنكلين هسكتس ، وليم مارش، وليم كرينسليد القس وروبروت بايرلى ، وهم جميعاً من المرسلين الأمريكان . وعرف من الوطنيين : إبراهيم سركيس ، رزق الله بربارى ، أسعد شدودى ، إلياس بهنا ، اسكندر هافي ، الشيخ إبراهيم حوارنى ، نيقولا غيريل ، شاكر نصار ، يوسف غريب ، وأخيراً إبراهيم مطر .

وأصدرت مكتبة المشعل منذ أن تأسست ما يقرب من خمسين مؤلفاً وتبنت طبع كتابين لرابطة الكتاب النصارى و٤ كتب من سلسلة «الكتاب المسيحى» (١).

مناطق نشاط البعثات البروتستانتية الآخرى فى لبنان :

أ) المرسلون الطليان :-

يرجع وجود المرسلين الطليان فى لبنان إلى العلاقة التى كانت بين فخرالدين الثانى وإيطاليا. حيث كانت بين الطرفين اتفاقيات تجارية تسمح

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص٢٥-٢٧.

للغة الإيطالية بأن يتداولها التجار فى الشؤون الاقتصادية والتجارية حتى فى المعاملات اليومية ، ومع الزمن فرضت هذه اللغة نفسها فى مجال التجارة ، ويرجع تفوق هذه اللغة فى تلك الفترة من الزمن إلى عدة عوامل :

أ- نشر طلاب الكلية المارونية اللغة الإيطالية أينما حلوا .
ب- سيطرة أهل مدينتى جنوه والبندقية الإيطاليتين على المواصلات البحرية وكانت لهم مؤسسات عديدة على طول الشاطىء .. فأصبحت لغتهم الأكثر تداولا . إلا أن اللغة الفرنسية حلت محل اللغة الإيطالية ، فيما بعد ، وذلك لعدم مجاراتها لبعض الألفاظ والمصطلحات فى اللغة التجارية والاقتصادية (١).

وبلغ عدد المدارس الإيطالية فى بيروت أربع مدارس وهى :-

١- مدرسة ابتدائية للبنين فى رأس بيروت ، تضم حوالى ١٥٠ تلميذاً أغلبهم من الموارنة ، وخمسة معلمين إيطاليين وأربعة من السكان المحليين ، واللغة الإيطالية هى أساس التعليم فى تلك المدرسة .
٢- مدرسة ابتدائية للبنات فى رأس بيروت ، وتضم أكثر من ثلاثمائة طالبة، وست معلمات إيطاليات واثنتين من الأهالى ، كما كان هناك مؤسسة للشبان الصغار تشرف عليها معلمتان إيطاليتان(٢).
٣- مدرسة تجارية وهدفها نشر اللغة الإيطالية والنفود الإيطالى فى منطقة الشام وفى (لبنان) كان مدير المدرسة يرأس وكالة تجارية .. وتضم المدرسة التجارية أربع فصول . أما التلاميذ المنتظمون فيقبلون مجاناً فى المدارس العليا التجارية فى إيطاليا . وتتضمن المواد الدراسية بشكل عام : مبادىء المحاسبة ، والرياضيات والجغرافيا التجارية ، والتعليم بالإيطالية ، والفرنسية ، أخيراً لأنها كانت لغة التداول التجارية .
٤- مدرسة للسيد بنيتي (Benetti) : تضم هذه المدرسة حوالى أربعين طالباً يتلقون تعليماً ابتدائياً صرفاً ، وكانت تدرس الإيطالية والفرنسية ويقوم بالتدريس السيد بنيتي (Benetti) ويعاونه معلمان من أهالى البلاد.

وهناك عدد من المدارس يشرف عليها آباء الفرنسيسكان للأرض المقدسة فى مختلف المدن ، حيث تنتشر هذه البعثات حيث العواطف

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .
٢) طلال عتريسي : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

والميول والمصالح الإيطالية . وأبرز المدارس فى لبنان ، مدارس طرابلس للبنين و البنات لتعليم الإيطالية وفى فلسطين افتتح الإيطاليون مدرسة لهم الناصرة ، والتى تمثل فيها التنافس بين الفرنسيسكان والإيطاليون حيث اتبعوا كل الوسائل الممكنة وللمرسلين الكاثوليك مدارس فى المدينة وخاصة مدرسة الكاثوليك المعروفة باسم الإخوة ، (Les Freves) ، أما خارج هاتين المنطقتين فلا يبقى سوى بعض المدارس الصغيرة الملحقة بالأديرة فى الأرض المقدسة (١).

ب) البعثة السورية البريطانية فى لبنان : (B.S.M.- British Syrian Mission)

بدأ النشاط الإنجليزى فى لبنان ، عندما قدم «لوذيان» - وهو إنجليزي ميسور الحال - إلى لبنان ليقضى فيه بقية أيامه. نزل فى بيروت عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ثم ضرب خيامه فى ضاحية «عاليه». واستغرب الأهالي حلوله بينهم ، وكانوا يخرجون إلى مضرب خيامه للتفرج عليه ولكن الخاصة منهم كانوا يتحدثون فى أمره ويحسبون لمجيئة ألف حساب . ثم علم بخبره شرشر بك فى «بحواره» فاستقدمه إليه وابتهج بملقاه وأشار عليه أن ينتقل ويسكن عنده . ففعل وابتنى له داراً صغيرة وجعل أمامها حديقة يختلف إليها ويشتغل فيها . وتعرف إليه الشابان سليمان صليبي وإلياس صليبي فأخذا يساعدانه ببعض حاجاته وتمكنا من تعلم بعض الكلمات الإنجليزية منه وكانا يكتبانها بحروف عربية ويستخدمانها فى المعاملة اليومية والاقتصاد فأعجب ذلك «المستر لوذيان» وأغرى سليمان بالدخول إلى مدرسة عبية ، ونشأ على المذهب الإنجيلى ، أما إلياس فقد استفاد من اختلاطه مع أخيه سليمان والمستر لوذيان الذى استصحب إلياس معه إلى بلاده فى عام ١٢٧٩هـ/١٨٥٢م وهناك انبهر بالبلاد الأجنبية فى ذلك الوقت ، وتأثر بكلام الوعاظ وأهل الدين النصرانى وسلوك الناس فى آيام الآحاد حيث كانوا لا يخرجون من منازلهم إلا للمعابد ثم يعودون ولذلك كانت أزقة المدينة وشوارعها تبدو خالية خاوية . وعند ذلك تمنى إلياس الصليبى على الإنجليز لو ساعدوا أبناء وطنه بالمال لتنوير أذهان اللبنانيين بواسطة المدارس ، فوافقه «لوذيان» على فكرته وطفقا يسعيان معاً يقصدان الموسرين ويستدران جودهم ويعقدان الاجتماعات العمومية ، ولوذيان يعرف القوم بالصليبى . ويذكر لهم حاجة لبنان إلى العلم والتهذيب . فتم لإلياس بعض النجاح واجتمع لديه «ثمانون ليرة إنجليزية». ورجع إلى لبنان فى عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م وقدم للأمريكيين فى بيروت المبلغ المذكور ليستغلوه فى سبيل فتح المدارس ولكنهم أبوا قبوله مع أنهم تخلوا له عن مدرستهم فى «بحواره» وتركوا له حرية التصرف مع

---

١) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٨٠-١٨١.

أخيه. وبالفعل وصل الصليبى إلى بحواره ، ووجد هناك تجاوباً من الأهالى ، وأشرك إلياس الصليبى جيرانه فى القرى القريبة بمال الإحسان وافتتح مدرسة في كل من بتاتر وبتختية وعاليه.

ورجع إلياس إلى انجلترا مرة آخرى عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م - مزوداً برسائل التوصية من المستر لوذيان - ليستثيرهم فى توسيع نطاق المدارس فى لبنان ، وحين بلغ مقاطعة كارليل منتجعه القديم تردد على معارفه فيها ، وقدم إليهم رسائل التوصية فوجد منهم ترحيباً ، وأشار أحدهم بأن يؤلف المعلم إلياس جمعية من كبار الرجال والأدباء يكونون أمناء على المال الذى يجمع ، فاستجاب لذلك الأمر وشكل لجنة من الأمناء برئاسة القس «جايمس لمسدن عميد كلية اللاهوت فى إبردين» وعضوية عدد من مشاهير القساوسة وكبار رجال الدين منهم «وليم لكي» أمين صندوق بنك سكوتلاندة للتجارة، والدكتور روبرت يونغ ، أمين سر عام. ولم يلبث طويلا حتى نشرت الجرائد أخباره فذاع أمره وعقدت الاجتماعات الخاصة والعامة لتأييد مشروعه فتوفر لديه مبلغ كبير من المال. وأرسله إلياس الصليبى إلى أخيه الذي قام إلى عبية ليقف على رأى معلمه المستر كلهون - القنصل الأمريكى - بشأن المدارس ، فكان من أثر ذلك أن عقد اجتماع فى عام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م بين كبار المهتمين بفتح المدارس التنصيرية فى لبنان وذلك فى دار المستر (سكوت) فى شملان ، حضره «كلهون» قنصل أمريكا فى لبنان وسكوت ، ولوذيان والمعلم بطرس البستانى وسليمان الصليبى من الوطنيين . واتفقوا بالإجماع على أن يكون (بلاك) التاجر الإنجليزى فى بيروت أميناً للصندوق. وزاد عدد المدارس بالتدريج حتى بلغت فى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م١٨مدرسة(١) كالآتي :

مكان المدرسة	تاريخ التأسيس	مكان المدرسة	تاريخ التأسيس
سوق الغرب للبنين	١٢٧٣هـ/١٨٥٦م	مدرسة عينتاب	١٢٧٥هـ/١٨٥٨م
باشمون	١٢٧٦هـ/١٨٥٩م	الشوير	١٢٧٦هـ/١٨٥٩م
بسكنتا	١٢٧٧هـ/١٨٦٠م	معلقة زحلة	١٢٧٧هـ/١٨٦٠م
رأس المتن	١٢٧٨هـ/١٨٦١م	العبادية	١٢٧٨هـ/١٨٦١م
زحلة	١٢٧٨هـ/١٨٦١م	سوق الغرب للبنات	١٢٨٠هـ/١٨٦٣م
بحمدون	١٢٨١هـ/١٨٦٤م	كفر زبد	١٢٨١هـ/١٨٦٤م
تولا البقاع	١٢٨٣هـ/١٨٦٦م	دير قوبل	١٢٨٥هـ/١٨٦٨م
دير الغزال	١٢٨٥ـ/١٨٦٨	مجدليا للذكور	١٢٨٧هـ/١٨٧٠م
بحمدون للإناث	١٢٨٧هـ/١٨٧٠م	حمانا	١٢٨٨هـ/١٨٧١م

١) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١٠٤-١٠٥.

ولقد وجد إلياس الصليبى صعوبة فى توفير المدرسين لهذه المدارس لقلة المدرسين المتخرجين من مدرسة عبية الأمريكية وفى عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م، أغرى بعض الشباب بالدراهم بأن يتعلموا ويستعدوا لمدة ثلاث سنوات ثم يخرجوا للتدريس فى تلك المدارس، فتعهد أن يعطى كل واحد منهم خمسة قروش عن كل يوم تدريس تعويضاً عما يخسرونه من ترك أعمالهم. فكانوا يتعلمون نهاراً ويبيتون ليلا فى بيوتهم. وأنشأ مدرسة عاليه فى سوق الغرب تدرس هؤلاء الشباب العلوم المختلفة وتدربهم فن التدريس وقد ابتدأت المدرسة بستة شباب وكان يدرس هؤلاء الشباب سليمان الصليبى وإبراهيم معلوف يدرسان العلوم بالعربية والمستر لوذيان ليعلمهم مبادىء الإنجليزية(١)

ولم يفتر اهتمام إلياس الصليبى بخصوص إقامة مدرسة تابعة للمذهب البروتستانتى بل كان يتردد على بلاد الإنجليز كل سنتين أو ثلاث أو يكتب لأصدقائه فى إنجلترا بذلك وظل كذلك حتى تم جمع النفقة اللازمة للبناء ، فكتب أصدقاءه له من إنجلترا بذلك ، وتبرع هو بالأرض اللازمة مجاناً . ولم ينقض الحول حتى تم البناء وانتقل إليه المعلمون والتلاميذ فى عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م. وتعرف فى إحدى سفراته إلى بلاد الإنجليز فى عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م بعقيلة بارفيلد وابنتها ولهما بعض المعرفة فى تعليم البنات ، فسعيا فى جمع النفقة اللازمة لبناء مدرسة داخلية للبنات ، وبنيت المدرسة بالفعل . وكان إلياس قد جمع من التبرعات ماينيف عن ثمانمائة ليرة لبنانية من الموسرين الإنجليز وعمل بعد ذلك على إقامة مدرسة للبنات، وكان يهتم أيضاً بالآلات الزراعية فيأتى بها من إنجلترا ويستخدمها فى أعماله . وحدث أن اتهمه حساده بأشياء مريبة فكتبوا إلى أعضاء الجمعية فى إنجلترا بذلك ، فأرسلت الجمعية وفداً لزيارة مدارس إلياس الصليبى والوقوف على أحوالها وأرسلوا اثنين من كبار رجال الكنيسة المعروفين أحدهم «اسكندر دف» الذى كان يعمل منصراً فى الهند والآخر «جيمس لمسدن» عميد كلية اللاهوت فى جامعة «إبردين» وذلك عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ومكثا أسبوعا فى بيروت قضياه فى زيارة مدارس المرسلين فيها لكى يتمكنا من مقارنتها بمدارس الصليبى ، وبعد المقارنة وجدا مدرسة الصليبى فى حالة حسنة من الترتيب والنظافة والعناية بالتعليم والتهذيب ولا تختلف عنها من مدارس المنصرين فى البلاد الشامية ، فركبا البحر وعادا فى منتصف حزيران عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م وأسقطا عن الصليبى التهمة .

وفى عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م عينت الجمعية مساعداً للمعلم إلياس الصليبى يكون راعياً للكنيسة فى سوق الغرب ومديراً للمدرسة العالية فيها بعد أن أخذوا رأى الصليبى بذلك فوافق عليه بعد تعرفه على الرجل وهو القس

---

١) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية، ص ١٠٥.

«يوحنا راى» فتولى إدارة المدرسة العالية واستلم زمام المدارس الأخرى لأن المعلم إلياس كان لا يزال فى مدارس الإنجليز. ولما رجع إلياس إلى لبنان فى عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م استلم الرئاسة العامة على المدارس وأقر القس يوحنا راى على إدارة المدرسة العالية وعملا معاً إلى آخر العام . ثم بعدت الثقة بينهما وأفضى الامر إلى استعفاء الصليبى من الرئاسة. وتعرف المستر «يوحناراى» على أحد طلبة المدرسة العالية فى سوق الغرب يدعى جرجس همام وذلك عندما كان فى الثالثة عشرة من العمر وكان حاد الذكاء عظيم الموهبة ، وقد أعجب بمقدرته فى الترجمة ، والذى أحدث انقلاباً عاماً فى طرق التعليم فى لبنان وغيره من الاقطار المجاورة. ورأى المستر راى بعد اختلافه مع المعلم إلياس ، أن يرحل إلى الشوير ليجعل منها مركزاً جديداً لأعمال المدارس ويبعد عن المعلم إلياس الصليبى. وأسس مدرسة الشوير العالية فى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ، أما المعلم إلياس فقد رحل بعياله إلى لندن وأقام فيها (١)

وهكذا اتخذ التنصير العلم والدين وسيلة إلى استعباد الأفراد والشعوب ثم إجبارهم على الاستكانة أمام سلطان السياسة المادى. ولقد سخّر التنصير العلم الكاذب لإفساد الشعوب ونشر الضلال وكانت مدارس التنصير هى المعاول الهدامة لقتل المثل والأخلاق والعقائد «يقول المنصر جسب إن مدارس البنات فى بلاد الإسلام هى بؤبؤ عينى لقد شعرت دائماً أن مستقبل الأمر فى سوريا إنما هو بمنهج تعليم بناتها ونسائها. لقد بدأت مدرستنا للبنات فى بيروت وليس لها بعد بناء خاص بها، وها هى ذى قد آثارت اهتماماً شديداً فى أوساط الجمعيات التنصيرية»(٢).

ولقد قامت مجموعة من النساء المنصرات بالانضمام إلى البعثة السورية البريطانية ، والمكلفات بالعمل بين النساء المسلمات فى بلاد الشام ، فبدأت هذه البعثة نشاطها فى سورية منذ عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م بجهود السيدة إليزابيث لويد زوجة د. جيمس طومسون المنصر الذى كان يعمل فى اسطنبول وأنطاكية فأرادت زوجته أن تكمل ما قام به زوجها فى حياته . فنزلت إلى بيروت فى عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م بمساعدة اللورد دوفرين قنصل بريطانيا العام فى بيروت ، والذى أمن لها السكن المناسب والذى أصبح مقراً للبعثة فيما بعد. ثم سعت إليزابيث لويد إلى تأليف لجنة فى إنجلترا برعاية اللورد سافتسيرى سميت باسم «لجنة السيدات لتحسين حالة النساء

---

١) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية، ص ١٠٧.

٢) محمد محمود الصواف : المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ، ص ٢١٢-٢١٣.

السوريات الدينية والإجتماعية» ثم اختصر هذا الاسم إلى البعثة السورية البريطانية وقامت هذه البعثة بالإشراف على المدارس التنصيرية للبعثة فى كل من دمشق ، وصور ، بعلبك ، وشملان ، وحاصبيا، وعين زحلتا، وبيروت (١).
ولقد افتتحت البعثة السورية البريطانية عدة مدارس للفتيات ، منها:-

١- معهد للفتيات فى بيروت وهو مجاور لمؤسسة أخوات القديس يوسف ومنافس لها، ويضم حوالى ستين طالبة داخلية وستين طالبة خارجية . والتعليم فى هذا المعهد باللغة الإنجليزية والعربية ، ويقوم على التعليم ثلاث معلمات من سكان البلاد وثلاث معلمات آخريات أجنبيات إنجليزيات
٢- مدرسة إبتدائية للبنين فى رأس بيروت والتحق فيها ثمانون تلميذاً يقوم على تعليمهم ثلاثة مدرسين ، ويقتصر التعليم فيها على اللغة العربية.
٣- مدرسة إبتدائية للفتيات فى رأس بيروت ، فيها أربعون تلميذة يقتصر التعليم فيها على اللغة العربية .
٤- مدرسة إبتدائية آخرى للفتيات فى بيروت فى حى الروم الأرثوذكس ، فيها خمسون تلميذة يقوم على تعليمهم أستاذان ، والتعليم باللغة العربية .
٥- الى جانب مدرسة للذكور فى رأس بيروت والتى إلتحق فيها حوالى ثمانين تلميذاً يقوم على تعليمهم ثلاثة مدرسين ، والتعليم باللغة العربية(٢)

ولقد شملت المؤسسات التربوية البريطانية عدا عن البعثة السورية البريطانية ، رابطة أصحاب المنصرين فى الخارج ، وبعثة للمدارس البريطانية فى عين عنوب وشملان.

ولقد انضم إلى البعثات السابقة عدة بعثات آخرى متفرقة وهي :-

أ- البعثة الدنماركية : تعمل فى المدن الداخلية مثل النبك ، ولها مستشفى يعرف بالمستشفى الدانماركى .
ب- البعثات التربوية البروتستانتية الفرنسية .
ج- المؤسسات الايرلندية وشملت :البعثة المشيخية الإيرلندية ، والبعثة المشيخية المصلحة (Reformed Prebyterian Mission).

ولتوحيد جهود مختلف الهيئات البروتستانتية العاملة فى بلاد الشام ، تم التنسيق فيما بينها لتبادل المعلومات فتأسس المجلس المسيحى للشرق الأدنى :- (Near East Christian Council) وجعل له مركز تنفيذى فى القاهرة ثم نقل إلى بيروت أخيراً(٣).

النشاط البروسي البروتستانتي في لبنان :

شكلت الجاليات البروتستانتية الفرنسية والسويسرية والألمانية

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٢٧ - ٢٨.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص١٨٣.
٣) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٢٨-٣٣.

المقيمة فى بيروت ، جماعة بروتستانتية غلب عليها الطابع الألمانى ، ولقد افتتحت البعثات الألمانية مدارسها فى بادىء الأمر للأطفال الألمان خاصة ، ثم دخل بعض أطفال الطائفة الأرثوذكسية فيها ، ولكنها لم تحقق نفوذاً ملحوظاً بين البعثات المتنافسة من كاثوليكية وبروتستانتية : يقول أحد الفرنسيين معلقاً على نشاطهم «على المهندسين الألمان أن يتعلموا لغتنا كى يسمعهم الناس ويتفاهموا مع موظفيهم» (١) وهذا دليل على عدم انتشار اللغة الألمانية فى بلاد الشام .

وفى ربيع ثانى عام ١٢٦٣هـ/مارس (آذار) ١٨٤٦م وقع اختيار فريدريش ويلهلم الرابع على صموئيل غوبات (٢)(Samuel Gobat) الذي اشتهر بنشاطه التنصيرى السافر ، حيث وجه جل اهتمامه التنصيرى نحو العرب ، بعد أن كان الهدف من إنشاء الكنيسة الإنجليكانية فى القدس والبعثة التنصيرية التابعة لها برئاسة غوبات ، هو تنصير اليهود فى فلسطين . وبدأ غوبات بتنفيذ خطته المدروسة بإنشاء مدارس الكتاب المقدس للأطفال على اختلاف طوائفهم من المسلمين والنصارى واليهود فى فلسطين وشرقى الأردن ، ولكن اعترضته عقبات عديدة فى تنفيذ خطته ، حيث وجد نفسه وجها لوجه فى

---

١) طلال عتريسي :البعثات اليسوعية ، ص ١٧٤.

٢) صموئيل غوبات : ولد غوبات فى ١ رمضان عام ١٢١٤هـ/ ٢٦ يناير (كانون الثانى) ١٧٩٩م فى قرية صغيرة فى منطقة جورا (Jura) الفرنسية التى ضمت بعد سقوط نابليون إلى كانتون برن السويسرية. درس فى مدرسة القرية حتى بلغ سن الخامسة عشرة . وتربى فى أحضان الكنيسة الإصلاحية فى سويسرا. وتدرب على التنصير فى معهد بازل (Basel) وتعلم اللغة العربية فى باريس على يد المستشرق الفرنسى دو ساسى (De Sasel) ثم سيم فى الكنيسة الموحدة فى مملكة بادن الكبرى حيث اتحدت الكنيستان اللوثرية والإصلاحية فى كنيسة واحدة . رحل غوبات إلى إنجلترا فى عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م حيث عينته جمعية التنصير الكنائسية (Cim.s) منصرا فى الحبشة . وقبل أن يتولى مهمته الجديدة دخل كلية اسلنجتون (Islington) للتدريب فيها لبضعة أشهر . وفى طريقه إلى مركز عمله الجديد ، قضى غوبات ما يزيد على ثلاث سنوات زيارة لمالطة وفلسطين وجبل لبنان ومصر حيث تمكن من تحسين لغته العربية ونقل من الحبشة إلى مالطة . ولما انشئت الكلية البروتستانتية فى مالطة عين غوبات قسيسا فى كنيسة إنجلترا ، وعين نائبا لمدير الكلية وبعد شهر من افتتاح الكلية فى عام ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م تلقى غوبات دعوة ملك بروسيا لتسميته مطراناً على القدس ، ونقل ، كسلفه ألكسندر ، ببارجة بريطانية من الأسطول الملكى إلى فلسطين ، قضى ثلاثة وثلاثين عاماً من عمره أسقفا للقدس ، إلى أن مات فى ١ جماد ثانى عام ١٢٩٧هـ/ ١١ آيار ١٨٧٩م ، ودفن فى المقبره الإنجيلية على جبل صهيون فى مدينة القدس.

صراع مع كنيسة الروم الأرثوذكس والكنيسة الكاثوليكية والسلطات المدنية والدينية الإسلامية ومن الطائفة اليهودية وجمعية يهود لندن التنصيرية والقنصل البريطاني في القدس (١).

ومن الجدير بالذكر أن الطائفة الأرثوذكسية اعتبرت مرتعاً خصباً للنشاط التنصيري بينما لاقى غوبات مقاومة عنيفة من الطوائف النصرانية الأخرى في فلسطين. ورغم ذلك فقد استطاع أن يبسط حمايته على أفراد الطائفة الإنجيلية في القدس ونابلس والناصرة ويافا والرملة . ولكن بدأت الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية بإنشاء المدارس حيثما وجدت مدرسة إنجيلية(٢). فاتخذت بذلك شكلا جديداً من المعارضة الفعالة ضد البروتستانت في فلسطين .

ولم يقتصر العداء لمشروعات غوبات ونشاطاته على الطوائف النصرانية واليهودية بل تعداها إلى السلطات المدنية والدينية الإسلامية ، فعمل غوبات كل جهده لبناء كنيسة إنجليكانية في القدس ، فتم له ذلك في ٦ ربيع الأول من عام ١٢٦٦هـ/٢١ يناير (كانون الثاني) من عام ١٨٤٩م وسميت هذه الكنيسة باسم كنيسة المسيح (Christ Church) وتم افتتاحها بحضور كل من قنصل بروسيا وقنصل بريطانيا بينما اعتذر قنصلا فرنسا وروسيا وبطاركة الروم الأرثوذكس واللاتين والأرمن عن حضور حفل افتتاح الكنيسة. وكان الممثل الوحيد الذي حضر الحفل المطران السرياني في القدس(٣).

نشاط شماسات الكيزرزفرت في لبنان :-

استقرت شماسات الكيزرزفرت في القدس في عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م ، ولكن عند اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م ، أبدى الرأي العام الألماني استعداداً لدعم أي نشاط لهذه الجمعية في لبنان بين اللاجئين النصارى كي تتصدى لنشاط الإرساليات الكاثوليكية التي كان لها نشاط واسع في لبنان . ولهذا تشكلت في برلين في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م لجنة سوريا البرلينية (Berliner Comite Fur Syrien) ومن أهدافها دعم نشاط

---

١) علي محافظة : العلاقات الألمانية - الفلسطينية ، ص ٤٤.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٢١ - ١٢٢.
٣) علي محافظة : العلاقات الألمانية - الفلسطينية ، ص ٤٧.

الشماسات فى لبنان وبالفعل وصلت أربعة من الشماسات التابعات لجمعية الكيزرزفرت إلى بيروت فى جماد أول من عام ١٢٧٧هـ/ اكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٨٦٠م(١) وقد تركز نشاطهن خلال ثلاث سنوات بعد الاستقرار فى بيروت على :-

١- إنشاء دار للأيتام .
٢- إنشاء مؤسسة الأرامل .
٣- إنشاء مؤسسة الحساء المجانى .
٤- التعاون مع جمعيات بروتستانتية أخرى .
٥- رعاية المرضى فى مدينة صيدا .

ولكن بعد انتهاء الحرب الأهلية وعودة اللاجئين إلى ديارهم فى خريف ١٢٧٨هـ/١٨٦١م لم يعد ضرورياً استمرار نشاط الشماسات فى صيدا ومؤسسة الأرامل والمطاعم المجانية فى بيروت وتركز نشاط الشماسات فى حقول ثلاثة :-

١- دار الأيتام فى بيروت (منذ عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م) .
٢- مدرسة البنات العالية وفرعها الداخلى (منذ عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) .
٣- مدرسة عاريا (فى عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م) (٢).

دار الأيتام في بيروت «زوآر» (Zoar) :-

استأجرت شماسات الكيزرزفرت فى أول الأمر منزلا ثم ما لبثن أن تركنه بعد تزايد عدد الأيتام فيه أكثر من مرة ، وعملت الشماسات على شراء قطعة من الأرض بمنطقة الحصن بمبلغ ٣٦٧٠ تالا ، وشيدن عليها بناء كبيراً بلغت تكلفته الإجمالية ٣٠ ألف تال وتم افتتاح المبنى فى عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م والذى ظل يعمل حتى عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م وأطلقن على الدار اسما عبرياً هو (زوآر) ومعناه المأوى الذى يلجأ إليه المرء فى سبيل الحصول على المساعدة والحماية وهذا مجرد تلاعب بالألفاظ للتغرير بالسذج من الناس بسبب هذه الأسماء الدعائية وهذا هو أسلوب المنصرين لنيل أغراضهم .

ولقد اتبعت الشماسات سياسة معينة ، وهى إجبار أقارب الأيتام على توقيع عقود فى القنصلية البروسية فى بيروت تلزمهم إبقاء الموصى عليهم

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٦٠.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ص ١٦٣.

فترة طويلة فى الدار. وهذا كان له ردود فعل عنيفة من قبل الطوائف الأخرى. ولقد قبلت الدار الطلاب الأيتام من شتى الطوائف النصرانية إلى جانب الطلاب المسلمين . لأن أهداف الشماسات هو تنصير كل من يدخل الدار من أى طائفة كان ، وبالفعل تم تنصير فتاتين مسلمتين بالدار بتأثير من الشماسات ، وقد أصبحت إحدى هاتين الفتاتين أول راهبة تابعة لجمعية الكيزرزفرت من أصل مسلم . وحصل ذلك رغم تحفظ المسلمين من إرسال أبنائهم إلى مدارس الإرساليات بسبب الخوف عليهم من التغريب والإرتداد عن الإسلام .

ولقد سار التعليم فى مدرسة دار الأيتام فى اتجاهات ثلاثة : تعليم مدرسى .. أعمال منزلية .. وأشغال يدوية .. وفى البداية اقتصر التدريس على صفين ثم أصبح ثلاثة فصول بعد عام ثم أربعة فصول دراسية فى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م ولما كان التدريس باللغة العربية فى بادىء الأمر ، لم تتمكن الشماسات من التدريس بها فوظفن معلمتين عربيتين من الطائفة الأرثوذكسية وخريجات الإرسالية الأمريكية ، وذلك إلى فترة محدودة حتى تمكنت الشماسات من المشاركة بالتعليم باللغة العربية. وكان يتم تدريس اللغة الألمانية إلى جانب العربية ومواد التاريخ والجغرافيا والحساب والأهم أن التعليم الدينى اشتمل على قصص من الإنجيل ومبادىء المذهب اللوثرى وأغان دينية ، وكان الأيتام الذين يودون اعتناق المذهب البروتستانتى ، يحصلون على دروس فى التثبت من قبل راهب الجماعة الإنجيلية فى بيروت وحتى عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م كان ٣٣ يتيماً ويتيمة قد تم تثبتهم، من ضمنهم ٢٢ من أصل أرثوذكسى(١). وبعد مرور ٢٥ عاماً على بدء نشاط الشماسات فى بيروت، كان قد تخرج ٧٩٣ يتيماً ويتيمة، من ضمنهم ٤٣٤ أرثوذكسياً ، ٢١٨ مارونياً ، ٧٥ بروتستانتياً ، ٢٤ كاثوليكياً ، ٣١ أرمنياً ، ٩ من المسلمين و٢ من اليهود ، ومن أولئك الخريجات عملت ٤٥ مدرّسة فى مدارس بيروت، عنتاب، مرسين، بعلبك، الناصرة، عكا.

وحصلت الشماسات على الدعم المالى المتواصل من التبرعات فى ألمانيا لنصارى لبنان ، فقدمت لجنة سوريا البرلينية مبلغ ٧٥٣٠٩ تال ، كذلك التبرعات من جمعيات الشابات فى هولندا وسويسرا ، وحملة تبرعات قامت بها الشماسات فى بيروت أيضاً ، واستطاعت أن تجمع مبلغ ٢٨٧٢٨ تالا عن طريق التبرعات التى كانت تأتيها من أوروبا، ومن التبرعات من المنظمة الإنجليزية والقارية لدور الأيتام السورية وجمعية بيت المقدس البرلينية ،

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ١٦٣-١٦٥.

وهذا يدل على أنها واجهت صعاباً مالية(١).

مدرسة البنات العالية وفرعها الداخلي :-

ألحقت هذه المدرسة بالجناح الشرقى لدار الأيتام فى عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م ، وكان الهدف الأول منها إدخال بنات العائلات الغنية فى بيروت إلى مدارس الشماسات لتلقينهن التعليم الإنجيلى ، وكذلك لأنهن قادرات على دفع رسوم تعليمهن فترفع بذلك الموارد المالية لمؤسستها فى بيروت وكى تتمكن من الإنفاق على فرع دار الأيتام المجانى . وكانت بداية تلك المدرسة فى ذى الحجة من عام ١٢٧٩هـ/ مايو (آيار) ١٨٦٢م بثلاث فتيات وما لبث العدد أن ارتفع بعد عام إلى ٤٤ فتاة من ضمنهن ٦ فتيات فى القسم الداخلى، والباقيات كتلميذات بالمدرسة النهارية، وحتى عام ١٢٨٢هـ/١٨٨٥م كانت المدرسة قد خرجت ٥٤١ فتاة و١٣٠ صبياً. وكان معظم التلاميذ من عائلات بروتستانتية وأرثوذكسية غنية، وكان هناك ٢١ تلميذاً من عائلات إسلامية ، لأن المسلمين ما زالوا متحفظين بالنسبة لدخول أبنائهم فى أمثال تلك المؤسسات التنصيرية.

وازدادت مساحة أبنية المدارس بشراء العقارات المجاورة ، مما رفع عدد التلاميد من ٨٠ إلى ١٢٠ سنوياً فى الفترة من ١٢٩٦-١٣٠٠هـ/ ١٨٧٩-١٨٨٢م أما المواد الدراسية فكانت تشمل الرياضيات ، الهندسة ، الجبر ، العلوم الطبيعية ، التعليم الدينى . وكان التلاميذ جميعا مجبرين على حضور تلك الدروس الدينية . وتدرس اللغة الفرنسية لأربعة فصول بينما يدرس الصف الخاص باللغة الإنجليزية ولقد أضيف فيما بعد صفان يدرسان باللغة الألمانية فى عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، ولكن رغم ذلك ظلت الفرنسية هى الغالبة فى مناهج المدرسة التعليمية(٢) .

وعندما طلبت جمعية الكيزرزفرت بعد سنوات قليلة تحسين أوضاعها المالية الصعبة بطلب مساعدة من الحكومة الألمانية لمدارسها فى بيروت . ردت وزارة الخارجية الألمانية بأنها تدعم المدارس التى تساهم فى دعم الأهداف القومية الألمانية والتى ليس لها طابع ديني ، وفرضت عليها شروطاً بتشكيل إدارة جديدة للصفوف الألمانية فى مدرستها ببيروت وتكون الأفضلية منها للألمان أو من هم تحت الحماية الألمانية ، وأن يقبل التلاميذ الألمان

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين، ص ١٧١-١٧٢.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٦٦-١٦٧.

الفقراء برسوم مخفضة وأن تكون اللغات الأجنبية فى المدرسة ، وخاصة الفرنسية «لغة تدريس فقط». واضطرت الجمعية قبول هذه الشروط مع المحافظة على طابعها الدينى دون اعتراض من الخارجية الألمانية .

ولقد واجهت مدرسة الكيزرزفرت منافسة من المدارس البروتستانتية الأخرى بالإضافة الى المدارس الكاثوليكية وخاصة راهبات الناصرة التى كانت تحصل على دعم اليسوعيين ، والتى صمدت أمام منافسة الكيزرزفرت بسبب تخفيض الأقساط والرسوم واستخدام عربات لنقل التلاميذ ، وهذا ما عجزت عن تطبيقه الكيزرزفرت بسبب مواردها المالية المتواضعة (١).

ووجدت إلى جانب مدارس الشماسات ، سبع مدارس داخلية للبنات منها ست مدارس نهارية. وهذا يوضح مدى تركيز الشماسات على تعليم المرأة التعاليم النصرانية الإنجيلية ، لما للمرأة من أثر فى التربية ، حيث يقولون :- «إن المدرسة الداخلية تفضل على المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ، ولأنها تنتزعهن من حياة بيئية غير مسيحية (نصرانية) ويفرح المنصرون إذا اجتمع فى مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة ، لأن نفوذ هؤلاء حينئذ فى بيئتهن أعظم»(٢).

نشاط الشماسات في عاريا:-

عمدت الشماسات فى عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م إلى بناء منزل صيفى على قطعة أرض فى عاليه ، ثم اشترت الشماسات في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م منزلا آخر مؤلفاً من طابقين بمنطقة عاريا . وقد سجل العقار على اسم بروييننغ ، القنصل الألمانى فى بيروت ، ولقد خصصت الشماسات قسماً من المنزل ليكون مدرسة، وقامت إحدى خريجات زوآر بالتدريس بإشراف الشماسات ، وفى الشتاء كان عدد التلاميذ يرتفع إلى ٤٠ - ٥٠ تلميذ وينخفض فى الصيف إلى ٢٥ - ٣٠ كلهم فى صف واحد ، ولكن بأقسام متعددة(٣).

المدرسة الألمانية فى بيروت (Die Deutsche schule in Beirut)

قامت هذه المدرسة فى بدايتها لأبناء الجماعة الإنجيلية (Evangelische

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٦٨-١٦٩.
٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ، ص ٨٣.
٣) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٧٠-١٧١.

Gemeinde) التى تكونت فى بيروت فى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م من ألمان وسويسريين وفرنسيين وهولنديين . وحصلت على مساعدات من جمعية غوستاف رادولف ، وجمعية بيت المقدس ، ولقد تطوع وليام كريمر (Wilhelm Kramer) للتدريس فى هذه المدرسة بصورة مجانية.

ولقد مرت المدرسة الألمانية فى رحلتها التعليمية على فترتين : الفترة الأولى مابين عامى (١٢٧٦-١٢٨٥هـ) / (١٨٥٩-١٨٦٨م) وضمت هذه الفترة ٧ تلاميذ ، ستة منهم من البروتستانت من أبناء الجماعة ، والتلميذ السابع ابن القنصل النمساوى فى بيروت أما مناهجها فاقتصرت على تعليم القراءة والكتابة ، الحساب ، التاريخ ، الجغرافيا والأقاصيص الدينية ، وكانت الفرنسية هى لغة التدريس ، بينما كان التلاميذ الألمان يدرسون باللغة الألمانية. وقد عين صموئيل كولن (Samuel Kullen) راعيا للجماعة يساعده مدرس سويسرى يتكلم الفرنسية ، وعندما تزايد أعداد الطلاب وظف مدرساً آخر وكان أرثوذكسياً ثم خلف إدوار إيبل (Eduard Ebel) صموئيل كولن فى رعاية الجماعة فى عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م وعندما رأى إيبل أن المدرسة لم تعد تستخدم أبناء الجماعة الإنجيلية البروتستانتية وأنهم يزورون المدارس التنصيرية الأخرى من أمريكية وإنجليزية ويسوعية ، خف حماسه للمدرسة وقرر إقفال المدرسة بل طلب إيبل فى أول ذى القعدة عام ١٢٨٥هـ/ ١٤ فبراير (شباط) من عام ١٨٦٨م من لجنة الجماعة إقفالها رسمياً ، وأقفلت بالفعل فى تموز من نفس العام . وانتقل التلاميذ إلى مدارس أخرى(١). وبعد إقفال المدرسة بعشر سنوات استمر التلاميذ يزورون مدرسة الكيزرزفرت حتى عامى (١٢٩٦-١٢٩٨هـ) / (١٨٧٨-١٨٨٠م) وكان فى عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م قد اتفق بول بارتس (Paul Baarts) راعى الجماعة مع إدارة مدرسة البنات التابعة للكيزرزفرت على فتح صف إبتدائى لأبناء الجماعة الإنجيلية وضم الفصل ١٠ تلاميذ، واحتاج التلاميذ إلى فصل دراسى آخر فيما بعد ، ومقابل ذلك تعهد «بارتس» بتدريس اللغة اللاتينية فى مدرسة الكيزرزفرت ، ولكن الكيزرزفرت لم تقبل اقتراح بارتس لأنها لم تكن تقبل صبية فى مدرسة البنات ممن تجاوزن الحادية عشرة من عمرهم .

وفى الفترة الثانية للمدرسة الألمانية فيما بين عامى (١٢٩٧-١٢٩٨هـ) / (١٨٨٠-١٨٨١م) اتفقت بعض العائلات الغنية مع الراهب «غوتغريد شفارتز» (Gottfried schwarz) الذى وصل إلى بيروت ، وكان قبل ذلك يعمل فى مدرسة خاصة فى مدينة يافا (فلسطين) على تأسيس مدرسة للصبيان بشرط أن تدفع

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سورية وفلسطين، ص ١٨٢-١٨٣

هذه العائلات مبلغ ٥٠٠٠ فرنكاً سنوياً على مدى ثلاث سنوات لقاء إدارته للمدرسة . على أن تكون المدرسة علمانية ، وتكون اللغة الألمانية لغة إجبارية فيها . وفى العام الدراسى الأول ، استقبلت المدرسة ١١ تلميذاً ولحق بهم ٨ آخرون خلال العام الدراسى من ضمنهم تلميذ أرمنى وآخر نمساوى وثالث دانمركى ،أما البقية فكانوا من الجالية الألمانية فى بيروت. وساعد شفارتز مدرس آخر ، وألحق بهم مدرس ثالث فى عام ١٣٠١هـ/١٨٨٤م ، واقتصرت مواد التدريس على اللغة الألمانية إجبارياً ، والتاريخ والجغرافيا والحساب وقصص دينية للصفوف العالية وتدرس اللغة اللاتينية والرياضيات. وكذلك أدخلت اللغة الفرنسية كلغة تدريس .

وعندما انتهى العقد مع المدرسة والعائلات الميسورة ومع انتشار وباء فى بيروت ، غادرت بعض العائلات إلى أوروبا وبعضهم أرسل أبناءه لتكملة دراستهم فى ألمانيا ، ولذلك حذر «بول شرودر» (Paul Schroder) القنصل الألمانى فى بيروت من إقفال المدرسة وذهاب التلاميذ إلى المدارس الفرنسية. وتعهدت الخارجية الألمانية بدفع مساهمة سنوية للمدرسة إذا حافظ شفارتز على تعهده بتقديم تقرير سنوى عن نشاط المدرسة وبلغت المساهمة ١٠٠٠ مارك ألمانى إلى ٢٠٠٠ مارك سنوياً . إضافة إلى مبلغ ٢٠٠ - ٢٥٠ فرنكاً من طلاب الصفوف العليا و ١٥٠ - ٢٠٠ فرنك فى الصفوف السفلى. وبهذا توسعت المدرسة وتمكن شفارتز من دفع رواتب المدرسين والحصول على دخل له شخصياً. وواصلت الخارجية الألمانية تقديم دعمها للمدرسة حتى عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م ، وقامت شماسات الكيزرزفرت بافتتاح صف ثان فى مدرستها لأبناء الجماعة الإنجيلية فى بيروت . وخفضت الرسوم مما أثّر على مدرسة شفارتز حيث انتقل عدد من تلامذته إلى مدرسة الشماسات ، نظراً لارتفاع الرسوم فى مدرسة شفارتز الى حوالى ٣٠٠ مارك سنوياً. فقرر شفارتز التخلى عن المدرسة . وخلفه أوتو فريتزه (Otto Fritze) راعى الجماعة الإنجيلية فى بيروت في محاولة إنقاذ المدرسة الألمانية ، ولكن الخارجية الألمانية رأت عدم جدوى الاحتفاظ بالمدرسة وألغت مساهمتها المالية فيها، فاتجه طلابها الى المدارس الأجنبية الأخرى(١).

نشاط البعثات البروتستانتية في فلسطين

كانت فلسطين موضع اهتمام مختلف الكنائس الغربية والشرقية ، التي قامت بنشاط كبير على أراضيها ، وذلك بالتنافس في إنشاء المؤسسات التعليمية والكنائس فيها. ذلك التنافس والنزاع ، جعل المسلمين يقومــون

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٨٤-١٨٧.

بحراسة كنيسة القيامة ، وكانوا يملكون مفاتيحها ليحولوا بذلك دون إراقة الدماء. وفى خلال القرن الثالث عشر الهجرى/التاسع عشر الميلادى تعاونت الدول الأجنبية مع منصريها وقدمت الدعم المناسب لهم وذلك لغرض دراسة ظروف الأماكن المقدسة . وتبعاً لذلك تجمعت فى فلسطين مختلف الطوائف النصرانية ، وذلك لاعتقاد كل فئة بأنها الحارس الوحيد على الأماكن المقدسة والإيمان النصرانى والدعوة إليه.

بداية التنصير في فلسطين :-

كانت جمعية لندن لتنصير اليهود أول جمعية اهتمت بالعمل الإنجيلى فى الأرض المقدسة (فلسطين) فأرسلت الجمعية في عام ١٢٣٩هـ/١٨٢٣م بعثة إلى مدينة القدس لدراسة الوضع فيها ، ثم تبعها بعد عام طبيب مرسل هو الدكتور والتون ، ثم تركت البعثة عمل الجمعية فى القدس ، وشغلت إحدى البنايات المواجهة للقلعة وشيدت كنيسة عرفت فيما بعد باسم "كنيسة المسيح" وهي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا (١).

ولقد واجه النشاط التنصيرى فى فلسطين الكثير من العقبات خاصة قبل فترة حكم محمد على (١٢٤٦-١٢٥٦هـ/١٨٣١-١٨٤٠م) . وكان من أهم هذه العقبات المعارضة التى كانت تضعها الحكومة العثمانية فى وجه النشاط التنصيرى ، إلا أنه باحتلال محمد على باشا لفلسطين وبقية بلاد الشام، وجدت الإرساليات التنصيرية المناخ المناسب فى البيان الذي أعلن بمطالبة السلطات المدنية والدينية فى فلسطين برفع القيود عن النصارى واليهود المقيمين فى البلاد والزوار الأجانب . وألغيت الرسوم المفروضة على الزوار النصارى للقبر المقدس فى القدس وسمح لليهود ببناء كنيسة لهم فى القدس ومنحت جمعية يهود لندن (London Jews Society) حرية العمل للتنصير فى فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت شهدت فلسطين نشاطاً تنصيرياً مكثفاً وتنافساً حاداً بين الإرساليات التنصيرية من مختلف الكنائس النصرانية ، وبعد زوال حكم محمد على عن بلاد الشام اضطرت الدولة العثمانية إلى أن تغمض عينها ، عن النشاط التنصيرى فى فلسطين بسبب مساندة الدول الأوروبية الكبرى لها فى عهد محمد على وإعادة بلاد الشام إلى سلطتها . كما انتهزت الدول الأوروبية والمؤسسات الدينية والتنصيرية هذا الوضع الجديد لتزيد من

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية، ص ٣٤ - ٣٥.

نفوذها ونشاطاتها المختلفة فى بلاد الشام وخاصة فى فلسطين(١).

وكان أول شخص (منصر) يقوم بزيارة للأراضى المقدسة (فلسطين) بقصد التنصير هو الكاهن كرستوف باركهارد (Burckhard) من مدينة بلوه (Balois) وكان قد قام بجوله بين مصر وسوريا وفلسطين فيما بين عامى (١٢٣٤-١٢٣٦هـ/١٨١٨-١٨٢٠م) وكان يركز نشاطه بتوزيع نسخ الإنجيل ، فقام بتوزيع ٧٥٥ نسخة وخصوصاً فى مدينة حلب حتى عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ، وقد اشتعلت نار الفتنة بين البروتستانت والكاثوليك. وكان البروتستانت يفكرون فى دعم اللاتين الشرقيين الذين هاجروا من أوروبا إلى الشرق الأدنى والبروتستانت الذين جاءوا من بلوه(Balois) فى فرنسا ، كما حاول البروتستانت الألمان أن يتحدوا مع الإنجليكان لتكوين حركة فى فلسطين منذ عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. كما وصلت الأراضى المقدسة من جميع الفئات وخاصة من الجماعات (Nicoayson) - وهم خليط من الدنماركيين والألمان - الذين يرغبون فى تكوين كنيسة بروتستانتية فى فلسطين ، وأعجب بها بالمرستون عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ووافق على فتح قنصلية ألمانية فى فلسطين للتعاون مع فرنسا حيث تضمن المارون كما أن الروس يحمون الأرثوذكس. والإنجليز يريدون إنشاء مجموعة بروتستانتية أملاً في أن تكون مرجعاً وبداية ومنشأ يهودى ، وبدأوا فى التفكير بإنشاء كنيسة إنجليكانية فى فلسطين(٢).

نشاط الألمان التنصيرى فى فلسطين:

فى الواقع يعود النشاط التنصيرى الألمانى فى فلسطين إلى همة ملك بروسيا فريدريش وليام الرابع (Friedrich Wilhelm IV) الذى عرف عنه اهتمامه بالشؤون الدينية منذ صباه ، ولما أصبح ولياً للعهد فكر فى إنشاء وطن نصرانى فى الأرض المقدسة (فلسطين) تتولى الدول الكبرى السيطرة عليه . ولما تسلم العرش البروسي عرض مشروعه الاستعمارى التنصيرى على إمبراطور النمسا وقيصر روسيا فلم يبديا اهتماماً به . فتخلى عن هذا المشروع واتجه إلى السعى لمنح الكنيسة اللوثرية حقوقاً مماثلة لتلك التى تتمتع بها الكنائس النصرانية الأخرى فى القدس . ورأى أن ذلك لا يتم إلا بالتعاون بين الكنيسة الإنجيلية البروسية والكنيسة الإنجيليكانية فى إنجلترا . وستكون الخطوة الأولى ، قيام مطرانية (أسقفية) بروتستانتية فى

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٣٧ - ٣٨.

٢) Anton Odeh Issa : Les Minorites Chretiennes de Palestine ,P.13-14

القدس. وكان أمل ملك بروسيا أن تعترف الحكومة العثمانية بالطائفة البروتستانتية كملة نصرانية مستقلة . متطلعاً إلى تقديم الدعم الحقيقى للتنصير البروتستانتى فى أوساط اليهود فى فلسطين والذى كان قد بدأ منذ عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م من قبل المطرانية البروتستانتية . وتوقع أن تمارس هذه المطرانية المشتركة نفوذاً قوياً على الكنائس البروتستانتية فى أوروبا من أجل إتحادها جميعاً ، وبذلك تصبح مطرانية القدس المحور الذى تدور حوله كافة الكنائس البروتستانتية (١).

وفى ١٧ ربيع الثانى من عام ١٢٥٧هـ/ ٨يونيو (حزيران) ١٨٤١م أرسل ملك بروسيا مستشاره البارون الدكتور كريستيان شارلز بونزن (Christian Charles Bonsen) (٢) إلى إنجلترا لإجراء إتصالات أسقفية بروتستانتية بخصوص القدس . وسلم الرسالة إلى ملكة بريطانيا مؤكداً فيها أن وحدة البروتستانت هى الضمانة لنجاح كنيستهم فى القدس . ويعرض استعداده لتزويدها بالرهبان والمنصرين من الكنيسة الإنجيلية البروسية الموحدة (Die Evangeelish Unirte Kirche) .

ووصـــل بونزن إلى لندن فى ٢٨ ربيع الثانى ١٢٥٧هـ/ فى ١٩ يونيو (حزيران) من عام ١٨٤١م وشـرع فى التفاوض مع الحكومة البريطانية ورئيس أساقفة كانتربري (Arch bishop of cantirbary) وليام هاول Dr. William Howley وأسقف لندن شارلز جاك بلومفيلد(Charles Jacques Blonmfeld)بصفته المسؤول الأول عن الرهبان الإنجليكان خارج إنجلترا ، الأسقف الأول فيها بعد رئيس أساقفة كانتربرى. وانتهت هذه المفاوضات بعد ثلاثة أسابيع تقريباً بموافقة الحكومة البريطانية ورئيس أساقفة كانتربرى على المقترحات البروسية من حيث المبدأ (٣) . حيث تم الاتفاق على :-

أ - تعيين أسقف إنجليكانى بصورة دورية من قبل ملكة بريطانيا وملك بروسيا.

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٣٨.

٢) كريستيان بونزن ابن جندى هولندى عاش فى إمارة فالديك(Waldeck) الألمانية ودرس اللغات الكلاسيكية فى جامعة غوتنجن وفى معهد اللغات الشرقية فى باريس . ثم التحق بالسلك السياسى البروسى حتى بلغ رتبة وزير مفوض فى روما . وأصبح مستشاراً لملك بروسيا. أنظر على محافظة : المرجع السابق ، ص ٣٨.

٣) Tibawi:A.L.: A Modern History of syria ,(London 1969, Macmillan and Co,hto st .Martin's Press) P.189

ب - أن يخضع تعيين الأسقف الذى يختاره ملك بروسيا لموافقة رئيس أساقفة كانتربرى .
ج - أن يكون تعيين أول أسقف من قبل ملكة بريطانيا.
د - اشترطت الإتفاقية تبعية الأساقفة المعينين لهذا المنصب لرئيسى أساقفة كانتربرى ، وكذلك القس و الرهبان التابعين له .
هـ - أما رجال الدين الألمان الذين سيتبعون الأسقفية الجديدة فلا بد من إعادة تكريسهم وفقاً لتقاليد وتعاليم كنيسة إنجلترا الإنجليكاني. وقام ملك بروسيا بالتبرع بملغ مائة ألف تال (Thal) (ما يساوى خمسة عشر ألف جنيه استرلينى انذاك) من ماله الخاص لوقفه على الأسقفية الجديدة (١) ووعد بتقديم أرباح هذا المبلغ لتغطية نصف رواتب القسس السنوية. أما الجانب البريطانى فقد طرح اكتتاباً عاما بمبلغ عشرين ألف جنيه استرلينى دفعت منه جمعية يهود لندن ثلاثة آلاف جنيه.(٢) .

وافق ملك بروسيا على تعيين أسقف إنجليكانى فى القدس يرعى مصالح الإنجيليين فيها ووقع الإختيار على الدكتور مايكل سولومون الكسندر (Micheal Solomon Alexander) (٣). وهو من أعضاء جمعية يهود لندن وهو يهودى اعتنق النصرانية ليتولى منصب الأسقف الأول فى القدس وذلك فى عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م وجاء مع رجاله ممن اختيروا لمساعدته فى أعمال التنصير ، ولكنه لم يستطع الاستمرار لاعتلال صحته ومن ثم وفاته. وكان الملك فريدريك فيلهلم الرابع قد وقع اختياره على المنصر السويسرى صمويل غوبات - الذي عمل الحبشة ضمن جمعية التنصير الكنائسية (C.M.S) - وأصبح الأسقف الثانى لمدينة القدس ، وساعده فى ذلك طول عهده فى الأسقفية على تنظيم الطوائف الإنجيلية فى مختلف الأماكن والمدن وفتح المدارس التابعة للطائفة البروتستانتية(٤).

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٣٩-٤٠.
٢) Anton Issa : Les Minorites chretiennes De Palestine . P 214 - 216
٣) هو يهودى بولندى اسمه الحقيقى ، وولف (Wolf) من مواليد شينلاكه (Schoenlake) فى دوقية بوزن (Bosen) الألمانية . جاء إلى بريطانيا فى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م وهو فى الحادية والعشرين من عمره . وتولى تعليم التلمود واللغة العبرية. ثم عين حاخاماً فى بلايموث (Plymouth) تنصر فى عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م وعمل فى جمعية يهود لندن منصراً فى دانزغ (Danzig) ثم عاد إلى لندن فى عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م . وتولى تعليم اللغة العبرية فى (Kings College) حتى تاريخ اختياره لأسقفية القدس . أنظر على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤١.
٤) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٣٥.

جاء المطران غوبات (Samuel Gobat) منصراً إلى فلسطين فى ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م وقد اختلف عن سلفه مايكل الكسندر بأن وجه اهتمامه التنصيرى نحو العرب ، بعد أن كان الهدف من إنشاء الكنيسة الإنجيلكانية فى القدس والبعثة التنصيرية التابعة لها تنصير اليهود فى فلسطين .

وبدأ غوبات خطته بأنشاء مدارس الكتاب المقدس لأطفال اليهود والنصارى والمسلمين ، لكنه ما لبث أن أعاد النظر فيها ، وركز جهوده على إنشاء المدارس لأبناء النصارى العرب فى فلسطين وشرقى الأردن ، فوجد غوبات نفسه وجها لوجه فى صراع مع كنيسة الروم الأرثوذكس ، والكنيسة الكاثوليكية ، والطائفة اليهودية والسلطات المدنية الإسلامية وجمعية يهود لندن التنصيرية والقنصل البريطانى فى القدس (١).

ولقد عمل غوبات بكل نشاط فى مجال التعليم حيث أنشأ مدارس عدة منها مدارس (الشماسات) الدياكونيس (Diakenissen Schule) فى القدس وكانت من أولى المدارس التى افتتحها غوبات فى السنة الأولى من أسقفيته فى القدس عام ١٢٦٣هـ/نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٤٧م ، وتقوم بإدارتها سيدة إنجليزية أرسلت من جمعية التعليم النسائى فى الشرق(Society of Promoting Female Education in the East) . وبدأت هذه المدرسة العمل فى الهند والصين والمشرق العربى وفلسطين ، بهدف ربط العمل النسائى فى البيت والخدمة الطبية والتعليم فى المدارس ودور الأيتام وتدريب المعلمين ، وافتتح غوبات كذلك مدرسة مماثلة فى نابلس فى ٥ جمادى الأولى ١٢٦٤هـ/١٠ إبريل (إيلول) ١٨٤٨م بواحدٍ وعشرين تلميذاً (٢).

ولقد باشرت جمعية التنصير الكنسية (C.M.S) عملها فى فلسطين فى عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م حيث تركز عملها خلال ثلاثين عاماً من تأسيسها فى مدينتى القدس والناصرة(٣) ، كذلك وصلت شماسات بروسيات فى عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١ إلى القدس بالاتفاق مع الأسقفية الإنجيلية الثانية وقمن بتأسيس مدرسة داخلية للبنات فى المدينة المقدسة (٤).

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٣ - ٤٤ .
٢) على محافظة : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
٣) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٣٥.
٤) A.L Tibawi : A Modern History of Syria, P .189

ومن البعثات التى دعاها غوبات للعمل فى فلسطين بعثة الاتحاد الأورشليمى (Jerusalem's) والتى أسست مراكز للعمل فى بيت المقدس وبيت لحم مثل كنيسة الفادى فى القدس وكنيسة الميلاد فى بيت لحم ، وأنشأ غوبات فى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م مدرستين فى القدس للصبيان تضم ٤١ صبيا ، والثانية للبنات تضم ٤٤ بنتاً(١). كما أنشأ مدرسة فى بيت لحم مختلطة تضم ما بين عشرين وأربعين صبياً وبنتاً إلى جانب مدرسة فى نابلس مختلطة تضم ٦٠ صبياً وأربع بنات ، وأنشأ مدرستين فى يافا إحداها للصبيان تضم ٢٨ صبيا والأخرى للبنات تضم ٥٣ بنتاً .

وبلغ مجموع التلاميذ فى هذه المدارس ٢٦٠ تلميذاً، منهم ٣٩ من أبناء اليهود و١٦ من أبناء اليهود المتنصرين ، وست أطفال من السامريين والباقى من العرب ، وكانت هذه المدارس تعلم القراءة والكتابة واللغات الإنجليزية والألمانية والعربية وأشغال الخياطة للبنات (٢).

وافتتح غوبات مدارس كثيرة أخرى ولكنها صغيرة مثل مدارس الكتاب المقدس فى بيت لحم وبيت جالا واللد والرملة ويافا ونابلس ورفيديا وزبابدة وبرقين وشفا عمرو والسلط فى الأردن وكانت بمعلم واحد لأن عدد تلاميذها قليل وهو يتراوح بين العشرة تلاميذ والخمسة عشر تلميذاً(٣). واتصف التعليم فى هذه المدارس البروتستانتية بتدنى مستوى المعلمين الأكاديمى المهنى مما أضطر غوبات إلى التخلى عن معظم هذه المدارس لمؤسسات تنصيرية أخرى إنجليزية وألمانية وذلك بسبب العجز المالى.

ولقد تلقى غوبات المال من صناديق التبرع التى أنشأها فى ألمانيا وسويسرا وأنجلترا لدعم مشاريعه . وكان يقوم بجولة فى أوروبا كل عامين لجمع المال اللازم ، ولقد ساعد عمل غوبات ونشاطه فى دفع جمعية التنصير الكنائسية الإنجليزية (C.M.S) إلى إرسال المزيد من المنصرين إلى فلسطين وقيام جمعيات تنصيرية عديدة فى ألمانيا للغرض نفسه مثل إخوة كريشونا Bruederhaus st . chrischona وساهم غوبات بتأسيس جمعية كايزر زفيرت دياكونيس قرب بازل بسويسرا Das Kaiserswerther Diakonissen Mutterhaus وجمعية بيت المقدس (Jerusalem Verein) فى برلين .

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٣٦.
٢) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٩ .
٣) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٣٦.

وفى أوائل جماد ثانى ١٢٩٧هـ/١١ مايو (آيار) ١٨٧٩م توفى «غوبات» ودفن فى المقبرة الإنجيلية فى القدس الواقعة على جبل صهيون. وبوفاته أصبح منصب المطرانية الإنجليكانية شاغراً فى القدس فوقع إختيار ملكة إنجلترا حسب الإتفاقية مع ملك بروسيا على جوزيف باركلى (Joseph Barcley) عميد كلية ستيبلفورد (Stapleford college) فى هيرنفورد شاير وعين مطراناً فى ١٥ رجب عام ١٢٩٧هـ/٢٥ يونيو (تموز) ١٨٧٩م ووصل إلى القدس فى ٢ ربيع الأول من عام ١٢٩٨هـ/٣ فبراير (شباط) ١٨٨٠م (١).

وافتتح المنصرون الألمان بالاتفاق مع الإنجليز المدارس والمستشفيات فى فلسطين لدعم عملهم التنصيرى بين السكان المحليين من نصارى مختلفين عنهم فى الطائفة أو بين المسلمين . كما افتتحوا في القدس مدرسة سان جورج للذكور ومدرسة سانت مارى للبنات . وفى عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م قسموا الشركة بينهم على أن يكون الإنجليز فى شمال منطقة القدس والألمان يكون عملهم فى جنوب منطقة القدس ، وتكون القدس مشتركة بين الفئتين التى تمثل الدولتين إنجلترا وألمانيا.

فقام الألمان بتأسيس مدرسة فى مدينة بيت لحم ، ومدرسة للذكور فى مدنية جالا ، ومدرسة للذكور فى مدينة بيت ساحور ، ومدرسة داخلية فى القدس اطلق عليها مدرسة طاليطا قومى . وفى القدس أسس الألمان فى عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م مدرسة شبتلر والتى بقيت حتى الحرب العالمية الأولى ، وانتقلت فيما بعد إلى بيت جالا للبنات، وتعددت مدارس الإرسالية الألمانية ، فدخل إلى الطائفة البروتستانتية الكثير من أبناء الطائفة الأرثوذكسية والإنجليكان واللوثريين . وكانت مدارسهم تقبل التلاميذ من جميع الطوائف من السكان المحليين وغيرهم (٢).

وواصل البروتستانت الألمان جهودهم التنصيرية فى فلسطين فوصل المنصر باركلى إلى القدس فوجد طائفة البروتستانت منقسمين إلى جماعات قومية ولغوية متميزة ومتنافرة ، وهى كالتالى :-

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٠ .

٢) إيليا خورى بطريرك الطائفة البروتستانتية فى عمان فى مقابلة أجريتها معه فى عمان (الأردن) يوم الأثنين ، ١٥ محرم ١٤٠٩ هـ فى الكنيسة البروتستانتية.

١- الجماعة الأولى من البروتستانت الإنجليز واليهود المتنصرين الذين يترددون على كنيسة المسيح .
٢- تألفت المجموعة الثانية من البروتستانت الألمان الذين أصبح انتماؤهم للدولة الألمانية الموحدة منذ عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م أقوى من انتمائهم للكنيسة البروتستانتية (١) .
٣- الجماعة الثالثة وهى تتألف من البروتستانت العرب الذين كانوا يحظون بدعم جمعية التنصير الكنائسية (C.M.S) وهؤلاء قاموا ببناء كنيسة خاصة بهم هى كنيسة القديس بولس فى عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م .

امتد الانقسام إلى معظم البعثات التعليمية والطبية التابعة لمطرانية القدس ، وألحقت بالبعثة التنصيرية الكنائسية (C.M.S) وغيرها من البعثات التنصيرية . وقبل أن يتمكن باركلى من حل المشكلات التى واجهته فاجأه الموت فى ٣ ذى الحجة من عام ١٢٩٨هـ/ ٢٢ اكتوبر (تشرين الأول) ١٨٨١م وبموته فتح الباب على مصراعيه للنزاع بين ألمانيا وبريطانيا حول مطرانية القدس (٢). وبعد مفاوضات طويلة رأت الحكومة الألمانية أن تعيد النظر فى إتفاقية عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م وكان اعتراض ألمانيا على الإتفاقية يتلخص فى نقطتين :-

أ- حق النقض الذى يتمتع به رئيس أساقفة كانتربرى على تعيين المطارنة فى القدس .

ب- رفض الرهبان اللوثريين الألمان إعادة ترسيمهم ليصبحوا رهباناً إنجليكانيين .

ورغم إلحاح ألمانيا رفض رئيس كانتربرى تقديم تنازلات للألمان فما كان من حكومة بروسيا إلا أن أعلنت انسحابها من الإتفاقية . وأيد ويليم الأول (Wilhelm I) هذا الإنسحاب فى أول صفر من عام ١٣٠٣هـ/ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٨٦م ورأت الحكومة البريطانية الموافقة (٣).

ولعل من الأسباب التى أدت إلى إلغاء الإتفاقية المطرانية بين ألمانيا وبريطانيا ، أن ألمانيا أرادت أن تثبت قوتها وإستقلاليتها ببناء كنيسة

---

١) A.L.Tibawi : A Modern History of syria , P 189.
٢) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥١ .
٣) عبدالرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٤٧ - ٤٨.

للجماعة الألمانية فى القدس ، وبعد أن بدأ التنافس واضحاً مع بريطانيا على فلسطين خاصة وبعد ثلاث سنوات على إلغاء الإتفاقية ، قامت الحكومة الألمانية بتنظيم العلاقة بين الجماعة الألمانية فى القدس والسلطات الكنسية فى إلمــانيا.

وكانت أهداف هذه الإتفاقية دعم وتشجيع المؤسسات الإنجيلية الألمانية القائمة فى القدس ، وبشكل خاص تشييد كنيسة ومدرسة للجماعة الألمانية هناك . وبعد انسحاب ألمانيا من الإتفاقية الإنجليكانية عملت على تدعيم نفوذها بأسلوب آخر فعملت على تأسيس قنصلية لها فى القدس ، حيث كان لها وكيل قنصل منذ أوائل ربيع ثانى من عام ١٢٥٨هـ/٢٠ مايو (آيار) ١٨٤٢م وخلال فترة محدودة زاد نفوذ القنصلية البروتستانتية ، فرفع الوكيل إلى مرتبة القنصل والذى عمل منذ البداية بمساعدة اليهود . أما القنصل الثانى الذى تولى أمور القنصلية فيما بين عامى ١٢٦٨-١٢٨٤هـ / ١٨٥١-١٨٦٧م فقد أبدى نشاطاً أكثر من سلفه بمساعدة اليهود ، وكان مدفوعاً بذلك بحكم صداقته مع أحد الحاخامات اليهود وبحكم مصاهرته لليهود ، مما يدل على أنهم تجاوزوا المهمات الرسمية التى أوكلوا بها وهى المحافظة على مصالح رعايا دولتهم سواء من الزوار أو التجار. وكانت الحماية البروسية عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م تشمل ٩٨٧ شخصاً بينما كان تحت الحماية النمساوية ٩٥٠ شخصا والبريطانية ٢٧٠ شخصاً (١).

وحدث أن جرى اتصال ردود فعل الكنائس المنافسة للبروتستانت فى بداية عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م بين بعض الروم الأرثوذكس فى نابلس وبين المطران غوبات الذى اختاره فريدريك فيلهلم الرابع مطراناً للقدس عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٦م . وأسفر هذا الاتصال عن رغبة بعض الروم الأرثوذكس بالانضمام إلى الكنيسة الإنجيليكانية . غير أن غوبات نصحهم بالبقاء فى طائفتهم خوفاً أن يلحق بهم الأذى ، ولكنه وعدهم بإنشاء مدرسة لأطفالهم فى المدينة التى يسكنونها (نابلس) . وتكرر هذا العرض من غوبات فى مدن كثيرة أيضاً فى فلسطين ، ولهذا العرض السخى من «غوبات» ومنذ عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م أخذت الرغبة فى دخول الكنيسة وفرضت على معلمهم عقوبات مالية وخاصة الذين يترددن على اللقاءات التى يقرأ فيها الإنجيــل من قبل البروتستانت .

---

١) بهجت حسين صبرى : لواء القدس ١٤٠٠هـ/١٨٧٣م (المؤتمر الدولى الثالث لتاريخ بلاد الشام ، فلسطين ، مطابع الجمعية العلمية الكلية ، أربد) ، المجلد الأول ، ص ٤١.

وكان من مظاهر العنف فى مقاومة الكنيسة الأرثوذكسية للتنصير الإنجيلى أحداث رجب من عام ١٢٦٨هـ/ إبريل (نيسان) ١٨٥١م إذ اعتدى أفراد الطائفة الأرثوذكسية على معلم مدرسة الكتاب المقدس فى البلدة وطردوه من بلدهم وأغلقوا المدرسة . وفى نابلس فى صفر من عام ١٢٧٠هـ/ نوفمبر (تشرين الثانى) عام ١٨٥٣م هاجم جمهور من الروم الأرثوذكس مقر الإرسالية الإنجيلية وطردوا من فيها (١).

أما الكنيسة الكاثوليكية فى فلسطين فقد كان رد فعلها أشد ، حيث قام الكاثوليك بمنع توزيع الكتاب المقدس وجمعوا الكتب المقدسة ومنشورات الإنجيليين وأحرقوها علناً وقاموا بطرد معتنقى المذهب الجديد من منازلهم . وفى (طبريا) أغلقت إحدى المدارس التى أنشأها غوبات بالقوة من قبل أتباع الكنيسة الرومانية الموحدة والكنيسة اللاتينية (كاثوليك). وفى مدينة الناصرة هاجم جمع من الروم الكاثوليك مدرسة البعثة التنصيرية الكنائسية (C.M.S) فى جماد الأول من عام ١٢٦٩هـ/فبراير(شباط) ١٨٥٢م وحطموا أثاثها وشرعوا بهدم البناء ورموا منصريها بالحجارة. وعندما اعترض القنصل البريطانى على تصرفات غوبات بسبب عداء معظم الطوائف النصرانية الأخرى فى فلسطين ، برر غوبات موقفه برسالة بعث بها إلى البارون (بونزن) الذى أصبح رئيس بروسيا المفوض فى لندن ونائب رئيس جمعية يهود لندن . وجاء فى رسالته أنه لا يعمل على قبول النصارى من الطوائف الأخرى فى الكنيسة الإنجيلية ، وطلب من بونزن ومن رئيس أساقفة كانتربرى أن يطلقا يده فى التنصير طالباً منهما العون والتأييد .

ورغم الصعوبات التى واجهها غوبات من قبل الطوائف النصرانية الأخرى فى فلسطين فقد استطاع أن يبسط حمايته على أفراد الطائفة الإنجيلية فى القدس ونابلس والناصرة ويافا والرملة. واستمر فى فتح المدارس حتى بلغ عددها فى اليوبيل الفضى لتولية المطرانية خمساً وعشرين مدرسة تضم حوالى ألف تلميذ. بينما أخذت الكنائس المعارضة من الأرثوذكسية والكاثوليكية بإنشاء المدارس حيثما وجدت مدرسة إنجيلية وبلغ عدد البروتستانت العرب فى نهاية حرب القرم عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م ، ٩٢ فرداً موزعين على المدن التالية ، ٣٩ فرداً فى نابلس و ٢١ فى القدس و١٥ فرداً فى الناصرة و١١ فرداً فى يافا و٦ أفراد فى بيت لحم. ولكن جهود غوبات كانت قد أسفرت عن نتائج باهرة خصوصاً عندما حصل على اعتراف من الحكومة

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٥.

العثمانية بحق اعتناق النصارى من رعاياها البروتستانتية وصدر فرمان بهذا الشأن مؤرخ فى الأول من محرم عام ١٢٦٧هـ/٦ نوفمبر ١٨٥٠م وبذلك اتيح للنصارى من الطوائف المختلفة اعتناق المذهب البروتستانتى (١). وعلى الرغم من أن القانون العثمانى يحظر النشاط التنصيرى بين المسلمين لكن غوبات سعى جاهداً لنشر البروتستانتية بينهم مما أثار الأكثرية الإسلامية والسلطات المدنية ضده .

ومن الجدير بالذكر أن العمل الإنجيلى يستعمل مختلف أوجه النشاطات المختلفة فى فلسطين كالتنصير العلنى والشخصى وبيع الكتاب المقدس وتوزيعة ، وبيع وتوزيع كتب الآداب النصرانية ، وفتح المدارس الابتدائية والثانوية ، والعمل الطبى فى المشافى والمستوصفات والقيام بالخدمات الإجتماعية على يد جمعية الشبان المسحيين (Y.M.C.A) وجمعية الشابات المسيحيات (Y.M.C.A) . (٢).

نشاط إخوة كريشونا : St . Chrischona Missionhaus

وتعود التسمية إلى منطقة كريشونا قرب بازل فى سويسرا ونسبة إلى القديس كريشونا والتى كانت مركزاً لنشاط الإرسالية الألمانية ، وكان العمل فيها أنشط منه فى أية منطقة ألمانية أخرى ، وقامت هذه الإرسالية بمساعد الأب شبتلر(٣) (Spittiler) الذى كان له نشاط كبير فى مساعدة الإرساليات

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٦-٤٧.
٢) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٣٦.
٣) شبتلر : ولد شبتلر فى عام ١١٩٧هـ/ عام ١٧٨٢م فى منطقة فورتمبرغ Wuerttemberg وكان أبوه يعمل راهباً. وفى عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م دخل فى خدمة الجمعية النصرانية الألمانية (Die Deutsche Christentums Gesellschaft) فى بازل عام ١٢٢٢ - ١٢٥٦هـ/١٨٠٧ -١٨٤٠م حيث عمل فى بداية الأمر كأمين مساعد ، ومنذ عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م كأمين أصيل وله نشاط كبير فى مجال التنصير فى الأراضى المقدسة (فلسطين) وأنشأ شبتلر فى كنيسة القديس كريشونا الواقعة على مقربة من بازل بعثة زوار الأماكن المقدسة (Pilgermission) فى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م التى استقطبت الشبان النصارى واصحاب الحرف اليدوية وتدريبهم على أيدى الرهبان . أما شبتلر فقد بدأ صلاته بالشرق من خلال عمله فى دار البعثة البازلية. ومنذ عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م بدأ تفكير شبتلر يتجه نحو إستعمار الأراضى المقدسة فى فلسطين بمعاونة رجال الدين الألمان. أنظر على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٢

الألمانية مثل جمعية الإنجيل فى بازل (Basler Bibelgesellschaft) ومأوى الإنقاذ فى بويغن (Rettungshausein Beuggen) وجمعية نشر النصرانية بين اليهود (١) Verein Zur Forderung des Christentums unter den Juden .
وفى عام ١٢٣١هـ/١٨١٥م قدم شبتلر مساهمة مباشرة فى إنشاء الجمعية التنصيرية فى بازل .

وقام شبتلر بتقديم مشروع ألمانى تنصيرى فى القدس على نظام المستوطنات وفى عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م اتجه تفكير شبتلر مع المفكرين ورجال الدين الألمان على إقامة مستوطنة نصرانية من الألمان فى القدس ، وفى خلال عامى ١٢٥٢-١٢٥٣هـ / ١٨٣٦-١٨٣٧م ، قام مستشرق ألمانى يدعى هنريش فون شوبرت (Heinrich Von Schubert) برحلة للشرق ، وعاد بكتاباته وانطباعاته ونادى بضرورة إنشاء مستوطنات دينية فى فلسطين . كما قام بعده فريدريك أودلف شتراوس (Friedrich Adolph Strauss) راهب البلاط الملكى فى برلين برحلة الى فلسطين. وكان تأثير الرحلتين على شبتلر كبيرة ومؤثرة . والذى أراد أن تكون فلسطين نواة لاستيطان واسع فى المشرق الإسلامى ولكن على حسب رأيه يريد استعماراً غير مسلح . فكتب يقول : «إن الجامعات فى هسن ، تفكر فى الهجرة إلى فنسطين ، إنى أعترف بأنى أخشى قيام مستعمرة (مستوطنة) من ٥٠٠ مسلح ، إن هذه القضية سياسية وليست مسيحية (نصرانية) ، ولهذا فإنى لا علاقة لى بهذه الجماعات فخطتى تنحصر فى إقامة مستعمرة (مستوطنة) من بعض الرهبان البسطاء». وكان شبتلر قد عرف صموئيل غوبات أسقف الكنيسة البروسية البريطانية المشتركة فى القدس عندما كان يتردد على إخوة كريشونا ، وأمل في مساعدته لتنمية مشاريعه التنصيرية فى فلسطين ، وطلب من غوبات إنشاء مركز لإخوة كريشونا فى القدس ، فطلب من الراهبين فردينان بالمر(Palmer) وشيك كونراد (Schick) من فورتمبرغ بزيارة فلسطين ودراسة المشروع هنا شريطة أن يتدرب بالمر على صناعة الصابون وإعداد بعض المواد الكيمياوية وأن يتدرب شيك على الحدادة والميكانيك في إخوة كريشونا قبل إرسالهما إلى فلسطين وفعلا وافق الراهبان على شرط شبتلر ومن ثم سافرا إلى فلسطين فى ١٢ ذو القعدة عام ١٢٦٥هـ/ ٦ سبتمبر (أيلول)١٨٤٨م وقابلا غوبات فى القدس فى ٣١ تشرين الأول من نفس العام، بدأ كل منهما مشروعه باستئجار بيت فى القدس قرب كنيسة المسيح على جبل صهيون ولكنهما واجها مصاعب جمة منذ البداية بسبب جهلهما باللغة العربية وبالعادات والتقاليد المحلية.
وأخذ بالمر يسعى الى اجتذاب أطفال الفقراء إلى البيت الذى استأجره

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٥٢.

لتعليمهم ومن ثم تنصيرهم . كما قام شيك بصيانة ذلك المركز التدريبى الصغير وتدريب الأطفال وتعليمهم بعض الحرف اليدوية التى يتقنها وانضم إليهم فيما بعد راهبين آخرين هما ميللر (Mueller) وبالدنشبرغر (Baldensperger) ولكن مشروعهم باء بالفشل. فأوكل المطران غوبات إلى بالمر إدارة مدرسة المطران فى القدس وبقى مديراً لها حتى نهاية عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م ، وأوكل إلى رفيقه بالدنشبرغر بإدارة الشؤون المالية للمدرسة نفسها . أما الراهب شيك فقد عمل فى المدرسة المهنية التابعة لجمعية يهود لندن كما عمل مهندساً للبناء لدى جمعيات تنصيرية مختلفة فى فلسطين، كما دخل ميللر في جمعية التنصير الكنائسية (١).

ومن الأسباب التى أدت لفشل مشروع شبتلر :-

١- عدم تقدير شبتلر لحقيقة الوضع فى فلسطين فى ذلك الوقت .
٢- انخراط المنصرين - الذين أرسلهم - فى العمل التجارى والحرفى بحيث لم يبق لهم متسع من الوقت للعمل التنصيرى ، ولم تحقق منتوجاتهم الأرباح المرجوة لعدم رغبة السكان المحليين في التعاون مع الأجانب، وقيامهم بالتعامل التجاري مع بعضهم البعض.
٣- تقشف شبتلر وشروطه الصارمة على أتباعه الرهبان ، ومنها عدم الزواج(٢).

لم يستسلم شبتلر لفشل مشروعه بإقامة مستوطنة تنصيرية فى مدينة القدس فحاول إعادة التجربة عام ١٢٦٨هـ/١٨٥١م عندما وصل القس تيودور فليدنر (Theoder Fliedner) مع أربع شماسات تابعات لجمعية (الكيزرزفرت) (Kaiserswerther Verein) الى القدس يدعمهم ملك بروسيا، وكذلك علم شبتلر بخبر وصول القس فريدريك بيتر فالنتينر (Friedrich Peter Valehtiner) بصفته راع للجماعة البروتستانتية الألمانية فى القدس . واتفق شبتلر مع غوبات فى لقاء تم بينهما فى مدينة بويغن (Beuggen) عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م بإقامة مشروع جديد ليقضى بإنشاء هيئة استيطانية تأخذ على عاتقها توطين رجال الدين التابعين لإرسالية الزائرين(النصارى) فى مستوطنات دينية تبلغ اثنتى عشرة مستوطنة موزعة ما بين القدس والحبشة تبعد كل واحدة عن الأخرى مسافة ٥٠ ميلا ويطلق عليها اسم طريق الرسول (Apostelstrasse) .

---

١) علي محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية، ص ٥٣ .
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ٥٧ .

وكان الهدف الرئيسى من هذا المشروع ربط التنصير بالاستعمار هذه المرة . وأنشئت لجنة تضم غوبات وفالينتيز وشخصيات محلية أخرى لإدارة المشروع ومقرها مدينة القدس بحيث تحول إلى مركز لتدريب الرهبان لمهمتهم التنصيرية وفى عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م أنشأ شبتلر جمعية تجارية تنصيرية لمساعدة الرهبان على استيراد المنتجات الأجنبية وتسويقها داخل مناطق الاستيطان (١) واتفق على إعادة فتح بيت إخوة كريشونا والتعليم باللغة العربية (٢).

وفى اوائل ربيع أول ١٢٧١هـ/ نوفمبر (تشرين الثانى)١٨٥٤م بالتحديد أرسل الراهب يوهان لودفينغ شنلر (Johann Ludiwig Schneller) مع ستة من الرهبان النصارى البروتستانت إلى القدس بحيث يكون شنلر مديراً لبيت الإرسالية ومسئولا عن تدريب الرهبان على العمل فى المستوطنات ، وكلف شبتلر فى نفس الوقت الراهب التاجر لب (Leep) بالسفر إلى فلسطين وفتح متجر في القدس ، ومع نهاية عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م افتتح «لب» مؤسسة شبتلر وشركاه (Firma Spittler und cie) وتخصصت ببيع المنتجات المحلية الفلسطينية من زيت وقطن وصوف ونبيذ ، وفى عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م تأسست فى ألمانيا جمعية تجارية (Handelsverein) تدعم النشاط التجارى لمؤسسة شبتلر وفى المستوطنات الإثنتى عشرة(٣).

وازدهرت مؤسسة الإرسالية التجارية فى القدس ، وتعاقب على إدارتها بعد وفاة «لب» كل من الراهبين يوهان هرمان (Johann Hermann) ولوفنتال (Lowenthal) إضافة إلى أربعة من الرهبان المساعدين . ولمعرفة شبتلر بأهمية ميناء يافا الفلسطينى ، افتتح فيه شركة للاستيراد والتصدير هدفها المتاجرة بالمنتجات الفلسطينية ، وتزويد مؤسسته فى القدس بما يلزمها من البضائع بحيث كان العمل التنصيري أهم أهداف تلك المؤسسة . وترأسها فيما بعد الراهب متزلر (Metzler) وزوجته اللذان عملا على تنمية العمل فى هـذه المؤسسة التنصيرية البروتستانتية ، وبلغت مشاريعهما ثمانية مشاريع هي :

١- مشروع مدرسة يتعلم فيها حوالى ٣٠ - ٥٠ تلميذاً .
٢- افتتاح مستشفى وصيدلية .

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٧-٥٨.
٢) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٣
٣) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٨.

٣- إنشاء منزلا للرحالة فيه تسع عشرة غرفة .
٤- تأسيس مطحنة تجارية .
٥- إنشاء منجرة .
٦- إنشاء معصرة للزيتون .
إضافة إلى المحل التجارى .

وتعود سرعة الازدهار فى الواقع إلى شراء (متزلر) وفى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م وقيامه بشراء أبنية عديدة بأسعار زهيدة كانت تمتلكها عائلات أمريكية.

وبوفاة شبتلر ، وضعت نهاية لمشروعه فى فلسطين واضطر الرهبان الالتحاق بالعمل فى مؤسسات تنصيرية أخرى ، وغادر العديد منهم البلاد العربية إلى أمريكا(١).

ولكن مشروع شبتلر لم يكن آخر المشاريع الاستيطانية الألمانية ، فقد وضع بجهوده النواة الحقيقية للجماعة البروتستانتية الألمانية فى فلسطين . كما نجح شنلر - الذى يعد خليفة لشبتلر - فى إنشاء مستوطنة (بير سالم) عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م . وفى عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م كان هناك ١٣ منصراً - تاجراً ألمانياً فى فلسطين تابعين للإرساليات، ٣ منهم فى بيروت وبرمانا و ١٠ فى فلسطين وبقى بعضهم فى فلسطين وتزوجوا وعاشوا فيها مع العدد الأكبر من أبنائهم. كما استوطنت ٧ عائلات من أحفادهم منها عائلة فروتيفر التي أسست بنك فلسطين الألماني فيما بعد، وعليه ونتيجة لمشروع شبتلر ، كانت تعيش فى فلسطين ١٧ عائلة، عند نهاية القرن الثالث عشر / التاسع عشر الميلادى (٢).

ولم يقتصر نشاط جمعية إخوة كريشونا على مدينة القدس فقد تعداه إلى مدينة الناصرة وقد وصلها الراهب يوهانس تسلر (Johannes Zeller) من مملكة فورتمبرغ ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م وأمضى فيها حوالى عشرين عاماً . وافتتح تسلر فى عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م كنيسة إنجيلية وجمعية تعليم الفتاة فى الناصرة وداراً للأيتام وعدداً من المدارس النهارية . والتى تولت الإشراف عليها وإمدادها بالأموال اللازمة جمعية التنصير الكنائسية . وتولى تسلر فيما بعد تدريب المعلمين فى مدرسة المطران غوبات فى القدس والتي قضى فيها عشرين عاماً أخرى. وقد تولى راهب آخر من إخوة كريشونا هو كريستيان

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٦.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١ .

فالشير (Christian Fallsheer) بناء كنيسة ومنزل ومستشفى للرهبان فى نابلس عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م (١).

نشاط دار الأيتام السورية في فلسطين :- (Dassyrische Waisenhaus)

لجأ الكثير من النساء والأطفال إلى المناطق الساحلية وكان بينهم الكثير من الأطفال الأيتام نتيجة للحرب الأهلية بين الموارنة والدروز والتى حدثت فى عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م في جبل لبنان. فقام الكثير من الهيئات الدينية فى أوروبا بتقديم المساعدة لهؤلاء اللاجئين الأيتام ، وقد تولى شنلر إدارة مركز الإخوة الشبتلرية (نسبة إلى شبتلر الذي سبق الكلام عنه) فى القدس (Das spittlersche Bruderhaus) التابعة لبعثة الزوار الأجانب فى كريشونا وكان له اليد الطولى فى هذا المجال ، فسعى إلى إيواء الأطفال اليتامى إلى بيته ، ولكن جهودة باءت بالفشل بسبب المعارضة من الطوائف الأخرى(٢). وسافر الى بيروت في محاولة لاجتذاب اليتامى الى داره ، إلا أنه عاد إلى القدس خالى الوفاض . ولكنه قام بزيارة أخرى لمدينة صيدا وتمكن هذه المرة من إحضار تسعة أطفال معه إلى القدس وذلك فى جماد أول من عام ١٢٧٧هـ/ ١١ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٨٦٠م وكان هؤلاء النواة الأولى لدار الأيتام السورية ، ولقد إزداد عدد الأطفال الأيتام إلى ٢٩ طفلا مع نهاية العام ، ولقد ازداد عدد الأطفال مع السنين حتى بلغ فى عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م ستين طفلا ، ثم الى ١٢٦ طفلا فى عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م وقام شنلر بتأليف هيئة

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٥ .

٢) شنلر : ولد شنلر عام ١٢٣٦هـ/١٢٨٠م فى قرية أرفنغن (Erpfingen) بجنوب ألمانيا من أب قروى نساج وكان أحد أجداد شنلر قد طرد من الكاثوليك فى إحدى المقاطعات النمساوية بسبب اعتناقه البروتستانتية. وفى سن الثامنة عشرة اجتاز شنلر امتحان دور المعلمين وتقلد منصب أستاذ مساعد فى مدينة فورتنبرغ وبعد عام ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م عمـل أستاذاً فى برغفلدن (Bergfelden) وفايهنغن (Vaihingen) وفى مدينة كوبنغن (Goppingen) وإسلنغن (Eisslingen) وغنسلوزن (Gansslosen) و أتيحت له زيارة مؤسسة إنقاذ الأولاد (Kinderrettungsanstalt) حيث يشاهد الأولاد يتعلمون أعمالا حرفية وكان لزيارته هذه أثر كبير على مجمل نشاطاته التنصيرية فى فلسطين . وفى عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م دخل شنلر فى خدمة إرسالية الزوار النصارى الأرمن المقدسة لإخوة كريشونا حيث عمل كمعلم ومسؤول عن ٢٠ تلميذ ضمتهم الجمعية ، توفى شنلر في الأول ربيع ثانى من عام ١٣١٤هـ/ ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) عـــام ١٨٩٦م. أنظر عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٦٣.

إسشارية لتقديم المشورة والنصح من أجل تطوير دار الأيتام محملا نفسه العبء الأكبر من المسؤولية(١). وكان هؤلاء الأطفال ينامون فى دار كيلر على مساند من القش يتسع كل منها لأربعة من الأطفال . وكان شنلر نفسه وزوجته يقومان بتعليمهم القراءة والكتابة باللغتين العربية والألمانية فى أربعة صفوف ويقوم بعض الرهبان بتدريبهم على بعض الحروف اليدوية.

ويعتبر الهدف الأول من إنشاء دار الأيتام ، هو أن تكون داراً تربوية وتعليمية للنصرانية على المذهب البروتستانتى وتربية الأولاد وتعليمهم ليصبحوا أعضاء لكنيسة المسيح . ولبلوغ هذا الهدف قرر شنلر استبقاء التلاميذ أطول مدة ممكنة تحت تأثير التعاليم البروتستانتية مع تمديد فترة التخرج من سن ١٤ سنة إلى ١٨ سنة ثم إلى ٢٠ سنة ووضع برنامجاً مكثفاً لتعليم الصلاة والعمل وكانت الصلاة النصرانية إجبارية على جميع الطلاب دون استثناء لإمكانية التأثير على النفوس وتحويلها للبروتستانتية(٢).

وبعد مرور ثلاث سنوات على تأسيس الدار جرى تعميد أول دفعة من تلاميذ الدار فى كنيسة المسيح . وفى فترات متلاحقة وصلت أعداد المعمدين سنوياً من ٣٠ - ٤٠ تلميذاً من بينهم بعض المسلمين والنصارى من أرثوذكس وكاثوليك وأرمن . ولقد تطورت الدار بعد ذلك إلى مدرسة من أربعة فصول فى عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م وجرى تطوير مناهج التدريس بزيادة التلاميذ ، وأدخلت مواد تعليمية جديدة مثل : الحساب ، الخط ، الأناشيد . إلى جانب الإنجليزية والجغرافيا والتاريخ ونصوصاً بالعربية والألمانية . وكان المتفوقون من التلاميذ يتلقون تدريباً خاصاً فى التربية التنصيرية ليصبحوا معلمين فى تلك المدارس فيما بعد.

ولقد اهتم شنلر بتعليم اللغات الأجنبية ، لضرورتها فى المجتمع الفلسطينى القائم على السياحة والزوار الأجانب لارتباط ذلك بالأماكن المقدسة . ولقد رفض أن يكون للغة العربية الأفضلية على أية لغة أجنبية أخرى ، ولكن أعطى مؤسسته طابعاً ألمانياً يطلب فيها تعليم اللغة الألمانية وقام شنلر أيضاً باستقبال الفتيات فى عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م فى الدار ولكنهن عشن منفصلات عن الصبيان فى السكن . ونحن كانت الدروس والمحاضرات تعطى مشتركة للجنسين باستثناء دروس فى الأشغال اليدوية والمنزلية . وتعتبر هـذه الخطوة جريئة جداً بين الشبـان الفلسطينيين الذين يتمسكون

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية، ص ٥٥-٥٦.

٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٦٥-٦٦.

بتعـاليم الإسـلام و الـذى يحـرم الاختلاط بين الجنسين(١).

وبدأ شنلر فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجرى/ السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادى يفكر بإنشاء مستوطنة إنجيلية من خريجى دار الأيتام ، وشرع فعلا فى البحث عن قطعة أرض مناسبة لتنفيذ هذه الفكرة ، ووقع اختياره على قطعة من الأرض بالقرب من مدينة الرملة ، غير أن السلطات العثمانية لم توافق على بيعها لشنلر . وبعد محاولات دامت سنة كاملة تدخل فى نهايتها القيصر الألمانى ويليم الأول لدى الباب العالى الذى وافق بعدها على تأجير شنلر قطعة من الأرض مساحتها ٥٨٥ هكتاراً لمدة أربعين عاماً.

وقبل وفاة شنلر بلغ عدد التلاميذ ٢١٨ تلميذاً، أما العاملون من الحرفيين وأبنائهم من رهبان وموظفين ومعلمين حوالى ٦٥ شخصاً وفى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى كانت دار الأيتام السورية أكبر مؤسسة تعليمية إنجيلية فى فلسطين ، وكان قد أخذ الحيطة لاستمرار تمويل مشروعه ، فأنشأ في مدينة كولون « الرابطة الإنجيلية لدار الأيتام السورية فى القدس» (Der Evangelische Verein Fuer das syrishe waisenhaus in Jerusalem) فى عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م(٢).

التعليم المهني :-

أدخل شنلر التعليم المهنى فى دار الأيتام السورية إلى جانب التعليم العام ، ولقد تم فعلا فى السنوات الأولى من إنشاء دار الأيتام السورية ، تأسيس ورش الكندرجية (صناعة الأحذية) والخياطة ، إلى جانب مخبز وتبعها ورشتان للحدادة والخراطة فى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م واللتان حققتا أرباحاً منتظمة بعد فترة من الزمن .

ولقد واجهت دار الأيتام بعض الصعوبات فى مجال التعليم المهنى مثل عدم توافر المعلم القدير ، لذلك حاولت الدار أن تستعين بمعلمين من ألمانيا ولقد تكلفت دار الأيتام المبالغ الطائلة مما أضاع الوقت على التلاميذ ، ولذلك اتبع شنلر سياسة جديدة ، بحيث أرسل بعثات من المتفوقين من خريجى الدار فى دورات تدريبية مهنية إلى ألمانيا ليقوموا بالتدريب

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٦٦ .
٢) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٦ - ٥٧.

داخل الدار بعد عودتهم. ورغم ذلك كانت أعداد الخريجين المبتعثين غير كافية لحاجة دار الأيتام السورية من المعلمين المهنيين ، مما جعل صناعة الخزف تتعطل مرات عدة . وقد اضطرت الدار فيما بعد إلى ابتعاث أحد التلاميذ المتقدمين إلى فورتنبرغ Wertinberg للتخصص فى هذه الصناعة ، وبعد ذلك أمكن افتتاح الورشة(١) .

ولقد تعرضت الدار لمقاومة الجمعيات التنصيرية الأخرى بسبب نشاطها البروتستانتى من قبل جمعية يهود لندن ، التى رأت فى المؤسسة منافساً خطيراً لها . وكذلك تعرضت مؤسسة شنلر لهجوم الجمعيات الكاثوليكية . وشيئاً فشيئاً قلت تحفظات السكان نحو مؤسسة دار الأيتام فزاد عدد طلابها من غير الأيتام ، وفى نهاية العقد الأول من إنشاء الدار بلغ عدد التلاميذ الذين تم استقبالهم نحو ٦٠ تلميذاً يشرف على تعليمهم ورعايتهم ١٣ من المعلمين والموظفين ، وأرتفع العدد فى عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م أى بعد سنتين من بدء العمل إلى ٢١٠ صبيان و ٨ فتيات جاء منهم ١١٣ من فلسطين و ٧٢ من سوريا ولبنان.

وهكذا لم يترك هذا الرجل (شنلر) مجالا للتعليم يستطيع خوضه إلا وقام بإدخاله فى دار الأيتام السورية ، فقام بافتتاح ورشة لصناعة الخزف وأخرى لأعمال النجارة فى عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م وبعد حوالى العام كانت مهنة الحدادة تمارس بانتظام فى الدار . وكذلك قام شنلر بتشغيل التلاميذ المكفوفين فى ورشة خاصة بهم .

وفى نهاية القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، كانت هيئة التدريس تتكون من ٩ معلمين ، ٥ منهم من الألمان ، و٣ من العرب إلى جانب أرمنى من الدولة العثمانية، أما مناهج التدريس فقد شملها التطوير أيضاً حيث أضيفت إليها مواد فى العلوم الكنسية والعلوم الطبيعية واللعب على البيانو. ومع نجاح التعليم واستمراره فى الدار افتتح شنلر صفاً سادساً فى عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م . وكان صف المكفوفين ، الأول من نوعه فى فلسطين ولكن عدد تلاميذ هذا الصف كان محدوداً فلم يتجاوز فى أحسن الأحوال ١٦ تلميذاً. ثم افتتح صفاً سابعاً يدرس فيه الطلاب المحاسبة ، ومسك الدفاتر والقراءة والكتابة والإنشاء. وكانت الساعات الدراسية الأسبوعية خمس ساعات بمعدل ساعة ونصف ساعة يومياً. ومنذ ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م جرى التركيز على تخريج دفعات من المنصرين البروتستانت (الإنجيليين)

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٦٧.

إضافة إلى معلمين ومحامين وتراجمه ، ولهذا افتتح شنلر صفاً متخصصاً سمى (الحلقة) (Seminar) ودرست فيه إلى جانب اللغة العربية والألمانية اللغتين الإنجليزية والفرنسية وأضيفت فيما بعد اللغة التركية وأتيحت للدارسين فى الحلقة متابعة دراستهم فى معاهد عليا. فكثير من المحامين والأطباء والمعلمين والمقاولين والتجار كانوا من خريجى (الحلقة)(١).

أما بالنسبة للصلوات والقداس فى دار الأيتام ، فقد كان يقوم بها ابن شنلر الباستور ثيودور (Theodor) الذى عينه والده شنلر فى وظيفة راهب الدار فى الصلوات والقداس باللغة العربية فيما ظل راعى الجماعة الإنجيلية الألمانية فى القدس مسؤولا عن القداس باللغة الألمانية .. وبعد سنوات بنت الدار كنيستها الصغيرة الخاصة بها . تسلم فيها الإدارة العليا مجلس مكون من ٨-٩ أعضاء إضافة إلى هيئة (Kuratorium) مؤلفة من ٣٥ عضواً من ألمان وسويسريين ودانمركيين أمريكيين وروس ، ودفعت لشنلر تعويضاً مقداره ١٢ ألف مارك وسددت الديون المتراكمة عليه نتيجة لشراء الأراضى فى القدس ، ووضعت اللجنة يدها على جميع ممتكاته فى فلسطين بينما تعهدت فى برنامجها الإستمرار فى سياسة شنلر الاستيطانية التنصيرية فى فلسطين.

ولقد تم تمويل دار الأيتام السورية فى عهد شنلر من التبرعات والهبات المالية التى كان يقدمها أصدقاؤه بعد أن وجه دعوة الى محبي القدس فى ألمانيا وسويسرا، حيث جمع فى السنة الأولى نحو ٣٥ ألف فرنك سويسرى ، معظمه من منطقة فورتنبرغ وبادن (Baden)، وبعد أربع سنوات بدأت المنظمة البريطانية والقارية لدور الأيتام السورية (British and continental syrian Asylums Association) تزود الدار بتبرعات سنوية وصلت أحياناً إلى ٨٠٠ جنية إسترلينى، وفى الذكرى ٢٥ لإنشاء الدار بلغت الأموال التى تجمعت فى خزينة الدار نحو ٥٥٠ ألف فرنك سويسرى ، خص شنلر صندوق الاستعمار منها ٨٦ ألف فرنك (٢).

نشاط شماسات الكيزرزفرت في فلسطين :-

قامت بتلبية دعوة غوبات أيضاً جمعية كيزرزفرت الألمانية (Kaiserwerth) والتى أسست لها مركزاً فى القدس بإدارة أربع مبعوثات

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ٧٧.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق، ص ٨٠-٨٣.

بالإتفاق مع غوبات(١) . فطلب فى عام ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م راهبتين وعرض الأمر على فليدنر . ولكن فليدنر بعد أن أقنع الملك فريدريش فيلهلم الرابع بطلب غوبات ، استجاب لطلبه وزوده بأربع راهبات من الدياكونيس وزودهن بالأموال اللازمة من صندوق التبرعات التابع لكنيسة بروسيا الإنجيلية الوطنية .

مدرسة «طاليطاقومى» للبنات (٢)(Talitha Kumi)

تأسست هذه المدرسة فى أول رجب من عام ١٢٦٨هـ/ ١٧ إبريل (نيسان) عام ١٨٥١م عندما قدم المنصر فليدنر إلى مدينة القدس ، يرافقه أربعة من الراهبات للبدء بنشاط رهبنة الدياكونيس فى فلسطين وأنشئت هذه المدرسة فى مدينة القدس على منزل صغير فى جبل صهيون قريباً من موقع «كنيسة المسيح» الإنجيليكانية وكان المنزل مكوناً من طابق أرضى استعمل كمأوى ، وطابق علوى يحتوى على غرفتين استعمل كمستشفى بثمانية أسرة، وكان الهدف من تأسيسها تعليم الفتاة الفلسطينية إخراج المرأة من بيتها، أملا فى تنصيرها فيما بعد ، سواء كانت مسلمة أو نصرانيه من طائفه أخرى فيعملون إلى دعوتها إلى البروتستانتية.

واعتبر المأوى بداية لمدرسة طاليطاقومى للبنات وفى عام ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م تولت الراهبة شارلوت بليتس (Charlotte Plitz) إدراة المدرسة حتى عرفت المدرسة باسمها فيما بعد فسميت «مدرسة شارلوطة»(٣).

ومع ازدياد عدد التلميذات ، قررت جمعية الكيزرزفرت تشييد مبنى جديد للمدرسة على قطعة أرض قامت بشرائها عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م والمسماة «ربوة غوتفريد» (Gottfriedhohe) نسبة الى أحد الصليبيين فى القرون الوسطى ويدعى غرتفريد فون بويلون (Gottfried von Bouillon) وهذه الأرض كانت تستخدم حتى ذلك الوقت منتجعاً صيفياً للشماسات والتلميذات . وهنا

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٣٦.

٢) طاليطا قومى : كلمتان سريانيتان وردتا فى الإنجيل وتعنيان «ياصبيه قومى» ووردت هذه الكلمة فى الإنجيل مرقص ٥ ر ٤١ حيث ذكر أن المسيح عليه السلام قد أعاد فتاة ميتة إلى الحياة من جديد بإذن الله بعدما ناداها قائلا قومى أيتها الفتاة . أنظر على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٢.

٣) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٢.

تبرع ملك بروسيا بالأموال التى تجمعت فيما بعد فى صندوق التبرعات التابع لكنيسة بروسيا الوطنية أى «١٣٠٣٢ تالر» للإرساليه ، عند ذلك اتجهت نيتهم للخروج من المدينة وشراء قطعة من الأرض خارجها وتبرعت ملكة بروسيا إليزابيث(Elizabeth von preussen) بعدد من المخيمات لنصبها خارج القدس فى الصيف واستعمالها كمأوى للأطفال ، وتم شراء قطعة من الأرض تبعد مسيرة عشر دقائق على باب يافا . وشرع ببناء المستشفى عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م، واتضح أن قطعة الأرض لا تكفى للمشروع كما أن وجود الأطفال إلى جانب المرضى فى مبنى واحد غير مقبول ولا بد من فصل الأطفال عن المرضى ، وفى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م وضع حجر الأساس للمبنى الجديد الذى اتخذ اسم طاليطاقومى . وأشرف على البناء الدكتور شيك (Schick) وهو مبنى مكون من طابقين وبلغ عدد تلميذاته فى ذلك العام ٨٩ تلميذة . بينهن اربع فتيات مسلمات وضمت المدرسة ١١٧ تلميذة أمضين فيها من ٦ - ٧ سنوات(١).

وبعد مرور ٣٥ عاما على إنشاء مدرسة الشماسات بلغ إجمالى عدد الفتيات اللواتى استقبلتهن الدار ٥٢٣ فتاة . موزعات كالتالى ٣٠٦ فتيات أرثوذكسيات ، ٩٢ بروتستانتيات ، ١٩٠ يهوديات ، ١٣ أرمينيات ، ٨ قبطيات ، ٣ حبشيات ، ٥٥ فتاة مسلمة : وهكذا نرى قلة عدد الفتيات البروتستانتيات والتى اقيمت المدرسة من أجلهن حسب إدعاء المرسلين مما يوضح أن الهدف من إنشاء المدرسة كسب الفتيات المسلمات وغيرهن بدعوى تعليمهن ثم القيام بتنصيرهن بالتدريج .

ولقد سعت الشماسات منذ بداية إنشاء المدرسة إلى أن يشمل نشاطهن الفتيات المسلمات خارج أبواب مدرسة طاليطاقومى ، وقد تم ذلك بأن عهد إليهن أحد العثمانيين الأغنياء عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م بإدارة مدرسة للبنات أسسها فى الحى العثماني بالقدس، ولانشغالهن فى مدرستهن خصصت الشماسات فترة ما بعد الظهر لتعليم المسلمات الأشغال اليدوية والمنزلية ، وتوطدت العلاقة بين المدرسات الشماسات والفتيات وأسرهن وأخذن يدرسن التعاليم الدينية النصرانية على أمل تنصيرهن فى المستقبل (٢).

ومما ساعد هذه المدرسة على الاستقرار فى عملها ، الموارد المالية المتلاحقة ، والتى جاءت عن طريق التبرعات من الملك فريدريك فيلهلم

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٢-٦٣.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٩٥ .

الرابع ملك بروسيا وملكة بروسيا إليزابيث ، وكذلك اعتمدت المدرسة على بعض الرسوم التى كان يدفعها أولياء أمور التلميذات والذى يشكل بالنسبة للفقيرات مبلغاً سنوياً يتراوح بين عشرين وثلاثين فرنكاً فرنسياً (١).

وتضمنت مناهج التعليم فى مدرسة طاليطاقومى - والذى كان يتم فى ٣ صفوف أو ٤ صفوف - التعليم بثلاث لغات الإنجليزية والألمانية والعربية ، واضطرت الشماسات إلى التدريب بالأسبانية عن طريق مترجم عندما استقبلن فتيات أسبانيات، وكانت اللغة العربية هى لغة التدريب فى الصفوف التمهيدية فيما كانت الألمانية خاصة بالصفوف العليا. وانقسمت المواد التعليمية إلى ثلاث فروع :-

الأول : تعليم اللغات ، الجغرافيا ، التاريخ والعلوم الطبيعية .
والثانى : أشغال يدوية .
والثالث : أشغال منزلية بتوجيه إحدى التلميذات القديمات وإشراف الشماسات .

بينما تلقت الفتيات تعليماً دينيا بإشراف راعى الجماعة البروتستانتية فى القدس . وكان التركيز على الكتاب المقدس والقصص الدينية (٢).

وهكذا يتضح لنا مدى اهتمام جمعية الكيزرزفرت بتعليم الفتيات والمرأة عموما لما لها من أهمية فى المجتمع حيث رأت المنصرات أن إختراق المجتمع الإسلامى وتنصير أفرادة لايتم إلا عن طريق المرأة أولا لأن المرأة مسؤولة عن عائلة بأكملها فهى تؤثر بأفكارها ودينها فى أولادها ، لذلك فإن أقصر طريق للوصول إلى المجتمع الإسلامى ككل هو تنصير فتيات اليوم وأمهات المستقبل ، عن طريق منصرات مختصات فى هذا المجال .

قد بدأ تعليم المرأة فى فلسطين قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى وكان التركيز محصوراً فيه على الذكور فقط وقامت على أثر ذلك منافسة شديدة بين الكنائس المختلفة بافتتاح مدارس للفتيات فى فلسطين أسوة بالبروتستانت الذين كانوا أول من اهتموا بتعليم البنات ولذلك قامت الكنيسة الكاثوليكية القديمة بافتتاح أربع مدارس للإناث

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٣.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٩٦ .

فيما بين عامى ١٢٨٢-١٢٩٥هـ/١٨٦٥-١٨٧٨م أما الكنيسة الأرثوذكسية فافتتحت مدرسة للبنات فى عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م. كما افتتحت مدرسة أرمنية من قبل الكنيسة الأرمنية فى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م حتى جمعية التنصير الكنائسية قامت بدورها بإنشاء مدرسة فى عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م إذ رأت فى نشاط الشماسات تحدياً لجهودها التنصيرية رغم كونهما تابعتان للمذهب البروتستانتي.

إن تعليم مبادىء القراءة والكتابة محمودٌ لذاته ،اذا لم يتبع ذلك نوايا سيئة ومحاولة تغريب (Westernization) الفتيات فى تقاليدهن ومعتقداتهن وتنصيرهن، حتى أننا نرى أن الشماسات فى جمعية الكيزرزفرت حاولن إبعاد التلميذات أكبر فترة ممكنة عن المجتمع الخارجي ، لتكون التأثيرات النصرانية عليهن أقوى وأشد وأعمق أثراً ، فعمدت الشماسات إلى تقصير أيام الإجازات والأعياد قدر المستطاع ، وحاولن إجبار أولياء الأمور بتوقيع عقود مع المؤسسة يتعهدون فيها بإبقاء التلميذات في الدار فترة قد تصل إلى ٧ سنوات (١).

ولكن حدث بين الشماسات وبين الأهالى بعض النزاعات حول المدة المقررة لبقاء التلميذات فى الدار، حيث أن سن زواج الفتاة فى الشرق فى تلك الفترة كانت تتراوح بين ١١ - ١٢ سنة إذ لم يكن من المفروض للفتاة إتمام تعليمها إلا لفترة محدودة ، والذي يسمحون فيه بتعليم فتياتهم ، فكانوا يكتفون منهن بأن يتعلمن مبادىء القراءة وخصوصاً حفظ القرآن ، وحيث أن الأهالى لم يلمسوا من الفتيات أنهن سيتعلمن أصول دينهن فى تلك المدارس التنصيرية فأصبحوا يأخذون بناتهم دون النظر إلى مدى ما وصلن إليه ودون الإكتراث لتنفيذ العقد مع الشماسات واللواتى على البعض شكاوى قضائية انتهت جميعها لصالح الأهالى المسلمين .

ولذلك لجأت الشماسات فيما بعد إلى احتضان التلميذات اليتيمات اللواتى لا جذور عائلية لهن خوفاً من المشاكل مع الآباء وسعين إلى تنصيرهن وتربيتهن تربية إنجيلية نصرانية فكن يمنعن من الصوم خلال شهر رمضان ويقنعن التلميذات بأنه عديم الفائدة . كما كن يطلبن من التلميذات اليتيمات الصلاة ليسوع وحده !! وليس لهن إلا السمع والطاعة، وبهذه

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٩٩.

الطريقة نجحت الشماسات من تنصير عدد منهن. وكانت الفتيات المنصرات يحصلن على أسماء نصرانية ، وتؤمن لهن أعمال لدى عائلات أوروبية فى مناطق بعيدة عن مكان إقامتهن السابقة ، أو تقدم إليهن أعمال فى مؤسسات (تنصيرية) فى الشرق الأدنى وبهذه الوسيلة كانت الشماسات تحقق هدفين : تنصير الفتيات ، ومن ثم نزعهن من بيئتهن وزرعهن فى بيئة أخرى رغم المشاكل القضائية التى كانت تتعرض لها الشماسات مع السلطات العثمانية(١).

وخلاصة القول أن نشاط الشماسات فى فلسطين إنما يدل على مدى التفانى المطلق للمنصرات فى احتمال المصاعب الكبيرة ، حيث البعد عن ديارهن الأصلية وهذه عادة كل من يقوم على التنصير . فقد ابتدأت الشماسات نشاطهن من منزل صغير على جبل صهيون ، والذى تطور العمل الجاد فيه إلى مشروعين تنصيريين كبيرين هما مشروع مدرسة طاليطا قومى والمستشفى البروسى ، وذلك خلال نصف قرن ، رغم العمل التنصيرى الدؤوب الذى لا ينقطع طوال النهار والليل فى المدرسة والمستشفى(٢).

جمعية بيت المقدس : (Der Jersalem Verein) :

أنشأ هذه الجمعية الدكتور شتراوس مساعد الواعظ فى كاتدرائية برلين ، الذى زار فلسطين فى عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ونشر بعد زيارته عنها كتاباً يصف فيه رحلته إلى فلسطين بعنوان (سيناء والجلجثة (Sinai und Golgoths) والذى أثار اهتمام الألمان بفلسطين ، ومنذ عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م بدأ شتراوس الإحتفال بيوم القداس فى كاتدرائية برلين ، وهو اليوم الذى وصل فيه أول مطران إنجيلى إلى المدينة المقدسة وذلك فى أول ربيع الأول عام ١٢٦٩هـ / ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٨٥٢م وهو اليوم الذى أنشأ فيه شتراوس - بالتعاون مع المايور فستفال (Major Westphal) وآخرين - جمعية بيت المقدس (Der Jerusalem verein) وقد تولى هوفمان (Hoffmann) منصب رئاسة الجمعية وخلفه بعد ذلك فى منصبه كيجل (Koegel) فى عام

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ٩٩.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٠٨.

١٢٩٢هـ/١٨٧٥م ثم الغراف تسايتن شفيرين(Zeiten schwerin) الذى ظل فى هذا المنصب الى ما بعد نهاية القرن الثالث عشر الهجرى/ القرن التاسع عشر الميلادى . أما إدارة الجمعية فقد تولاها شتراوس بنفسه حتى ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م .

وقد تأسست فروع للجمعية فى مدن بريسلاو (Breslau) وشلنسر (Schlenzer) وفيسلار (Wesslar) وشتوتجارت (Stuttgart) ومناطق شيليزيه (Schlesien) وبروسيا الشرقية ومملكة سكسونيا وتورنجن . واقتصر نشاط الجمعية فى السنوات الأولى من حياتها على التنصير الإنجيلى الذى هو أهم أهدافها . وأصدرت فى عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م مجلة «أحداث الأخبار من الشرق» (Neusten Nachrichren ausdem Morgenlande) بمعدل مرة كل شهرين وكانت توزعها مجاناً على أعضائها وتبعتها بعد فترة أحداث الأخبار من مملكة الرب (Neusten Nschrichten aus dem Reiche Gottes) والتى كانت تنقل معلومات داخلية عن نشاط الكنيسة الإنجيلية فى فلسطين.

ولقد انحصر الدعم المادى الذى كانت تتلقاه جمعية بيت المقدس فى البداية على دعم «غوبات» وشماسات الكيزرزفرت والجماعة الإنجيلية فى القدس ، ثم تلقت بعد ذلك مساعدات من الكنيسة الوطنية البروسية وجمعية غوستاف أودلف وجمعيات أخرى ، وبذلك ارتفع مدخول الجمعية إلى ٢٠ ألف مارك ألمانى في العام على أنه لم يتجاوز فى الأعوام الثلاثة الأولى من إنشائها ٢٠٠٠ مارك. ولقد حافظ هذا الدخل على مستواه الذى انعكس فى بناء الكنائس وانتشارها كمراكز للتنصير إلى جانب المدارس والمؤسسات . وقد نالت مطرانية القدس الأنجليكانية - بفضل جهود جمعية بيت المقدس - دعماً خقيقياً من الحكومة الألمانية. ولكن الجمعية بدأت تعانى من مشاكل مالية بعد توسعها في إنشاء المراكز للإرساليات التنصيرية في كل من بيت لحم وبيت جالا، بالرغم مما تلقته الجمعية من بعض الأغنياء من تبرعات مالية ، لحل أزمتها من أمثال الصيرفى فروتيفر فى القدس الذى قدم لها قرضاً بلا فائدة لدفع رواتب العاملين بها(١). ولهذه الأسباب المالية المتدهورة ، عين الغراف فوت تزيتين شفرين فى عام ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م رئيساً لمجلس الإدارة واستطاع أن يخرج الجمعية من أزمتها المالية بفضل اتصالاته الواسعة ، وأن يزيد من عدد أعضاء الجمعية وبالتالي زيادة الاشتراكات المالية.

---

١) عبدالرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٣٣ - ١٣٥. وعلى محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٥٧ - ٥٨.

النشاط التعليمي لجمعية بيت المقدس :

اتخذت جمعية بيت المقدس مدينة بيت لحم(١)، وبيت جالا ، فى فلسطين مركزين للتنصير ، وقد وضع غوبات بعض المدارس تحت إدارة هذه الجمعية ، فانتقلت إليها ملكية مدرسة بيت لحم وعمل «مولر» على زيادة التلاميذ الذين يقوم على تعليمهم من ١٤ تلميذاً إلى ٤٠ تلميذاً بعد سنتين فقط كما أسس «مولر» مدرسة الأحد للبالغين ، وتولت الجمعية الإنفاق عليها ، واشترى مولر قطعة من الأرض خارج البلدة ، بنى عيها منزلا ومدرسة وقاعة للصلاة ، بينما قامت زوجته بنشاط كبير فى الوسط النسائى فى مدينة بيت لحم ، فأخذت

---

١) بيت لحم : من أعرق المدن الفلسطينية ، يرتبط تاريخها بتاريخ الشعب الفلسطينى وأصالته . تقع المدينة على جبل يرتفع قرابة ٧٨٠م عن سطح البحر فى الجزء الجنوبى من سلسلة جبال القدس ، وعلى مسافة تزيد قليلا على ١٠ كيلو متر جنوبى مدينة القدس . تشكل مع بيت جالا شمالاً وبيت ساحور شرقاً تجمعاً عمرانياً واحداً، مناخ بيت لحم معتدل البرودة شتاء لطيف جاف صيفاً . ومدينة بيت لحم قديمة جداً فى التاريخ حيث سكنت حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م ، وفى مدينة بيت لحم ولد داود عليه السلام ، ولها أهمية كبرى عند النصارى لأنه ولد فيها السيد المسيح عليه السلام . وفيها أثار وكنائس قديمة مقدسة لدى النصارى مثل كنيسة القديسة «مريم» التي بناها الأمبراطور قسطنطين عام ٣٣٠م وفيها كنيسة «المهد». وعندما فتح المسلمون القدس فى عام ١٥ هـ/ ٦٣٦م أظهروا الاحترام لمهد عيسى عليه السلام . ويذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، زار بيت لحم سنة الفتح وأعطى الأمان لأهلها وحضرته الصلاة وهو فى كنيسة المهد فصلى داخل الكنيسة عند الحنية القبلية ، وكتب عمر للبطريرك سجلا ألا يصلى فى هذا الموضع من المسلمين إلا رجل واحد بعد رجل ، ومن دلائل تعظيم المسلمين لكنيسة المهد أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يبعث بزيت يسرج فى بيت لحم حيث ولد المسيح عليه السلام . وقد ظل معظم سكان بيت لحم من النصارى على دينهم بعد الفتح الإسلامي يشهدون مدى الأمان والتسامح والمحبة فى ظل الحكم الإسلامى العادل . زار بيت لحم عدد من الكتّاب الرحالة والمسلمين فى عصر المماليك منهم الهروى المتوفى عام ٦١١هـ/١٢١٤م وياقوت المتوفى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م الذى ذكر أنها كانت عامرة حافلة فيها أسواق ومزارات ، والقزوينى المتوفى عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م وابن بطوطة المتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م والظاهرى المتوفى ٨٧٢هـ/١٤٦٩م . ومعظمهم ذكر أن فى بيت لحم جذع النخلة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم (سورة مريم آية ٢٥) أنظر الموسوعة الفلسطينية : المجلد الأول، الطبعة الأولى ، ص ٤٥٧-٤٥٩.

تدرب الفتيات على أعمال الخياطة والتطريز فى منزلها ، وذلك ليقضين أكبر وقت معها ، وتتمكن من تدريبهن وتعليمهن المبادىء النصرانية . كما تولت زوجة مولر العناية بالأطفال الأيتام حتى بلغوا ٢٠ يتيماً ، وبلغ عدد الأسر التى انتمت إلى الكنيسة الإنجيلية فى البلدة أربعين أسرة .

وأنشأ صمويل مولر فى عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م مدرسة للبنين بلغ عدد تلاميذها حوالى ٨٠ تلميذاً ولحقتها مدرسة أخرى للبنات بعد ذلك . وتولى إدارة مدرسة الصبيان ابن أخيه عمانوئيل مولر (Emmanuel Mueller) فى عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م أما مولر العم فقد مكث فى بيت لحم حوالى أربع وعشرين سنة. وخلفه فى إدارة الإرسالية فى بيت لحم ، القس يوهان لودفغ شنلر الذي أسس دار الأيتام السورية ، بناء على تعليمات جمعية بيت المقدس .

وحتى يتمكن عمانويل مولر من تحقيق أهدافه الرئيسية فى تنصير المسلمين والوصول إليهم فى عقر دارهم - بعد أن حاول تنصير الطوائف النصرانية الأخرى وكسبهم إلى جانب البروتستانتية - عمل على توطيد علاقاته بقبائل البدو المسلمة القريبة من بيت لحم ، فافتتح مدرسة لأبناء البدو وهى عبارة عن خيمة ، وعين عليها مدرساً عربياً ، ولكن السلطان العثمانى أغلق تلك المدرسة بعد عشرة شهور من تأسيسها وبعد أن اتضحت نوايا الألمان القائمين على المدارس المذكورة في تلك الفترة وذلك. ولقد واجهت المدارس البروتستانتية الألمانية منافسة شديدة من قبل الطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية ، فقامت هى الأخرى بإنشاء المدارس، فعملت جمعية بيت المقدس على تكثيف نشاطها بمواجهة تحديات الطوائف المعادية لها ، ففى عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م كان فى مدارس جمعية بيت المقدس ١٠٠ صبى و٢٥ فتاة ، انخفض بعد خمس سنوات إلى ٣٠ - ٥٠ فى مدرسة للصبيان وإلى ٢٠ - ٤٠ فى مدرسة البنات(١).

وكانت المدارس التى افتتحتها جمعية بيت المقدس وقامت بالإشراف عليها، تقوم بتكثيف نشاطها لتوسيع مدارسها وتحسين طرق التعليم فيها واستخدام اللغة العربية فى التعليم والاستعانة بهيئة تدريس من ذوى الاختصاص وذلك لمواجهة المنافسة الخارجية للطوائف النصرانية الأخرى ولقد اشتملت مواد التدريس على القراءة العربية والألمانية والكتابة والحساب وتعاليم النصرانية من البروتستانتية والتاريخ

---

١) عبدالرؤوف سنو : المصالح الألمانية الفلسطينية ، ص ١١٧ - ١١٩.

والجغرافيا والترتيل بحيث يكون الاهتمام باللغات كبيراً. ونظراً لأهمية مدينة بيت لحم الدينية عند النصارى حيث كان يقصدها الزوار الأوروبيون فإن معرفة السكان باللغات الأجنبية ضرورى لترويج السياحة لذلك قام مولر فى عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م بافتتاح صف لتعليم اللغات ، وكان من بين طلبته ٨ من المسلمين. بينما وجد فى مدارس جمعية بيت المقدس وبيت جالا وبيت لحم ٢٠٠ - ٢٢٠ تلميذاً و ١٤٠ - ١٦٠ تلميذة يتلقون التعليم فى نهاية القرن الثالث عشر الهجري .

ولم تكن الدراسة تمضى بانتظام خلال العام الدراسي ، وخصوصاً فى الصيف لتغيب التلاميذ لمساعدة أولياء أمورهم فى الحصاد حتى أن بعض المدرسين كانوا يتغيبون أيضاً للعمل فى الحقول ، وكان على مولر أن يواجه هذه الصعوبات بترو وسعة صدر من أجل تحقيق هدفه المنشود فى تنصير المسلمين بأى ثمن حتى لو كلفه ذلك صحته وحياته(١).

وقد أخذ مولر بدراسة أحوال مدينة بيت جالا (٢) ، فأخذ يتردد على المدينة مساء كل يوم أحد ، ليعرف الناس بالدين النصرانى البروتستانتى ، واستأجر غرفة صغيرة لهذه الغاية . غير أن أتباع الطوائف النصرانية الأخرى من كاثوليك وأرثوذكس المخالفين له بالمذهب أحرقوا غرفتة وطردوه منها فى عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ولذا قررت جمعية بيت المقدس تكليف «بشاره كنعان» بالإشراف على الجماعة الإنجيلية العربية فى مدينة بيت جالا فقام بشارة كنعان ببناء دار ومدرسة وقاعة للصلاة والاجتماعات العامة بينما أنشأت زوجته مدرسة للخياطة والتطريز لتجذب أكبر عدد من نساء البلدة ، ولتنشر المبادىء النصرانية الإنجيلية بينهن ، ولكن برز خلاف قوى بين

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٢٠.

٢) مدينة بيت جالا مدينة عربية فى فلسطين ، ترجع تسميتها إلى جبل جيلو جبل الرأس حالياً ، يقع بيت جالا على بعد ٢ كيلو متر إلى الشمال الغربى من مدينة بيت لحم ، وتعد الطريق الذى يصل بين مدينتى القدس والخليل الحد الفاصل بين بلدتى بيت جالا وبيت لحم ، وتحدها من الجنوب أراضى قرية الخضرى حيث قبر المجاهد الكبير (سعيد العاص) كما تحدها من الشمال أراضى قرية شرفات ، ومن الغرب أراضى قرية بتير ترتفع بيت جالا ٨٢٥م عن سطح البحر، ولذا فهى ذات مناخ معتدل ، وتعد بيت جالا من المواقع السياحية الهامة بسبب اعتدال مناخها وتنوع مناظرها الجميلة الطبيعية ويؤمها عدد من المصطافين وتكثر فيها الفنادق والمتنزهات والمرافق السياحية المتعددة. أنظر الموسوعة الفلسطينية : المجلد الأول ، ص ٤٤٣-٤٤٤.

الطائفة الإنجيلية فى مدينة بيت جالا، وبين خصومهم من الروم الأرثوذكس وذلك فى عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م أسفر عن مقتل فتاة أرثوذكسية أثناء تراشق حدث بالحجارة بين الطرفين وطالب الأرثوذكس بالثأر. واضطر البروتستانت للرحيل عن البلدة إلى مدينة « الكرك». وبعد ستة شهور من المفاوضات التى بذلها القس شنلر ، عاد البروتستانت إلى منازلهم بعد دفع دية الفتاة الأرثوذكسية القتيلة(١).

نشاط جمعية بيت المقدس في الخليل :

شكل المسلمون أكثر من ٧/٨ سكان المدينة البالغ عددهم ٨ آلاف نسمة أما النصارى فبلغ عددهم حوالى ١٠٠ شخص ، وكانت توجد في مدينة الخليل المدارس المعروفة بالكتاتيب ، والتى تعلم حفظ القرآن فقط ، ولرغبة الأهالى من المسلمين فى تعليم أبنائهم العلوم الدنيوية الحديثة ، قدم عدد من العائلات الإسلامية إلى جمعية بيت المقدس طلباً لفتح مدرسة «علمانية» شرط ألا تتعاطى أمور التنصير بين التلاميذ المسلمين ، بينما لم يكن هذا إلا سبباً من أسباب وجودها فى فلسطين . لهذا نجد العقول المدبرة للجمعية تفكر فى أن تضع لها مركزاً فى مدينة الخليل باقتراح موجه من كارل راينكه (Karl Reinicke) على أن يحصلوا على المعونات المالية من التبرعات التى تجمع من دويلات ألمانيا . وبهذا قررت جمعية بيت المقدس إرسال المعلم إلياس ضاهر للمدرسة والطبيب اللبنانى صليبى إلى مدينة الخليل لفتح صيدلية إلى جانب المستوصف وتم بالفعل إستئجار منزل بمبلغ ١٠٠٠ فرنك سنوياً وحصلوا فعلا على تبرعات مالية سخية ، فتبرع الأمير البرشت البروسى (Prince Albricht of Prussia) بمبلغ قدره ١٢٠٠ مارك ألمانى وتبرعت سيدة دونر (Donner) من منطقة التونا (Altona) بمبلغ ٣ آلاف مارك(٢).

ولهذا تحولت المدرسة إلى مركز للتنصير فى مدينة الخليل ، حيث تجرأت بعض العائلات المسلمة على إرسال إبنائها إلى المدرسة ، وكان المدرس إلياس ضاهر يدير جلسات مع عائلات إسلامية حول تعاليم النصرانية شبه علنية ، بل وكان يوزع على أبناء المسلمين منشورات معادية للإسلام وفيه سباب علنى للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فتدخلت الحكومة العثمانية بمنع تلك المنشورات وأمرت بحرقها ، ولكن دون جدوى واستمر جهود المدرسة والمستوصف كما هى، وواصلت المدرسة نشاطها

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٦٠.
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين، ص ١٢٤-١٢٥.

التنصيرى سراً بعدد قليل من التلاميذ حتى أنها اقتصرت فى بعض الأحيان على ولدي «ضاهر» وتلميذ آخر مما اضطر الجمعية إلى اقفال المدرسة(١).

النشاط التنصيري البروتستانتي في حيفا ويافا وسارونا :

حدث انشقاق داخل جمعية الهيكل فى عام ١٢٩١هـ/١٨٧٤م وانفصلت عن الكنيسة ٢٥ أسرة فى حيفا ويافا وأسست لها جمعية مستقلة فى خلال عامى ١٢٩٤-١٢٩٥هـ/١٨٧٧-١٨٧٨م وتعرضت الجمعية الأم إلى ضعف آخر ، وأفسحت هذه التطورات المجال أمام الإرساليات الإنجيلية لتدخل المنشقين عن جمعية الهيكل ضمن سياستها التنصيرية ، وانضمت ١٠ أسر من جديد إلى المذهب البروتستانتى ، وبعد وفاة هوفمان أحد زعماء جمعية الهيكل، سنحت الفرصة لجمعية بيت القدس لرعاية تلك الأسر وكلفت راينيكه بمهمة رعايتهم والانتقال بين القدس وحيفا على نفقتها الخاصة (٢).

النشاط التنصيرى فى الأردن عن طريق التعليم:

كانت الأردن تؤلف فى القرن الثالث عشر الهجرى الموافق التاسع عشر الميلادى جزءاً من بلاد الشام وكانت تابعة لولاية دمشق ويشكل السكان النصارى فيها حوالي عُشر السكان(٣). وهذه الاقلية الموجودة في الأردن معظمها من الغرب. ويرجع تاريخ انتشار النصرانية فى الأردن ، إلى القرن الثانى الميلادى في أثناء الحكم الرومانى للأردن ولقد زاد انتشارها بعد أن اصبحت النصرانية العقيدة الرسمية للأمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى. وعند الفتح الإسلامى لبلاد الشام دخل الكثير منهم فى الإسلام وبقى بعضهم على دينه ودفعوا الجزية وتمتعوا بمزايا الدين الإسلامى الحنيف بما فيه من محبة وتسامح وعاشوا فى ظله فى خير وسلام.

ويتركز الوجود النصرانى فى عمان ، ومادبا ، وعجلون ، والكرك والفحيص، وينتمي النصارى فيها إلى الطوائف الغربية والشرقية المختلفة ، ومن أهمها طائفة الأرمن ويتكلمون اللغة الأرمنية بجانب العربية. ولقد أصبح النصارى فى بلاد الشام أقلية إلا أنه بقى لهم وزن ، ثم أنه كان لهم حرية العقيدة والعبادة ، ولقد لعبوا - بسبب معاملة وتساهل الدولة العثمانية - دوراً مهماً، فى نشاط الإرساليات الأجنبية وتقديم المساعدات الفردية والمالية لهم فى مجال التعليم والصحة والمجالات الإجتماعية الأخرى ، إلا

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ١٢٦.
٢) عبد الرؤوف سنو : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٢٩.
٣) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية ، ص ٣٧ .

أن النصارى عزلوا أنفسهم وابتعدوا عن الإيجابية البناءة فى ميادين الحياة وخدمة المجتمع . وكان الدور الثانى للنصارى هو هدم المجتمع الذى يعيشون فيه ، هيكلا وروحاً ووجوداً ، فلقد كان الكثير منهم مديرين وموظفين كباراً فى مؤسسات أقامتها البنوك التجارية الغربية ، وتمكنوا من بث الأفكار الأوروبية الهدامة ، لأن قوميتهم كنصارى كانت علمانية تنقصها الصفة الدينية التى للقومية العربية الإسلامية(١).

ولقد كان وجود الأقلية النصرانية فى الأردن سبباً فى التدخلات من قبل الدول الأجنبية بحجة حماية طوائفها وأقلياتها ، وكان السبب الرئيسى للعمل النصرانى فى بلاد الشام عامة وفى الأراضى المقدسة بشكل مكثف وصريح. زار الأردن مرسلون من جمعية التنصير الكنسية وأقامت مدرسة ومستشفى فى مدينة السلط . وعندما اختار الأمير عبد الله بن الحسين مدينة «عمان» عاصمة له مؤخراً، أفل نجم السلط وأصبحت عمان مدينة مزدهرة وتوافدت إليها البعثات النصرانية فى القرن الرابع عشر الهجرى وأوائل القرن العشرين. وتوجد مدارس قائمة للإرساليات على روابى المدينة (عمان) يؤمها للأسف الشديد أبناء وبنات المسلمين إلى جانب أبناء النصارى وبتكاليف باهظة جداً مثال لذلك مدرسة التراسنطة الحديثة فى عمان - تأسست سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م يشرف على إدارتها حالياً الأب حليم نجيم - يشكل المسلمون فيها نسبة ٥١-٥٢٪ من أعداد التلاميذ والباقى من النصارى ولكن أهداف هذه المدرسة اختلفت عما كانت عليه مدارس الإرساليات فى القرن الثالث عشر الهجرى/ القرن التاسع عشر الميلادى، لأسباب لم يفصح عنها مدير المدرسة. وكان مما قاله الأب حليم نجيم أثناء مقابلتى له فى عمان(٢) : «كان الغرض من وجود المرسلين الأجانب ، المحافظة على الأقليات النصرانية فى الشرق وتقليل أو منع الهجرة إلى اوروبا وأمريكا ، وكانت تتم عملية التنصير بين الطوائف النصرانية فقط وخصوصاً عندما يجدون عدم العناية فى طوائفهم». وقال أيضاً : «إنه ربما كان سبب وجود البعثات التنصيرية فى العصور الوسطى هو الحروب الصليبية ، فكان العالمان -الشرقى والغربى - مشحونين من جرائها وكانت أهدافها تختلف عنها الآن».

ربما أن كلام الأب نجيم ، لا يحتاج إلى تعليق ، حيث كان رأيه دفاعاً عن عقيدته ، وهو دفاع فطرى واجب على كل إنسان ، وربما كانت حقيقة تحتاج إلى

---

١) يوسف أبو هلاله : الغزو التبشيرى فى الأردن ، ص ١١٨-١٢٠.
٢) مقابلة شخصية مع حليم نجيم مدير مدرسة تراسنطة النصرانية فى عمان يوم الأربعاء ، ١٧ محرم ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

إثبات أو نفى . ونحن نلمس بعض هذه الحقيقة فى أيامنا هذه ، فالغزو الفكري والغربي غطى جميع البلاد العربية الإسلامية ويرمى إلى إبعاد المسلمين عن كل ما هو إسلامى، وما ذاك إلا من نتائج نشاط المؤسسات التنصيرية التى قامت بنشاط كبير فى القرن الماضى .

مما سبق نلاحظ أن النشاط التعليمى فى الأردن لم يكن له وجود فى القرن الثالث عشر الهجري بصفة خاصة لأنه كما قلنا أن الأردن هى جزء من بلاد الشام ، وكانت المؤسسات التعليمية تغطى بيروت وحلب واللاذقية وطرابلس والقدس ونابلس وبيت لحم وبيت جالا وكان أبناء الشام ينتقلون للتعليم والتجارة والسياحة فى بلادهم دون قيود فلم تكن الحدود السياسية القائمة الآن موجودة في ذلك الوقت. أما بعد التقسيمات السياسية لبلاد الشام أصبح الاستعمار يهتم بكل بلد على حده وينشئ مؤسساته التعليمية التنصيرية فى كل بلد منفرداً. وهذا ما حدث فى الأردن فعلا فعند زيارتنا لها لإحصاء مدارسها والإطلاع على كل مؤسساتها اكتشفنا أن مؤسساتها أنشئت فى القرن الرابع عشر الهجرى / القرن العشرين الميلادي ولهذا لم أشر إليها فى هذا القرن لأنها متأخرة عن فترة البحث وهى تحتاج لبحث خاص يشمل نشاط الإرساليات الأجنبية فى القرن الحالى .

<u>نتائج جهود الإرساليات البروتستانتية فى بلاد الشام :</u>

عرفنا أن من أهداف المنصرين البروتستانت نشر مذهبهم فى سوريا ولبنان بين جميع الطوائف سواء من النصارى أو من المسلمين ، واتبعوا فى ذلك جميع الوسائل الممكنة من إنشاء المداس وتقديم المعونات المادية وافتتاح المستشفيات وجمعيات وملاجئ للأيتام وإرسال منصرين للقرى النائية وغيرها من الوسائل ، ولعل من أهم النتائج لهذا الجهد المتواصل ما يلى:

١) أدت جهود المنصرين البروتستانت وللأسف إلى اعتناق نفر قليل من المسلمين للنصرانية (١) ولكن المعروف أن المسلم الحقيقى الذى تربى على الدين الإسلامى وعرف ماهيته لا يمكن أن يتخلى عنه أبدا وهذا بشهادة رئيس جمعيات التنصير (صموئيل زويمر) الذى قال : إنى أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين فى حظيرة النصرانية لم يكونوا مسلمين حقيقيين.

٢) نجاح المنصرين فى كسب عدد لا بأس به من أبناء النصارى الأرثوذكس ، ونجاحهم فى تأسيس كنيسة جديدة إلى جانب الكنائس الأولى وهى

---

١) نور الدين حاطوم: البعثات الأجنبية الدينية فى العالم العربى وص ٢٨.

الإنجيلية وتشكيل طائفة نصرانية جديدة ، وضعت بجانب الطوائف الأخرى وهى الطائفة البروتستانتية ، وتبلغ الآن فى سوريا ولبنان حوالى ٣٠ ألفا من البروتستانت، فى خلال القرن الثالث عشر الهجرى/ القرن التاسع عشر الميلادى . وفى عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م احتفلت هذه الكنيسة بيوبيلها المئوى (أى أنها تأسست فى عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م) ولا بأس من أن أشير إلى مقتطفات من الخطاب الذى ألقاه القس فريد عوده رئيس الجمهورية اللبنانية فى حفل تنصيرى كبير لأن له علاقة وثيقة بموضوعنا عن الإرساليات وأهدافها ونتائجها : «كان هدف الطائفة الإنجيلية منذ نشأتها أن تحمل إلى سكان هذه البلاد نور الخلاص والإخلاص ، نور الصلاح والإصلاح ، نور الحق والحرية ، نور الثقافة الحقيقية ، نور المبادىء السماوية وقد عملت لتحقيق هذا الهدف بواسطة مدارسها وكلياتها ، مستشفياتها ومصحاتها ، مياتمها وملاجئها. مجلاتها ومؤلفاتها كنائسها ورعاتها ، أبنائها وبناتها ، فأخرجت من الوطن وللوطن سلسلة من الرجال لمعت أسماؤهم فى سماء الشرق ..».

٣) قيام السنودس الوطني الإنجيلي(١): ويضم السنووس عدة لجان ، لجنة التدبر ولجنة التهذيب ولجنة العمل الدينى ، واللجنة المالية واللجان الفرعية الأخرى والكنائس الممثلة فى السنودس حاليا عشرون كنيسة وخمسة وثلاثون مركزا تنصيريا فى سورية ولبنان.

٤) عملية الدمج : ويراد بها أن تتحد الكنيسة الإنجيلية المشيخية فى أمريكا مع الكنيسة الإنجيلية المشيخية فى سورية ولبنان فتصبح الكنيستان كنيسة واحدة ، ولها فرعان : أحدهما فى أمريكا والآخر فى سوريا ولبنان وعملية الدمج تقتضى أن تستلم الكنيسة الوطنية التى فى السنودس جميع مرافق العمل فى بلاد الشام ويتمثل فى إنشاء المستشفيات والمدارس ودور الطباعة والنشر والقيام بالعمل التنصيرى مع الموظفين المسؤلين عن كل هذه الأعمال الواسعة فلا

---

١) يراد بالسنودس ، المجلس العام والمجمع الروحى للكنائس الإنجيلية المشيخية فى سورية ولبنان ، ويتألف من القسس والوعاظ والشيوخ المنتسبين عن الكنائس الممثلة فى السنودس . وهو يتعاون الآن مع البعثة الأم للتنصير فى سوريا ولبنان . أنظر: نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٢٩.

يعود فى هذه البلاد ما يدعو الإرسالية الأمريكية للقيام بالعمل فى البلاد بل عن طريق مراسليها من الكنيسة الإنجيلية الوطنية(١).

المجمع الأعلى للطائفة الإنجيلية :

إن تشعب الفرق الإنجيلية فى سوريا ولبنان ، لم يمنع من تضامنهامع بعضها وظهورها كطائفة واحدة فانتهوا إلى تشكيل المجمع الأعلى للطائفة الإنجيلية ، ووضع نظام داخلى له سلطته فى سائر الهيئات المسؤلة عن إدارة الفرق الممثلة فيه ، وهي :

١ ـ الكنيسة المشيخية التابعة للسنودس الوطنى .
٢ ـ الكنيسة الإنجيلية الوطنية فى بيروت .
٣ ـ كنيسة دمشق الوطنية فى بيروت .
٤ ـ كنيسة الناصرى الإنجيلية .
٥ ـ الكنيسة المشيخية المصلحة فى سورية .
٦ ـ كنيسة الأصحاب الإنجيلية فى لبنان .
٧ ـ كنيسة السبتيين الإنجيلية .
٨ ـ كنيسة الله الإنجيلية .
٩ ـ الكنيسة المعمدانية الإنجيلية فى لبنان .
١٠ـ كنيسة النبك الإنجيلية فى القلمون .
١١ـ إرسالية الإتحاد المسيحى .
١٢ـ الكنيسة الإنجيلية الأسقفية فى بيروت
١٣ـ إتحاد الكنائس الأرمنية الإنجيلية .

هكذا يتضح لنا مدى نشاط الإرسالية البروتستانتية وخاصة الأمريكية منذ بداية القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى ، والذى ابتدأ عن طريق نشاط المطبعة الأمريكية فى جزيرة مالطة عام ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م ثم نقلها المرسلون الأمريكان إلى بيروت حيث تشتد منافسة الإرساليات الكاثوليكية والأرثوذكسية ، ولحقتها البروتستانتية ، ثم قامت الإرساليات الأمريكية بافتتاح العديد من المدارس لنشر المذهب البروتستانتى فى بلاد الشام عن طريق التعليم ، وابتدأت بمدرسة عبية الدرذية ثم نقلتها إلى بيروت لتتطور إلى الكلية السورية الإنجيلية والتى

١) نور الدين حاطوم : البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٢٩ عن كتاب القس فريد عوده وإبراهيم بطرس التراث الإنجيلى ، ص ١٠٤

تأسست عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م وأصبحت تنافس الإرسالية الكاثوليكية فى لبنان ، والتى سارعت بافتتاح كلية القديس يوسف الكاثوليكية فى عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م لتمثل بذلك أكبر منافس للنشاط البروتستانتى فى لبنان بل وفى بلاد الشام عامة(١) .

ثم نشطت البعثات البروتستانتية فى فلسطين والتى تمثلها كل من بريطانيا وألمانيا وأمريكا في محاولة تنصير اليهود وردهم إلى فلسطين منصرين ليحكموا البلاد باسم المسيح بعد طرد المسلمين منها أو القضاء عليهم نهائيا أذا لم ينجحوا فى تنصيرهم.

والمعروف أن دستور البلاد (الدولة العثمانية) يضمن الحرية الدينية ، وحرية إبقاء المدارس للبعثات الأجنبية ولكن كل تنصير عدائى يمكن أن يوقف نشاطه إذا عرف أنه السبب فى اختلال واضطراب الأمن(٢).

فلجأ البروتستانت الأمريكان إلى افتتاح المدارس المختلفة فى فلسطين وإنشاء الملاجىء ودور الأيتام ، ومأوى العجزة والمجذومين . وافتتحت الإرسالية مستشفيات متعددة منها للكبار مثل المستشفى البروسى فى بيروت ومستشفيات للأطفال فى لبنان وفلسطين وسوريا ثم فى الأردن . وذلك للعناية بالطفولة والأمهات ، وهذا يخدم المصالح الدينية النصرانية ، والدعوة للتنصير ، بحيث يكونون القدوة لأهل البلاد عندما يقدمون خدمة رائعة فى مستشفى نظيف وعناية مركزة أو معقولة ، ولا ينسون أن يكونوا فى منتهى اللطف فى المعاملة وحسن الأدب ، فتكون أى مقارنة تحصل بين مستشفى للإرسالية وبين أى خدمة تقدمها الحكومة فى صالح مستشفى الإرسالية ، لأن حالة المستشفيات الحكومية تتصف بعدم النظافة ، وعدم العناية المرجوة للمرضى ، والفرق شاسع بينها وبين المستشفيات الأجنبية من حيث الجهاز الإدارى والطبى ، فتتكون بذلك السمعة الحسنة للأطباء والممرضات العاملات فى مستشفيات الإرسالية ، ومن ثم يرتبط ذلك لدى أذهان العامة بكونهم نصارى فيكون من السهل بث التعاليم النصرانية فى كل فرصة يذهبون بها لعلاج لدى هؤلاء فيحصل بذلك التشكيك بالعقيدة الإسلامية وهذا ما يسعى إليه المنصرون ومبعوثوهم إلى بلاد المسلمين .

---

١) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الأجنبية الدينية ، ص ٣١ .
٢) نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص ٣٨.

مناطق نشاط الإرساليات الأرثوذكسية

قبل الخوض فى دراسة نشاط الإرساليات الأرثوذكسية ومناطقها فى الشام نود أن نعرف كلمة (الأرثوذكسية) أولا وكيف كانت بدايتها، فكلمة (أرثوذكس) لفظة يونانية تعنى المستقيم الرأى وتعنى فى المصطلحات الدينية النصرانية أتباع الإيمان القويم . وبدأ استعمال هذه اللفظة فى القرون الأولى لتميز أتباع المذهب الأرثوذكسى عن غيره من المذاهب النصرانية. وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ، أصبحت الكنيسة الشرقية تعرف باسم (الكنيسة الأرثوذكسية) بينما عرفت الكنيسة الغربية باسم (الكنيسة الكاثوليكية) وهى أيضا لفظة يونانية تعنى الكنيسة الجامعة .

ولقد كانت الكنيسة الشرقية قديما تخضع لبطريركية القسطنطنية ثم أخذت الكنائس تستقل شيئا فشيئا لأسباب دينية أو سياسية أو قومية وانقسمت الكنائس الأرثوذكسية اليوم إلى عدة كنائس هى :-

١) الكنيسة البيزنطية، وتستعمل اللغة اليونانية ، وتشمل الكنيسة اليونانية فى القسطنطينية وبلاد اليونان إلى جزيرة كريت وقبرص ، وفى فلسطين وسوريا ولبنان ومصر ، كما تشمل الكنائس الشرقية فى روسيا وفى سائر دول أوروبا الشرقية وكل كنيسة من تلك الكنائس مستقلة عن الآخرى استقلالاً تاماً .
٢) الكنيسة الأرمنية الأثوذكسية . ولغتها الأرمنية ، وجميع رعاياهامن الأرمن
٣) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية اليعقوبية . ولغتها السريانية وتعود صيغة صلواتها الى القرون الأولى ، وقد تكونت فى القدس وأنطاكية وجميع رعاياها من العرب ، وانضم هنود الملابار ، إلى كنيسة أنطاكية.
٤) الكنيسة القبطية فى مصر ولغتها القبطية وجميع رعاياها من المصريين .
٥) الكنسية الحبشية ، الأرثوذكسية فى الحبشة .

وجميع هذه الكنائس ممثلة فى فلسطين ، ولا سيما فى القدس ، وفى كنيسة القيامة ولكل منها شأن خاص وهذه الكنائس قليلة العدد . ما عدا الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية التى يعرف أصحابها فى اللغة الدارجة باسم الأرثوذكس، وفى اللغات الأوربية يدعون اليونان الأرثوذكس،

وهم الأكثرية بين الفئات النصرانية المقيمة فى فلسطين حتى اليوم(١)

ولقد وصلت الفرقة الروسية (الأرثوذكسية) لأول مرة إلى فلسطين فى عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م بحجة حماية الأقلية الأرثوذكسية فيها. ولقد بدأت الطائفة فى الزيادة والنمو والنشاط ، فتكونت فى عام ١٢٣٥هـ/١٨١٩م أول قنصلية روسية فى فلسطين . وبدأ تعاملهم مع العثمانيين والرهبان اليونانيين . وظهرت قوة الروس الأرثوذكس فى فلسطين فى حوالى عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م . حيث انتخب كريل الثانى Cyrille II Naoumov لأول مرة لحماية الأرثوذكس فى فلسطين والدولة العثمانية .

وفى الفترة من ١٢٩٠ - ١٢٩٢هـ/١٨٧٣ - ١٨٧٥م طالب الأرثوذكس بالحكم فى موضوع رئاسة الكنيسة وبالرغم من عداء البروتستانت واللاتين للروس فقد تمكنوا من تدعيم مكانتهم فى الكنيسة الأرثوذكسية ، فى فلسطين حيث استطاعوا أن يستصدروا عدة قوانين :-

القانون الأول :

صدر فى عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م وهو متعلق بالفقرة رقم ١١ من الإنتخابات ، حيث لا بد أن يكون انتخاب الكنيسة حسب مجهوداتها ، ولقد وافق السلطان على هذا القانون ، وبدأ تطبيقه عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م .

القانون الثانى :

تحت رقم ١٧ من الكنيسة الأرثوذكسية وهذا يتعلق بانتخابات رئيس الكنيسة ومجموع اختصاصاته والشروط المطلوبة لتعيينه(٢)ومن الجدير بالذكر أن هذا القانون ظل صالحا حتى عام ١٣٧٨هـ /١٩٥٨م .

وأسس الروس عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م الشركة الإمبريالية الأرثوذكسية الروسية التى كان يترأسها تزار Tsar فى البلدان الروسية ، وبدأت العمل لإنشاء المدارس والأعمال التى تخص الطائفة الأرثوذكسية ، والدين النصرانى فى محاولة للإقامة الرسمية فى فلسطين ، وكان هدفهم الحقيقى أن يضعوا أيديهم على الكنائس الأرثوذكسية فى الأماكن المقدسة ، والقضاء على الهيلينيين بعد أن آثاروا العرب عليهم .

---

١) الموسوعة الفلسطينية:الطبعة الأولى ١٩٨٤م، المجلد الأول،ص ١٤١.

٢) Anton Odeh Issa:Les Minorites Chretienne De Palestine p211-212

ولقد أقامت الأديرة والكنائس فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى فى معظمها مدارس لأبناء الطائفة أو غيرهم ممن يود الدخول فيها، وأصبح للأرثوذكس وفود تقوم بزيارة الأرض المقدسة ، فقد أوفدت روسيا بعثة بقيادة أحد كبار رجال الدين فى عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م زارت خلالها المدن والقرى الفلسطينية مثل الناصرة وبيت جالا ، وقد أوضح تقرير رئيس البعثة ، أثر عودته فى عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م عن الكنائس الأرثوذكسية في سورية ومنها كنيسة القدس ووصف حالها بأنها سيئة ، نتيجة التنافس بين أتباعها العرب واليونان . وبناء على هذا التقرير أوفدت روسيا بعثة أخرى إلى القدس لحق بها الأرشمندريث برمنويوس عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٨ غير أن المهام التى أوكلت لهذه البعثة لم تنفذ تماما باستثناء إنشاء بعض المدارس ، ثم غادرت القدس بعد حرب القرم(١)

ولقد عرف للروس الأرثوذكس كلية فى بلدة الناصرة فى فلسطين ، وقد تخرج من هذه الكلية أساتذة ومدرسون ومديرون لمدارس القيصرية الروسية فى كثير من مدن فلسطين وسورية (٢).

نشاط الإرسالية الأرثوذكسية فى لبنان :-

انشأ الروم الأرثوذكس فى لبنان عده مدارس فى عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٣م منها مدرستهم الشهيرة فى دير البلمند بالقرب من طرابلس وبعد ذلك بسنتين ظهرت مدرسة الثلاث أقمار فى بيروت للعناية بالنشء الأرثوذكسي العلمانى ، وكان يدرس فيها الفرنسية والعربية، ومدرسة خالكة الاكليريكية ، والتى تعد قسما وافرا من أخبار الطائفة الأرثوذكسية وتزودهم بالعلوم الضرورية وتبعث بهم إلى بر الشام متقنين إلى جانب اليونانية لغة الكنيسة المقدسة اللغة التركية ثم أنشأت المطرانية الأرثوذكسية فى مدينة طرابلس مدرسة داخلية فى قرية كفتين ، فى الكورة فى الدير المعروف تحت أسم دير كيفتين ،وقد ذاع صيت هذه المدرسة وكان من أساتذتها المعلم عثمان الأرناؤط ، والشيخ إبراهيم الفتال وانطوان شحير والشيخ يوسف الأسير وكان الأفراد والمشايخ كعادتهم يلجأون إلى معلمين خصوصيين لتعليم أبنائهم القراءة والكتابة وعلم الحساب وشيء من الأدب وقد يوسعون حلقة

---

١) بهجت حسن صبرى . لواء القدس ١٨٤٠م - ١٨٧٣م ، ص ٣٧ - ٣٨.
٢) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص١٩١

التدريس ، فيصبح لديهم مدارس صغيرة منتشرة هنا وهناك فى أنحاء لبنان وفى عواصم إقطاعاتهم وقد ضاعت أخبار هذه المدارس بوفاة رجالها وتبعثر أوراق رجال الإقطاع(١).

ولقد توفر لدينا وصف إحدى المدارس كما عرفه أحد روادها فى حداثته وذلك فى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م وهو الدكتور شاكر الخورى . حيث قال « كانت المدرسة فى حارة المشايخ ببيت نجم جنبلاط فى المحل الذى قتل فيه نعمان بيه أولاد عمه فوق الميدان الشرقى وكان عدد التلاميذ سبعة ما عدا البيكين الشيخ صالح والشيخ حسن أولاد الشيخ قاسم حصن الدين مستشار البيك والشيخ قاسم حسن شمس وحسن بن الماسى بن عبيد البيك وأسعد أبو صوان ووالده من حزم البيك وعلى حسن طليع ابن الشيخ العقل من الجديرة .. وعرف من الأساتذة الشيخ إبراهيم الأحدب الطرابلسى ، وكانت هناك غرفة يجلس فيها الطلاب». ويتحدث شاكر الخورى عن نفسه فيقول : - «فكنا نجلس نحن الآخرون فى الغرفة فكل منا يسمع درسه بعد انتهاء البكوات ، وكان يدرسنا فى ديوان إبن الفارض غيبا بحيث أقول القصيدة البائية إلى آخرها غيبا وكذلك ألفية إبن مالك وقصيدة لامية العرب التى لم أزل حافظها للأن بعد طول هذه المدة فلا شك أن هذه الكتب العظيمة وخصوصا الشعر كان يعلم على حقها وحيث الشعر موزون فيلزم قائله أن يلفظ جميع حركاته فيعود على اللفظ الصحيح ، وكذلك لسهولة حفظ الشعر تبقى القواعد المذكورة فيه مدة مديدة»(٢)

وقد عرف للروم الأرثوذكس فى بيروت مدارس هامة وهى موزعة كالتالى(٣):

١) مدرسة إبتدائية للبنين فى حى المزرعة تضم مائتى تلميذ وثلاثة اساتذة والتعليم فيها بالعربية والفرنسية .
٢) مدرسة إبتدائية للبنين في حي المصيطبة ، فيها ثلاث أساتذة وأربعمائه تلميذ يتعلمون العربية والفرنسية أيضا .
٣) مدرسة القديس فى حى نيقولا وفيها أربعة أساتذة ومائتى تلميذ .
٤) مدرسة إبتدائية للصبيان فى حى طلعت أحمر حيث التعليم بالعربية والفرنسية واليونانية ، وتضم مائة وتسعين طالبا وستة أساتذة .

---

١) سميح حبيب الزين : تاريخ طرابلس قديما وحديثا منذ أقدم الأزمنة حتى عصرنا الحاضر (ط، بيروت الاندلس : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ص ٣٢١ .
٢) أسد رستم : بشير بين السلطان والعزيز ، ص ٢٣٣-٢٣٤ .
٣) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثمانى ، ص١٨٤.

٥) مدرسة للفتيات ملحقة بالمدرسة الإبتدائية للصبيان السابقة وتستقبل مائتى تلميذة والتعليم فيها مماثل لتعليم الصبيان . وتعتمد هذه المدارس على الأقساط الشهرية التى يدفعها التلاميذ والتى تختلف حسب إيرادات أهل التلاميذ ، وعلى المعونات والتبرعات.
٦) مدرسة داخلية للبنات تسمى باكورة الإحسان وتدعمها بشكل أساسى سيدة غنية من أهالى لبنان تدعى مدام جورج سرسق ، وتضم المدرسة مائتى تلميذ بينهم مائة واربعون تلميذاً ، يدفعون أقساطا شهرية إلى جانب ستين مجانا ، وفيها خمسة عشر أستاذا ومعلمة ، بينهم معلمتان فرنسيتان ، يعلمون الفرنسية إلى جانب اللغة العربية .

وتتولى الحكومة الروسية الإشراف على مدرستين :-

أ) مدرسة مجانية مختلطة فى حى المزرعة تضم مائة وخمسين تلميذا يتعلمون العربية ويتلقون دروسا فى اللغة الروسية.

ب) مدرسة مجانية أخرى فى المصيطبة ويبلغ عدد تلاميذها حوالى المئتين والتعليم فيها بالعربية والروسية أيضا.

وكانت المدارس الأرثوذكسية فى منافسة دائمة مع المؤسسات التعليمية البروتستانتية والكاثوليكية ، مع أن نشاطها كان لا يزال ضيقا ومحدوداً (١). ولقد بذل المونسنيور غريغوريوس جهوداً واسعة لمضاعفة المدارس وحاول الحصول على مساعدة Saint-Synode والجمعية الروسية فى فلسطين لتحقيق آماله. فقام بإنشاء مدرسة للصبيان فى بلدة (كفتين) ليواجه بها مدرسة الفرير اليسوعية الكاثوليكية ، وتقع هذه المدرسة على بعد ساعتين من طرابلس ،ولكنها أقفلت فيما بعد لسوء إدارتها.

ولقد كان الأرثوذكس يشرفون على المدارس التالية فى سوريا :

١) مدرسة للصبيان فى طرابلس - البحرية وفيها ١٤٠تلميذا ، بينهم ٤٠ تلميذاً يتعلمون الفرنسية .
٢) مدرسة للفتيات تضم ١١٠ طالبات، ويعلم فيها العربية والأشغال اليدوية.

---

١) طلال عتريسي : البعثات السيوعية ، ص ١٨٤-١٨٥

٣) مدرسة للصبيان فى طرابلس وفيها ١٩٠ طالبا، يدرس بعضهم الفرنسية(١).

بينما عرف من المدارس القديمة فى دمشق للطائفة الأرثوذكسية المدارس الآسية (التمهيدية للروم الأرثوذكس) والتى تأسست فى عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م وتقوم بتعليم اللغة التركية وقليل من الإنجليزية . وفى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م بنيت أول مدرسة رسمية والتى عرفت باسم مكتب عنبر ، ولم تستمر بل تحولت إلى مركز تابع لمحافظة دمشق الآن . وبعدها بنيت المدرسة الآسية قرب الكاتدرائية المريمية للروم الأرثوذكس .

وللروم الأرثوذكس فى حمص مؤسسات تعليمية تعج بالطلاب فلهم مدرسة للصبيان فى حمص لا يقل عدد طلابها عن ٦٥٠ طالبا بينهم خمسة وستون يتابعون دروسهم بالفرنسية. ومدرسة للفتيات فى حمص كذلك يدرس فيها ٢٨٠ طالبة. ولهم مدرستان فى ضواحى حمص واحدة للصبيان وواحدة للبنات . ولهم مدارس فى حماه ودمشق والتى انتقلت تحت إشراف الجمعية الروسية الأرثوذكسية فى الجليل، وذلك على أثر اتفاق بين هذه الجمعية الأرثوذكسية وبطريركية الروم الأرثوذكس فى القدس ومن بنود الاتفاق إلغاء تعليم الفرنسية فى المؤسسات (٢) .

ومن الجدير بالذكر أن الأرثوذكس يقومون بإرسال أبنائهم إلى مدارس الطوائف الأخرى ، ومدارس الإرساليات الأجنبية من إنجليزية وأمريكية، فمثلاً فى مدينة اللاذقية توجد لهما مدرستان أغلب طلابهما من الأرثوذكس :

١) مدرسة للبنين تضم ٣٥ داخلياً وخارجياً وينتمى معظمهم لطائفة الروم والأرمن الأرثوذكس .
٢) وكذلك مدرسة للفتيات تضم ١١٠ داخلياً أغلبهم من الروم الأرثوذكس وربما كان الأرثوذكس يرسلون أبناءهم لهذه المدرسة لعدم وجود مدارس للطائفة الأرثوذكسية فى مكان تواجدهم .

وهناك جمعيات خيرية للروم الأرثوذكس :-

(١) جمعية القديس (بداليمون) لتربية اليتامى فى المنارات فى عام

---

١) طلال عتريسي : المرجع السابق ، ص ١٨٦-١٨٧.
٢) طلال عتريسي : البعثات اليسوعية ، ص ١٨٦-١٨٧ .

١٢٩٥هـ/١٨٧٨م وهى ما زالت قائمة إلى الآن(١).
(٢) جمعية زهرة الإحسان وهي جمعية خيرية من سيدات الروم الأرثوذكس . تأسست في بيروت عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م بجهود مريم جهشان (٢).
(٣) جمعية الترنيم والترتيل وتربية اليتامى والصبيان والتى تحولت فى عام ١٣٣١هـ/١٨١٢م إلى جمعية القديس غريغوريوس لتربية الأيتام والعجزة قرب كنيسة القصاع وهى تابعة للروم الأرثوذكس وكان تمويلها عن طريق التبرعات من الموسرين الأرثوذكس .
(٤) جمعية نور الإحسان الخيرية الأرثوذكسية فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى .
(٥) جمعية مارل منصور والتى تأسست فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى(٣)

ولقد أنشأت الطائفة الأرثوذكسية مستشفى الروم في الأشرفية ، وتقدم للعمل فيه مجاناً الدكتور فانديك ، والدكتور حبيب طبجي ، والدكتور سمعان خوري(٤) . وهؤلاء الأطباء من ضمن العاملين في مستشفى الكلية السورية الإنجيلية (البروتستانتية) ، وإنه ليس من قبيل المصادفة أن يتبرع هؤلاء للعمل في مستشفى للأرثوذكس (وهو مستشفاهم الوحيد) ، وإنما لمحاولة كسب الأتباع لكنيستهم ، بالإضافة الى الدلالة على تقصير الكنيسة الأرثوذكسية في تقديم الخدمات الطبية لأبناء طائفتها.

إن ميدان التدخل السياسى عن طريق التنصير لم يبق ميدانا للأمريكين والانجليز وحدهم فإن روسيا القيصرية أيضا أرادت أن تدلى بدلوها فتنبهت إلى أن في الدولة العثمانية طائفة أرثوذكسية ، فأرادت أن تسيطر أولا على البطاركة والأساقفة الأرثوذكس لتتخذهم وسيلة لتحقيق أطماعها السياسية فى الدولة العثمانية وهكذا أخذ الروس يشترون الأرض فى فلسطين خاصة ويقيمون الأبنية ويتدخلون ساعة يستطيعون فى الأمور الدينية والسياسية(٥)

---

١) مقابلة أجريتها مع أحد الشمامسة فى الكنيسة الأرثوذكسية فى دمشق فى يوم الجمعة ٣ صفر ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
٢) المنجد في الأعلام ، ص ٣٤٠
٣) نفس المقابلة أعلاه مع أحد الشماسة الأرثوذكس فى دمشق .
٤) حسان حلاق : بيروت المحروسة في العهد العثماني ، ص ١٠٥
٥) مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار فى البلاد العربية ، ص ١٢١.

ولهذا ظلت روسيا تحاول الحصول على اعتراف من الباب العالى يعطيها حق المحافظة على الكنائس اليونانية والأرمنية ، وبالفعل حصلت على هذا الاعتراف فى معاهدة أدرنة من عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م وكانت روسيا تزعم أن اهتمامها الوحيد بالمنطقة يكمن فى تقوية علاقتها مع الكنيسة الأرثوذكسية وأتباعها للدفاع عن مصالحها مع علمها مسبقا بأن المنطقة ستبقى ساحة للنزاع الأنجليزى ـ الفرنسى ، أى بين البروتستانت والكاثوليك .

ولذلك ولأجل تلك الأسباب جرى الاتصال بين الروم الأرثوذكس بنابلس وبين المطران غوبات فى عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م ، فأبدى هؤلاء رغبتهم فى الانضمام إلى الكنيسة الإنجليكانية . غير أن غوبات نصحهم بالبقاء تابعين لكنيستهم خوفاً مما قد يلحق بهم من أذى ، ولكنه وعدهم بإنشاء مدرسة لأطفالهم فى مدينة نابلس . وقد تكرر هذا الوضع من مدن فلسطين الأخرى. ومنذ عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م وردت الكثير من العرائض التى تتضمن الرغبة فى دخول الكنيسة الإنجيلية وإرسال معلم لإنشاء مدرسة للكتاب المقدس .

ولكن جاء رد فعل من البطريركية الارثوذكسية عنيفا وسريعا ، بحيث اعتبرت فتح المدارس البروتستانتية لأبناء طائفتها عدواناً عليها وخرقاً للحقوق الدينية الخاصة بطائفتها والمعترف بها من قبل الدولة العثمانية . ففرض على الآباء الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس البروتستانتية الإنجيلية عقوبات مختلفة مثل الفصل من الكنيسة أو فرض عقوبات مالية. ولقد حدثت أول مظاهر للعنف فى مقاومة الكنيسة الأرثوذكسية للتنصير الإنجيلى ما حدث فى مدينة السلط وذلك فى رجب من عام ١٢٦٨هـ/ أبريل (نيسان) ١٨٥١م. إذ اعتدى أفراد الطائفة الأرثوذكسية على أحد المعلمين فى مدرسة الكتاب المقدس فى السلط نفسها حيث طردوه وأغلقوا المدرسة ، وحصل الحادث الثانى فى مدينة نابلس وذلك فى صفر من عام ١٢٧٠هـ/نوفمبر (تشرين الثانى) من عام ١٨٥٣م وذلك عندما هاجم الروم الأرثوذكس مقر الإرسالية الإنجيلية وطردوا من فيها(١)

وهكذا يتضح لنا مدى نشاط الروس الإرثوذكس فى بلاد الشام ، بالرغم من أن إنشاء المدارس والمستشفيات الأرثوذكسية كان قليلا بالنسبة للبروتستانت والكاثوليك فكان للبروتستانت - وتمثلهم بريطانيا وألمانيا

---

١) على محافظة : العلاقات الألمانية الفلسطينية ، ص ٤٥.

(بروسيا) وأمريكا فيما بعد ودولا أخرى - مدارسهم وكلياتهم المشهورة والمعروفة والتى كان لها نشاط واسع ، وكذلك نشاط الطائفة الكاثوليكية ، بينما لم يوجد فى المصادر أى وصف مفصل عن أية مدرسة أو كلية أرثوذكسية ، بل أن أبناء هذه الطائفة أنفسهم كانوا يلجأون إلى مدارس الإرساليات الأخرى .

وربما كان التقصير من هذه الطائفة لأبناء أتباعها سببه عدم وجود الموارد المالية الكافية لديهم مما أدى الى قلة مدارسهم وعدم إنشائهم كلية تنافس الوجود الكاثوليكي والبروتستانتي فى بلاد الشام . ولذلك أضطر بعض أبناء الطائفة الأرثوذكسية أن يتحولوا إلى المذهب الكاثوليكى كما حدث فى الأردن ، حيث كانت جميع العشائر النصرانية فى مدينة (الكرك) تعتنق المذهب الأرثوذكسى الشرقى وفى عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ، إلا أن إهمال البطريركية الأرثوذكسية اليونانية فى القدس دفع بعض هؤلاء النصارى إلى التفكير فى التخلى عن المذهب الأرثوذكسى ، لأن البطريركية لم تكن فى كثير من الأحيان ترسل لهم الكهنة الذين يقومون على خدمة هذه العشائر ، وتمكينها من أداء شعائرها الدينية وخصوصا أيام الآحاد والأعياد وإجراء عقود الزواج والصلاة على أرواح الموتى . ولما وجدت عشيرة العزيزات التقصير من البطريركية ، وذلك بعد وعدها إياهم أكثر من مرة لتعيين كاهن من بينهم ليقوم على خدمتهم فى مناسباتهم الدينية ، قررت إرسال مجموعة من أبنائها إلى البطريركية اللاتينية الكاثوليكية فى القدس ، فقابلوا البطريرك وأجابهم عن طريق ترجمانه إلى مطالبهم وفرحته كانت كبيرة بالأمر . وأعلن البطريرك موافقته على رعايتهم وبالفعل وعد بإرسال بعثة دينية إلى الكرك فى الحال بعد أن أخذ عليهم المواثيق بألا يعودوا إلى المذهب الأرثوذكسى . وحدث بالفعل أن أرسل البطريرك اللاتينى الكاثوليكى أول بعثة لاتينية مؤلفة من كاهنين إلى الكرك وذلك فى عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م فأصبحت عشيرة العزيزيات جميعها تعتنق المذهب الكاثوليكى (١)

مما تقدم يتضح لنا مدى تسابق الدول الأجنبية النصرانية للتدخل فى شؤن بلاد الشام ، فكان القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى يمثل أوج نشاطهم إذ قامت كل دولة من الدول بتمويل جمعيات ومؤسسات ومدارس وكليات تعليمية لها فى أى جزء من بلاد الشام ، فمثلا كان

---

١) سامى سلامة النحاس : تاريخ مادبا الحديث، (الطبعة الأولى، الدار العربية للتوزيع ، عمان : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ٤٧- ٤٨.

للأمريكان البروتستانت المدارس والكليات المختلفة المتناثرة فى لبنان ثم أقامت لها صرحا عظيما للتنصير يقصد إليه الطلاب من كل الأقطار الشامية فى ذلك الوقت وهى الكلية السورية الإنجيلية فى بيروت . ولذلك قام الكاثوليك بنشاط كبير أيضا وذلك بمساعدة فرنسا فى بلاد الشام وأقامت جامعة القديس يوسف الكاثوليكية عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م تنافس كلية الأمريكان وأصبحت الدولتان تتسابقان فى قبول الطلبة من الطوائف الأخرى وخاصة المسلمين وهم المقصودين بنوايا التغريب والتنصير بدعوى نشر التعليم العالى بينهم . ونشر الثقافة والحضارة ، (المادية) لتصرفهم بذلك عن دينهم ، فينسوا معتقداتهم وعاداتهم وهذا ما حصل فعلا . وبدأت جماعات من الطلاب ينادون بالقومية العربية متناسين وحدة العقيدة الإسلامية وكان هذا مقصوداً حتى تكون دولة الخلافة العثمانية منبوذة وعندها يثور عليها العرب ويطردوها من بلادهم فتكون هذه البلاد العربية لقمة سائغة للإستعمار الأجنبى ، والذى حاول أن يبرر وجود إرسالياته المختلفة بدعوى حماية الإقليات النصرانية ، وكان لروسيا نشاطها فى دعوى حماية الأرثوذكس فى سورية والأماكن المقدسة كما حاولت ألمانيا وإنجلترا وأمريكا نشر المذهب البروتستانتى الإنجيلى هى الإخرى فى فلسطين ولبنان .

الفَصل الرّابع

حركة التصدي الإسلامي

- دور ولاة الشام في حركة التصدي
- دور العلماء والمصلحين والقوى الوطنية في حركة التصدي .

أ) دور ولاة الشام في حركة التصدي:

شكّل أهل الذمة تحت حكم الدولة العثمانية نسبة كبيرة من السكان ، فاقت كثيراً ما كانت عليه تحت حكم أي دولة إسلامية سابقة. وأصبح عدد أهل الذمة في الدولة العثمانية أكثر من عدد المسلمين فيها، الى أن فتح العثمانيون البلاد العربية بعد معركة مرج دابق في عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م.

ولقد عاش أهل الذمة في الدولة العثمانية - على اعتبار أنهم ينتمون الى طوائف مختلفة - جنباً الى جنب مع المسلمين، ويرجع ذلك الى طبيعة التنظيم العام للمجتمع العثماني الذي انقسم الى قسمين كبيرين هما : جماعة المسلمين ، وطوائف غير المسلمين من نصارى ويهود. أما الأجانب من غير المسلمين فقد عرفوا باسم المستأمنين أي الذين منحوا أماناً ، وهم لا يعتبرون من رعايا السلطان العثماني(١)

ولضمان ولاء رؤساء الطوائف غير الإسلامية ، فقد أعطت الدولة العثمانية لنفسها حق الموافقة أو الرفض في انتخاب بطريرك الأرثوذكس والأرمن وحاخام اليهود ، كما كان لها القرار الأخير في الموافقة على تعيين البطريرك أو عزله. ولكن هذا الحق للدولة العثمانية لم يكن مطبقاً في جميع أنحاء الدولة ، حيث كانت الانتخابات الأسقفية في كنائس متصرفية لبنان مثلا ، تجرى دون علم الحكومة العثمانية، ويرشح لهم رهبان لا يحظون برضاء الدولة نفسها وتصبح عاجزة أمام الأمر الواقع ، ولا تجد مناصاً من التسليم للأمر، فتصدر الموافقة على التعيين(٢)

وكان المنصرون وهم من الأجانب الذين تعتبرهم الدولة العثمانية من المستأمنين، يلاقون معاملة حسنة من قبل الحكومة العثمانية(٣) وذلك كان شأنها مع الرعايا الأجانب الذين كانت تحميهم الامتيازات الأجنبية(٤). أما بالنسبة للمنصرين من النصارى الذين سكنوا بلاد الشام وهم من أهل الذمة وينتمون الى الدولة العثمانية، فكانت الدولة تراقب نشاطاتهم

---

١) عبدالعزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٣٠١
٢) عبدالعزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ب ٣١٢
٣) أ . ل. شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٧٩.
٤) يوسف الحكيم : سورية في العهد العثماني ، ص ٢٣ - ٢٤.

التنصيرية داخل البلاد، بل تعرضوا في بعض الأحيان للسجن والطرد ، إذا اكتشفت الدولة أنهم قاموا بعمل ينافي القوانين التي فرضتها عليهم، والخاصة بالعمل التنصيري . كما أن الدولة العثمانية فرضت الكثير من الصعاب والعقبات في سبيل تشييد المدارس والكنائس، ونشر المطبوعات، خوفاً من استغلال الأجانب لتلك المدارس في مجال العمل التنصيري بين السكان ، سواء كان ذلك من قبل المنصرين الأجانب أو من المنصرين الوطنيين(١). ورغم ذلك منحت الأديرة النصرانية في ولاية سورية امتيازات خاصة، فأعفت أغنام الأديرة من الرسوم، كما أنه بموجب النظام الذي صدر في ٧ ذي الحجة من عام ١٢٨١هـ/٢٠ أبريل (نيسان) عام ١٨٦٤م، تمتع الرهبان من تبعية الدولة العثمانية والدول الأجنبية والمذاهب المختلفة بإعفاء أديرتهم من الرسوم الجمركية ، وشمل ذلك جميع الأشياء الخاصة بتزيين الكنائس ولوازم الرهبان ومدارس الأديرة والأماكن الخيرية التي يديرونها مثل العيادات الصحية والصيدليات وملاجىء الأيتام وغير ذلك(٢) .

وبموجب قانون تشكيل الولايات لعام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م قامت الدولة العثمانية بمنح الطوائف غير الاسلامية حق التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضو أو أكثر، وفي مجالس تمييز الألوية بثلاثة أعضاء، وكذلك في ديوان تمييز الولاية بثلاثة أعضـــــاء .

نلاحظ مما سبق أن الدولة العثمانية قد حرصت على وضع نشاط الطوائف غير الاسلامية في الدولة العثمانية في قوالب محدودة، الا انها تعتبر بعيدة عن روح التعصب الديني، بل أن هذه الطوائف كانت تتمتع في الكيان العام بحرية وحكم ذاتي لا شك كانت تحسدهما عليه كثير من الطوائف النصرانية في أوروبا نفسها (٣). ونلاحظ أيضاً المعاملة الحسنة من قبل الدولة العثمانية للفئات النصرانية داخل أملاكها. ولكن لا بد لنا هنا من طرح سؤال هام وهو: هل قابلت الفئات النصرانية معاملة الدولة العثمانية الاسلامية بنفس الروح الطيبة التي عاملتها بها من قبل؟ للأسف الشديد، فقد استغلت الفئات التي تسمى فئة المستأمنين وضعها داخل الدولة العثمانية أسوأ استغلال، وذلك تحت حماية نصوص الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأجنبية ، فبدأوا باستغلال الكنائس والأديرة المحلية، ومساندتها في افتتاح مدارس تابعة لها، وعندما

---

١) أ. ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٧٩.

٢) عبد العزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٣١٣

٣) عبد العزيز عوض : المرجع السابق ، ص ٣١٤.

تشددت الدولة ومنعت افتتاح مدارس جديدة - خوفاً من نشر النصرانية في بلاد الشام - قامت الفئات النصرانية بنشاط كبير عن طريق مؤسساتها الأخرى داخل البلاد ، وعملت على السماح للشباب المسلم بالتردد على مدارس وكليات التنصير، فقد وجد في الكلية الأنجيلية في بيروت مائه وأربع طلاب من المسلمين، وفي كلية الآستانة خمسون طالباً مسلماً ، وفي كلية المنصرين في كدك في الآستانة أيضاً يوجد ثمانون طالباً مسلماً ، وحدث ما كانت تخشاه الدولة العثمانية من انتشار العمل التنصيري بين المسلمين .

وفيما يختص بطباعة الكتب التنصيرية في الدولة العثمانية، فقد كان مباحاً منذ مدة طويلة، الا أن مهمة توزيع وبيع تلك المطبوعات على يد بائعي الكتب المتنقلين، كانت محفوفة بأنواع الصعوبات. وأن بيع هذه الكتب أصبح مباحاً فيما بعد بسبب حرية النشر التي أعقبت صدور الدستور عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م فبيع في خلال عام واحد ما يزيد على تسعة آلاف . وليس هناك صعوبات في بيع الكتب المختصة بعمليات التنصير، بشرط أن ألا يخوض المؤلفون في غمار المناقشات الدينية لأن الحكومة العثمانية لا تسمح بذلك(١)

ومن الثابت أن معاملة الحكومة العثمانية للمنصرين كانت معاملة حسنة بفضل جهود سفراء الدول الأجنبية في الدولة العثمانية ، وقيامهم بالضغط على الحكومة العثمانية لصالح المنصرين فيها(٢). فكانت فرنسا تتدخل مثلا لدى الباب العالي بواسطة سفيرها لديه، مع أن الحكومة الفرنسية حرصت في الوقت نفسه على عدم التمادي في هذا الموضوع الى حد إثارة غضب السلطان، الذي كان حليفها بواسطة الامتيازات الممنوحة لفرنسا قديماً(٣). واستغل المنصرون هذا الوضع ، وقاموا بترجمة الكتاب المقدس «التوراة والأنجيل» الى جميع اللغات الشرقية ، بأسلوب بسيط ليتسنى فهمه لكل الطبقات(٤). وأصبح السفراء والقناصل يثيرون المنازعات بين الأهالي في بلاد الشام ، وحاولوا إثارة الفتنة في أثناء حرب القرم عام ١٢٧١-١٢٧٣هـ/١٨٥٤-١٨٥٦م كما حدث في جبل نابلس. وكان النصارى - بتمتعهم بحماية القناصل الأجانب - لا يتورعون عن شتم وتحقير الأهالي(٥).

---

١) أ. ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، ص ١٨١. وساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٩٨.
٢) أ. ل شاتليه : المرجع السابق ، ص ٤١.
٣) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٨٧
٤) أ. ل شاتليه : الغارة على العالم الاسلامي ، ص ٤٢.
٥) عبد العزيز عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٣٣٢.

هذا وقد لعب القناصل الأوروبيون دوراً هاماً في الحياة السياسية لولاية سورية وذلك ضمن مخطط شامل على مستوى الدولة العثمانية، فانحاز كل قنصل من قناصل الدول الكبرى الى طائفة من السكان يدافع عن مصالحها في بلاد الشام (١).

ولأجل هذه الظروف السابقة، لم تكن الحكومة العثمانية لتقف مكتوفة الأيدى إزاء نشاط هؤلاء المنصرين، وخصوصاً عندما كان يصل الى سمعها خبر اعتناق مسلم للدين النصراني، فتتدخل، ولو عن طريق طرف خفي فتعمل على زج من تنصر في السجن لأي سبب كان، أو تبعده سراً عن وطنه جزاء ارتداده. ولقد اعتبرت الحكومة العثمانية عملية التنصير العلني في الشوارع والأسواق محظورة تماماً. فهي لا ترغب في منح الحرية الدينية كما يرغبها المنصرون، وهي حريتهم بنشر تعاليمهم النصرانية بين المسلمين . وهذا واجب مقدس على الدولة العثمانية، وهو المحافظة على قدسية الدين الاسلامي، الذي هو الدين الرسمي للدولة.

ورغم هذا الموقف للدولة العثمانية، فقد كتب أحد المنصرين في تقرير له يصف حالة النشاط التنصيري في الدولة العثمانية قال فيه: «ومهما يكن من أمر فان إرساليات التنصير لا تشكو ضيماً بعد أن أسفر التحقيق الذي أجرى في الآستانة ودان ومرعش وعين تاب في أن خطة الحكومة الحاضرة موجبة لاستنهاض همة التنصير»(٢).

ولقد ارتابت الدولة العثمانية منذ أمد بعيد في حركات المنصرين في الدولة فلم تترك المنصرين على هواهم وحريتهم في القيام بالعمل التنصيري بين السكان، ولكنها كانت تراقبهم مراقبة دقيقة حتى تضيق عليهم الخناق في هذا الأمر(٣). وخصوصاً وبدرجة أكبر المنصرين البروتستانت ، لأنهم تواروا وراء العلم البريطاني ، وكذلك في المنصرين اليسوعيين لأنهم يعملون للسياسة الفرنسية أيضاً(٤) ولهذا وقفت الدولة العثمانية من جميع

---

١) عبدالعزيز عوض : المرجع السابق ، ص ٣٢٣. وسوسن اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٢٦.
٢) أ. ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامي ، ص ١٨٣-١٨٤.
٣) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ص ١١٦.
4) J.L. Francois Prima : Histoire Universeile des Missions Catholiques, p.396

المنصرين موقفاً حازماً، فألقت العراقيل في سبيلهم وعزمت ألا يصيبوا نجاحاً. وهكذا أصبح تنصير المسلمين في بلاد الشام وفي الدولة العثمانية كلها مستحيلا، بسبب الرقابة الشديدة المفروضة من قبل الحكومة العثمانية على المنصرين . فأضطرت الجمعيات التنصيرية التخلي عن بضع مدارس كانت لأطفال الدروز في عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، وذلك أمام حزم وتشدد الحكومة العثمانية وسهرها، رغم أنها لم تستطع اتخاذ سياسة علنية تجاه المنصرين، وذلك لأن المرسلين الأجانب من منصرين وغيرهم كانوا يأتون في الظاهر كرعايا انجليز أو أمريكيين أو دانمركيين أو فرنسيين(١). فاذا استقروا في الدولة العثمانية، أخذوا يقومون بالتنصير سراً ما أمكنهم ذلك. وكذلك كان المنصرون يلجأون الى قناصل دولهم، كلما وجدوا مراقبة وسهراً من الدولة العثمانية فيقوم القناصل بدورهم المطلوب منهم وهو معاملة هؤلاء المنصرين كرعايا أجانب في الظاهر أيضاً (٢). ومما يدل على مدى حماية الدول الأجنبية لمنصريها، ما حدث عندما أرادت انجلترا اخراج جيش محمد علي بقيادة ابراهيم باشا بالقوة من سورية وذلك في عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، فعزمت على ضرب بيروت من البحر. فأرسلت أمريكا سفينة حربية صغيرة أسمها «سيان» حملت على ظهرها المنصرين الأمريكان من بيروت الى مدينة لارنكا في جزيرة قبرص. وبعد أن انتهى ضرب بيروت، وخروج ابراهيم باشا من سورية، أعادت أمريكا منصريها الى أماكنهم في بيروت وذلك في أكتوبر (تشرين الأول) من نفس العام. وبينما اشتد التنافس بين فرنسا وبريطانيا وأمريكا وايطاليا في العمل التنصيري ، كانت انجلترا ترهب نفوذ أمريكا في بلاد الشام والمشرق العربي أكثر من النفوذين الفرنسي والايطالي، وعندما فقدت الدولة العثمانية قوتها، لم تفقد سياستها الحكيمة تجاه المنصرين ، فقد ظلت تمنع الأطفال المسلمين من دخول مدارس المنصرين الذين نجحوا في تأسيسها في بلاد الشام، قبل أن ينهوا التعليم الأبتدائي في المدارس الرسمية العثمانية. ثم أنها أوجبت على النصارى أن يكون التعليم الديني في مدارسهم قاصراً على التلاميذ النصارى فقط . وبينما ألح المنصرون على دولهم أن تؤيدهم - حتى لو كان هذا التأييد مخالفاً للعرف الدولي - استجابت كل من أمريكا وفرنسا وبريطانيا لرغبة منصريها، ومارست ضغطاً على الدولة العثمانية من أجلهم، فتلين الدولة العثمانية أمام هؤلاء المنصرين.

---

١) وجيه كوثراني : الإتجاهات الإجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ، ص ٤١

٢) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ، ص ١١٦

ومما هو جدير بالذكر أن بريطانيا حرصت على أن تحمي الارساليات البروتستانتية بصفة عامة، سواء كانت هذه الارساليات انجليزية أم أمريكية أم ألمانية، ولقد أصبح نفوذ إنجلترا فعالاً في الدولة العثمانية في حوالي عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، فمثلا عندما أرادت الحكومة العثمانية أن تمنع باعة الأناجيل الجوالين من التجول في المدن والقرى، ظل القناصل يتدخلون حتى حملوا الحكومة العثمانية على السماح لهم بذلك مرة أخرى(١). وقد اعتقلت السلطات العثمانية فسك وبيرد في القدس، الذي تصادف وجودهما هناك، وقدّما الى المحاكمة بتهم أهمها أنهما يروجان كتباً تضم تعاليم دينية ليست إلاسلامية أو نصرانية أو يهودية ، ونجا الرجلان بتدخل القنصل البريطاني في يافا ، كما صدمت البعثة الأمريكية مشاعر المسلمين من أهالي بيروت ذات الأغلبية المسلمة. فعدُوا على معارضتها خاصة وأن الدولة العثمانية كانت ترى في هذه الحركة بادرة من بوادر التسلل الاستعماري بالاضافة الى خطرها التنصيري، وسط قوم استقرت مذاهبهم الدينية من إسلامية ونصرانية ويهودية منذ عهد بعيد ، فأجمع أهل المنطقة من مسلمين ونصارى على التصدي للمنصرين جميعاً ، حيث أن المنصرين الأمريكان يشترون ذمم الرجال بالمال لتحويلهم عن دين الاسلام، وينشرون البروتستانتية بينهم(٢) .

علاقة ولاة الشام بقناصل الدول الأجنبية وموقفهم منهم:

من المعروف أن الدولة العثمانية، أصبحت منذ القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي، تعاني من وطأة الامتيازات التي منحتها للدول الأجنبية في عهد قوة الدولة وازدهارها، وبهذا أصبحت القنصليات الأجنبية أوكاراً للدسائس والفتن، واثارة الاضطرابات عن طريق تحريض الطوائف الدينية التابعة لها على الثورة والعصيان، ضد السلطات العثمانية الحاكمة، «والوقوف الى جانبها، والأكثر من هذا أخذت هذه القنصليات تساعد الطوائف على ترويج الشائعات التي كانت تسبب القلق والانزعاج للولاة، الأمر الذي جعلهم ينصرفون عن ادارة شئون ولاياتهم وعلى الرغم من أن الولاة، والباب العالي كانوا مدركين تماماً لنوايا القناصل الأجانب في استغلال الحركات الداخلية في الأقاليم الشامية لصالح دولهم،

---

١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والإستعمار ، ص ١١٧ - ١١٨

٢) عبدالعزيز عبد الغني ابراهيم : بداية التنصير الأمريكي في الشام (مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، العدد الثامن ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ص ١٠٠

الا أنهم لم يجدوا حلا لدسائس القناصل سوى التغاضي عما يحدث أو التصرف بحذر شديد، حتى لا يحدث الصدام بينهم، ويصبح أمر التدخل الأجنبي في شئون الولايات الشامية حتمياً(١).

ولم تكن علاقة ولاة الشام مع القناصل الأجانب علاقة ودية، حيث كانت التقارير التي ترد للباب العالي من ولاة دمشق في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادى تمثل شكوى مريرة من دسائس القناصل الأجانب(٢). فمثلاً ، عانى نجيب باشا والي سورية من دسائس وشائعات أطلقها «فارون» القنصل البريطاني ، فرفع الى الصدر الأعظم في اسطنبول ما يزيد عن عشرين تقرير يشكو فيها دسائس قنصل بريطانيا حول موضوع خلافه معه، وقد نجحت تلك الدسائس في عزله مع نهاية العام. كما كان سليم باشا والي صيدا ، يشكو للباب العالي من تدخل القنصل البريطاني في بيروت في شئون إيالة صيدا، وتزايدت الشكوى من ولاة الشام ضد القناصل الأجانب، وان الدروز أخذوا يتجهون بأنظارهم نحو الانجليز وبدأوا يتصلون بهم، كما أن قنصل ايطاليا في دمشق، أخذ هو الآخر يتدخل في شئون طائفة الأرمن السريان.. ولما كانت الدولة العثمانية حريصة على عدم إثارة المتاعب مع الدول الأوروبية ، طلبت من ولاتها بالشام أن يعاملوا قناصلها معاملة ودية .

وفي الواقع أتاحت سياسة اللين والمهادنة - التي اتبعتها الدولة العثمانية تجاه الدول الأوروبية - للقناصل الأجانب فرصة التمتع بنفوذ واسع في الأقاليم الشامية ، لا سيما قناصل بريطانيا. حتى أن ولاة الأقاليم في الشام كانوا يتشددون في معاقبة الأهالي الذين يعتدون على القناصل الأجانب، فمثلا في الناصرة عاقب الوالي المعتدين على أحد القناصل بالسجن ، كما حاكم والي دمشق المعتدين، وعاقبهم بالسجن ، عندما أهان بعض أهالي دمشق قنصل فرنسا واعتدوا على مرافقيه ، وعندما أعتدى بعض الأهالي كذلك على وكيل القنصل الإنجليزي في دمشق عوقب المعتدون بالسجن أيضا، ويبدو أن اهتمام وحرص الولاة على التشدد في معاقبة الأهالي لم يكن إلا بتوجيه من سفارات القناصل في اسطنبول، وأن كانت الادارة العثمانية في نفس الوقت حريصة على إبقاء علاقتها طيبة مع الدول

---

١) سوسن سليم اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٦٨
٢) عبدالعزيز محمد عوض : الادارة العثمانية في ولاية سورية ، ص ٣٢٧.

الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا(١).

ولم يخل الأمر من اهتمام بعض الولاة اليقظين الذين قاموا بجهود متواضعة لم تكن كافية لمواجهة جهود المنصرين المكثفة . وأكبر مثال لجهود بعض الولاة اليقظين ما جاء في تقرير القنصل البريطاني في دمشق بتاريخ ٤ صفر عام ١٣/١٣٠٣نوفمبر(تشرين الثاني) ١٨٨٥م مانصه. «أنه قبل وصول مدحت باشا ليكون حاكماً عاماً على سوريا فإنه في عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م كان التعليم في دمشق في حالة غير مرضية تماماً نظراً للحاجة الى جهود حثيثة من جانب الحكومة». ولقد سار التعليم الحكومي ببطء شديد إلا أنه في عهد مدحت باشا تمت عدة إصلاحات سريعة في مجال التعليم. فأحدث مدارس جديدة في مقاطعة سورية ولكن بصفة عامة كانت التسهيلات التعليمية تتمركز في العاصمة دون ما جاورها. كما أشار التقرير البريطاني «أن تعليم الأنثى بالرغم من أنه يبدو ضرورياً فانه لا يزال في حالة متراجعة». ومع ذلك فان الحقيقة الهامة الجديرة بالملاحظة هي أزدهار مدارس البنات ذات المميزات المختلفة الأغراض والتي أعطت فرصا واسعة في دمشق وبمعدل أقل من المناطق الأخرى(٢)فقام مدحت باشا ببعض الإصلاحات في الولاية، وحاول نشر المدارس وفرض التعليم الابتدائي الإجباري، وذلك في محاولة منه للتصدى لجهد الارساليات الضخم في تأسيس المدارس وقيامها في طول بلاد الشام وعرضها، وجهود المنصرين الضخمة في التأثير على الجيل الناشىء من المسلمين. وفيما يلي بعض ما جاء على لسان مدحت باشا في مذكراته :«... وتوجهت الى سورية، أصلحت ولايات الطونة وبغداد ولكني قد هرمت وضعفت ومع كل هذا فقد عولت على إصلاح سورية لأن حب الإصلاح قد اختلط بدمي فكان كالمرض المزمن وولاية سورية هي من الولايات المشهورة بذكاء سكانها وخصب أراضيها. وأول ما وقع عليه نظري في تلك الولاية هو أن مسلميها قد نشأ بينهم الجهل ما عدا العلماء والسبب في ذلك سياسة الدول الأجنبية في مصر وفي الشام ، لأن تلك الدول تفتح المدارس بأموالها وتمدها بقوتها فيتعلم فيها أبناء المسلمين فكان عدد طلاب العلوم في مدارس بيروت ...ر١٠ من الذكور والإناث ، وكانت مدارس الافرنج

---

١) سوسن اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، ص ١٧٠-١٧١

٢) F.O 195/1514, Report on Education within the Consular District of Damascus:Nov.13,1885.

عن كتاب:

Abdullatif Abdullah Dohaish : History of Education in the Hijaz upto 1925, (Cairo, Dar Alfikr Al-Arabi:1398AH/1978), p. 113.

تتقدم كل يوم تقدماً يلمس باليد، وليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين واصلاح مدارسهم. قدمت إصلاح المدارس على كل اصلاح وشكلت جمعية من العلماء وجمعت الإعانات من ذوي المروءة ، فأصلحت بها بعض الجوامع وجعلتها مدارس للأحداث وأدخلت في كل مدرسة ١٥٠ تلميذا أو ٢٠٠ ، وقررت أن يجازى ولي الطفل إذا بلغ السادسة ولم يرسله الى المدرسة ، وخصصت - عدا الاعانة - جزءاً من ايراد الأوقاف وعممت المدارس في الملحقات وكان أهالي الشام يميلون الى بث روح التعليم ، فألفوا جمعية سموها (جمعية المقاصد الخيرية) ، وانتشرت شعبها في أنحاء الولاية . واشتغلتُ أيضا بإصلاح المدينة وترقية التجارة والزراعة . وقد جرت العادة في بلادنا أن العدو يعاكس عدوه في وظيفته فاستعمل نديم نفوذه في نظارة الداخلية وعرقل مساعي الاصلاحية في ولاية سوريا وجعلت نتائج أعماله تظهر في أنحائها وانتشرت الاراجيف والأكاذيب المفتراة علي مرة أخرى»(١)

ولأن مدحت باشا تقدم بهذه الاصلاحات فقد تصدت له الدول الأجنبية، تعمل له الدسائس لتطيح به ، وتملاؤها ممن لهم مناصب حساسة في الدولة العثمانية لتعرقل المساعي الاصلاحية التي يقوم بها مدحت باشا في سورية ، وكذلك قامت الدول الأجنبية بإشاعة الأخبار الملفقة بأن مدحت باشا سيستقل بولاية سوريا، وأن الملحق العسكري في السفارة الفرنسية في اسطنبول، قام بزيارة الى القدس وأجرى مقابلة مع القنصل البريطاني الذي أفاده بأن مدحت باشا قام بالضغط عليه لمساعدته بالاستقلال بولاية سورية. وجاء على لسان قنصل بريطاني آخر، أن الملحق العسكري الفرنسي كان يجمع الأدلة لإثبات عدم إخلاص مدحت باشا للسلطان، ونشرتها الجرائد الأجنبية(٢).

ويصف مدحت باشا هذه الحالة في مذكراته وكيفية تدخل الدول الأجنبية في الشئون الداخلية للدولة العثمانية فيقول : «... وبينما كنت في حالة اليأس أقدم الفرنسيون على أمور غير محمودة لأن الحكومة العثمانية كانت قد أعطت جبل لبنان امتيازه، وخصصت له مؤقتاً خمسة وعشرين الف جنيه من ايراد جمارك الشام فحررت مكتوباً الى الصدارة طلبت به قطع

---

١) مدحت باشا : مذكرات مدحت باشا ، تعريب يوسف كمال بك حتاتة ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩١٣م) ، ص ٣٦ - ٣٨

٢) F.O. 78/3131 dispatch No.2 "Confidential" dated 19 may,1880.
عن كتاب A L Tibawi: A Modern History of Syria, P. 161.

هذا المبلغ فثار ثائر الفرنسيين. وكان نشر التعليم وإنشاء المدارس قد أثر في نفوذهم الأدبي وصادف ذلك أن رستم باشا متصرف لبنان قد توجه الى الآستانة (أسطنبول) وعاد وأذاع أني أحاول تبديل نظام الجبل وأحواله فأثرت اشاعاته أيضا في أفكار الفرنسيين. وصدر أمر الآستانة (الباب العالي) باعطاء المبلغ ٢٥ الف جنيه من أموال الولاية، ولكن فراغ الخزينة قد اضطرني الى تأخيره فقال أعدائي أنه يريد تدهور أمور الجبل وكانت الحكومة قد أبقت لنفسها حق استغلال مقدار من الأراضي وقدرت قيمتها بخمسين الف جنيه ولم تدخلها في نظام الجبل بل ابقتها تحت تصرفها، ولكنها قد نسيتها ولم تحصل إيرادها السنوي البالغ ٤٠٠٠ جنيه وكتبت الى الباب العالي طالباً المحافظة على حقوق الحكومة فوصل الخبر الى سفارة فرنسا. وتعرض رئيس أحد الأساكل لأحد الوابورات الفرنسية لأن قبطانه قد ارتكب أموراً لا يساعد عليها نظام البحرية فادعت حكومة فرنسا أنني قد أمرته بمعاكسة مصالحها على أن الموظف قد أجرى ما أجراه بغير علمي» (١).

موقف الولاة العثمانيين من المدارس الأجنبية

لقد وصف مدحت باشا حالة المدارس الحكومية فقال أنه ليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية يقرأ فيها الأحداث القرآن، فكنت أفكر في أمر تعليم أبناء المسلمين واصلاح مدارسنا مع أن مدارس الافرنج تتقدم كل يوم تقدماً ملموساً ويوجد لها الكليات والجامعات والمدارس الثانوية العالية فيضطر الأهالي، القادرون منهم على ارسال أبنائهم لمدارس الارساليات التنصيرية هذه ، لأنه لا يوجد عندهم البديل المناسب . مع أن التعليم النصراني لأهل بلاد الشام لم يكن منافساً أبداً، للارساليات الأجنبية أو الهيئات الأخرى. وبالرغم من ذلك فكل جماعه كان لها مدارسها الخاصة حيث أستمرت في تطويرها وتجديدها بغض النظر عما قد تقدمه الهيئات الأخرى .

وهكذا فإنه في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، كانت المدارس النصرانية الأهلية ، لا تقل في الكفاءة عن مستوى المدارس الأجنبية المماثلة وخاصة في تعليم العلوم واللغات التي أصبحت مقبولة في مناهج المدارس النصرانية . ولقد لوحظ

---

١) مدحت باشا : مذكرات مدحت باشا ، ص ٣٩

فيما بعد تطورات مماثلة في تعليم المسلمين منذ أيام مدحت باشا، حيث أن عدم الأقتناع بالنظام الحكومي جعل الهيئات الخيرية والأفراد يشعرون بمسئوليتهم، لافتتاح مدارس حديثة، حيث لا زالت المناهج لهذه المدارس أساسها العربية والاسلام روحاً ونصاً، ولكنها أصبحت تعلم العلوم واللغات الأجنبية كما في المدارس النصرانية الأهلية والمدارس الأجنبية، ومن هذه المدارس الاسلامية تذكر المدرسة التي أسسها حسين الجسر في طرابلس، والكلية الاسلامية العثمانية التس أسسها أحمد عباس الأزهري في بيروت(١).

ولكن عندما فكر أحد الولاة مثل مدحت باشا في اصلاح شأن التعليم قامت الدسائس نحوه من كل صوب من الدول الأجنبية لتستبدله بوالٍ آخر لا يهمه شأن البلاد ويسعى لمصلحته الشخصية، ولقد مارست الدول الكبرى، قدراً من الضغوط السياسية المبطنة بروح الغدر والتهديد لتقلق الدولة العثمانية التي كانت تعد نفسها مسئولة دينياً عن أوضاع المسلمين، ومن ذلك أنها كانت تلوح بين الوقت والآخر بحمايتها للمنصرين، فكثيراً ما حاولت اغلاق مدارس المنصرين، ولكنها كانت تتراجع أمام ضغط الدول الكبرى فتلين وتعيد فتحها، وأحياناً يهب الحاكم المسلم أرضاً للارساليات الكاثوليكية أو البروتستانتية تحت ضغوطهم(٢). فمثلا حدث أن وهب السلطان عبدالعزيز في عام (١٢٧٨-١٢٩٣هـ/١٨٦١-١٨٧٦م) قسماً من خرابات مستشفى قديم كان أصله البيمارستان الصلاحي، الذي أتى عليه زلزال عام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م، الى الدولة الألمانية بمناسبة زيارة ولي عهدها للقدس في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م فبنى عليها الألمان كنيسة (تعرف اليوم بكنيسة المخلص الانجيلية) والتي افتتحها الامبراطور غليوم الثاني فيما بعد. وقد اكتشف الألمان حجارة نقش عليها اسم صلاح الدين وخلفائه. وقام الألمان بالحفر في أساسات هذه الكنيسة (٣).

ولقد بين مدحت باشا في عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م في مذكرة له الى السلطان عبد الحميد لعام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م مسؤولية الدول الأوروربية الكبرى وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية في تدهور الأوضاع في سوريا، وفي النزاعات

---

١) A L Tibawi : A Modern History of Syria , P. 195-196.

٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص ٢٨٠

٣) كامل العسلي : المعاهد العلمية في بيت المقدس (- بيروت ١٩٨١م) ، ص ٢٩٧.

الطائفية في المنطقة. وفي هذا الإطار حذر مدحت باشا من المشاريع الاستيطانية الألمانية على الساحل السوري(١).

ولهذا فقد حرمت السلطات العثمانية إلقاء المواعظ في الشوارع من قبل المنصرين، ومنعت حيازة الممتلكات بواسطة الهيئات الأجنبية، وفرضت ضرورة تقدمها للحصول على تصاريح مسبقة من أجل البناء أو إصلاح المباني الموجودة، وكانت تقوم بمراقبة المطبوعات وفرضت شكلا معيناً على المناهج الدراسية. ولم يتحقق أي تحسن في العلاقات مع الكنائس الشرقية. فقد استطاع الموارنة بمعاونة اليسوعيين ، وكذلك الأرثوذكس الإغريق بدعم من القوى الروسية أن يديروا الكثير من الأموال، وتمكنوا من تدعيم نفوذهم السياسي بصورة أفضل بكثير مما تم للبروتستانت كما أنهم استفادوا من تواجدهم في مواقع مميزة لمراقبة منافسيهم من البروتستانت. وعلى الرغم من هذه العوائق من القوى المنافسة فقد تسنى للبروتستانت - بحلول القرن الرابع عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي - أن يؤسسوا كنائس ارتفع عددها ليصل الى ٢٩ كنيسة، وزاد عدد المنتمين لهذه الكنائس الى ٣١٠٠ نصراني».(٢)

موقف السلطات العثمانية من حركة التنصير في بلاد الشام:

ساعدت الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأجنبية على نمو نفوذ الارساليات التنصيرية المدعمة منها(٣) حتى أن تدخل قناصل الدول الأجنبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية أصبح واضحاً جلياً، لدرجة أنهم يقومون بلفت نظر الباب العالي والولاة الى مضاعفة الجهد في حماية النصارى في بلاد الشام، حيث قام المسيو «وود» بارسال كتاب الى نجيب باشا بتاريخ ٢٩ رمضان من عام ١٢٥٧هـ/١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٤١م يقول فيه: «واني أغتنم هذه الفرصة لأكرر الحاحي على دولتكم لتضاعفوا رجال الدورية في هذه الأيام الأخيرة من رمضان وفي أعياد الفطر واذا ما أهملتم ذلك فتيقنوا أن أخطاراً وأضراراً جسيمة تنجم عنه،

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ٧١

٢) James Thayer Addison: The Chrestian Approach to the Moslem ,P.122.

٣) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ٧١.

وتسيء الى جلالة السلطان الخ...» (١).

وهكذا كان تصرف القناصل الأجانب تجاه الدولة العثمانية، إلا أن الدولة العثمانية حاولت جهدها للتصدي للنشاط التنصيري في أرجائها الواسعة، ووضعت العراقيل فعلا في طريقه، ولكنها باءت بالفشل. ونتيجة لذلك نمت الارساليات وتزايدت في الفترة التي تلت انتهاء حكم محمد علي في بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م كما ازداد نشاطها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي(٢).

ومما يثلج الصدر، أنه رغم ما بذلته المؤسسات التنصيرية من جهد ومال ووقت لأغراض التنصير وخصوصاً الموجه للمسلمين في بلاد الشام، وكذلك الموجه لأتباع المذاهب النصرانية الأخرى، لم يحقق النتائج المرجوة منه، بل قوبل في بعض الأحيان برد فعل عنيف من جانب السكان المحليين من المسلمين، حيث عملت السلطات العثمانية على الحد من مخاطر التعليم التنصيري، فأصدرت في جمادى الأولى من عام ١٢٦٨هـ/فبراير (شباط) عام ١٨٥٢م قانوناً يقضي بإغلاق المؤسسات التربوية الأجنبية العاملة في السلطنة وغير المرخص لها، ورغم هذا الأجراء، فليس لدينا دليل قاطع عما إذا كان قد وضع هذا القانون موضع التنفيذ فوراً أم أنه أهمل. لكن بعض التقارير القنصلية المعاصرة لتلك الحقبة أفادت أن الحكومة العثمانية قامت باقفال مدرستين في عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وعام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، الأولى عبارة عن مدرسة قوامها عدد من الخيام تابعة لجمعية بيت المقدس الألمانية نصبت على مقربة من بيت لحم، والثانية مدرسة في القدس بناها أحد المواطنين الأتراك ووضعها باشراف شماسات «الكيزرفرت». وفي الثمانينات من القرن الماضي أقفلت بعض مدارس أجنبية في سوريا ولبنان. ولقد استهدف أمر الإغلاق، تلك المدارس الموجودة في المناطق الداخلية من البلاد، وفي القرى حيث اتسمت المراقبة العثمانية بالضعف. وكان السبب المباشر للاجراءات العثمانية، هو خشية الباب العالي على التلاميذ المسلمين من سياسة التنصير البروتستانتية. وعندما علمت المؤسسات الألمانية باحتمال قيام السلطات

---

١) فيليب وفريد الخازن: مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا من ١٨٤٠ - ١٩١٠ ولبنان، (الطبعة الثانية، دار الرائد اللبناني، بيروت ١٩٨٣م)، المجلد الاول، ص ٧٨

٢) عبد الرؤوف سنو: المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين، ص ٧٧. ومؤلف مجهول: مذكرات تاريخية ...، ص ١٣٦.

العثمانية بإغلاق مؤسساتها، ومن ضمنها دار الأيتام السورية، سارعت بالاتصال بالسفارة الألمانية في اسطنبول للوساطة لدى السلطات العثمانية المختصة. وفي عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م أبلغ يوليوس رايتزJulius Reitz القنصل الألماني في بيروت، بأن القنصل الأمريكي قد وصل الى اتفاق مع السلطات العثمانية يقضي بأن تقدم الارساليات الأمريكية الى السلطات العثمانية المحلية تقارير عن خطط التعليم ومناهج التدريس وكشوف بأسماء المعلمين والكتب المستخدمة في مدارسها. وعندما عرض هذا الأجراء على (رادوفيتز) رأى أنه يناسب أيضاً وضع المؤسسات الألمانية فطلب الى تلك المؤسسات ان تحذو حذو المؤسسات الأمريكية، وأبلغ القنصل الألماني في بيروت، بأن على دار الأيتام السورية والمؤسسات الألمانية الأخرى ألا تخشى أمراً من قبل السلطات العثمانية المحلية وأنها تلقى وعوداً مشجعة بهذا الخصوص من الصدر الأعظم ووزير التعليم العثماني، ورغم تشدد السلطات العثمانية، فقد استمرت المدارس الألمانية تستقبل أبناء المسلمين، وتحاول تنصيرهم(١).

ومن المعروف أن فرنسا اعتبرت نفسها حامية الكاثوليكية في البلاد الاسلامية وأن انجلترا وبعدها أمريكا راعية الكنيسة البروتستانتية، وروسيا حامية الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، والمنصرون في هذه الكنائس المختلفة يعدون رعايا عن دولهم فلا تستطيع الدولة الاسلامية أن تفرض عليهم قانونا مهما كانت أعمالهم مخالفة له. الى جانب نشاط السفراء والقناصل ودورهم في حماية العمل التنصيري السافر، والذين كانوا يعيقون تدخل الدولة العثمانية، وبخاصة في دور ضعفها من إعاقة نشر الكتب وإقامة المواعظ بين عامة المسلمين، وكانت انجلترا ذات نفوذ كبير فيها، فاشترك قنصلها مع قناصل الدول الأخرى في تدخلهم لعودة باعة الأناجيل المتجولين في المدن والقرى وقد نجحوا في ذلك. وفي أحيان كثيرة، تدخل المنصرون في السياسة الداخلية للدولة العثمانية حيث أثاروا المشكلات الطائفية فيها كما ذكرنا في الفصول السابقة، فاذا حاولت الدولة إيقاف تدخلهم فإن الدول الكبرى ومنها أمريكا وإنجلترا تطلب عن طريق قناصلها تنفيذ الدستور العثماني الذي ينص على احترام الحرية الدينية. فكانت الدولة العثمانية تقف عاجزة أمام هذه الحجة ، بالإضافة الى أن الأماكن والمؤسسات التنصيرية بموظفيها القناصل والسفراء تتمتع بحصانة دبلوماسية لا يستطيع أحد اقتحامها، فكانت الدول تعمل بحرية كبيرة في نشاطها التنصيري الواسع في طول البلاد وعرضها. فقد أخذت روسيا القيصرية تشتري أراضي واسعة في فلسطين خاصة لتقيم عليها الأبنية،

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ٧٨-٧٩

وتتدخل عند الحاجة في الأمور الدينية والسياسية، وذلك حين أعلنت أنها حامية البطاركة والأساقفة الأرثوذكس لتجعل منهم وسيلة الى تحقيق أطماعها السياسية(١)

ولهذا نرى أن الدولة العثمانية أخذت ترتاب في تحركات المنصرين داخل أراضيها وتتوجس منهم خيفة بسبب أعمالهم المشبوهة، فقد استطاع المنصرون التسلل الى داخل الدولة العثمانية، تحت شعار نشر رسالة العلم والخدمات الانسانية فأخذت تراقبهم مراقبة دقيقة لتضيق عليهم الخناق، ودائما كان العثمانيون يرتابون من المنصرين البروستانت لأنهم يتوارون خلف العلم البريطاني ومن المنصرين اليسوعيين لأنهم يعملون لحساب السياسة الفرنسية، حتى أصبح موقفها منهم موقفاً حازماً، وأصبح من المؤكد أن التنصير بين المسلمين في الدولة العثمانية ضرباً من المستحيل. ومما يبرهن على ذلك أنه بعد أن فتحت الجامعة التنصيرية بضع مدارس للأطفال الدروز في لبنان في عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م لجأت الى التخلي عنها أمام حزم الحكومة العثمانية. وأغلقت الحكومة أيضا مدارس المنصرين الأمريكيين في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م لما ظهر منها من أساليب خفية لفتح المدارس أمام الأطفال المسلمين، دون ترخيص من الدولة العثمانية. وما أن أدرك المنصرون تشدد الدولة العثمانية، في موقفها من حركة التنصير، وانسداد جميع الأبواب أمامهم حتى اتجهوا الى الاحتماء بالامتيازات الأجنبية التي استغلوها إلى أبعد الحدود وكانت هذه الامتيازات تخول الأوروبيين عدة فوائد، كإمكانية التجارة وحصانة القضاء، والاعفاء من الضرائب، وخاصة الفرنسيين منهم كما تخول للنصارى حرية العبادة(٢) .

ويظهر أن الحكومة العثمانية، أخذت تضعف في مواجهة حركة التنصير في مرسوم «كلخانة خطى شريف» الذي أعلنه السلطان عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م وفي خطى همايون عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م والتعهدات الأخرى التي أخذتها الحكومة العثمانية على عاتقها في مؤتمر برلين عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، حيث اعترفت الدولة العثمانية بالحرية الدينية لجميع رعاياها وتمكن ممثلو الدول الأوروبية من أن يبسطوا حمايتهم على جميع الرعايا العثمانيين الذين يعتنقون الدين النصراني (٣).

---

١) نذير حمدان : الغزو الفكري ... ، ص ٢٧٨-٢٧٩

٢) موسى حال : سر سقوط الخلافة العثمانية، جريدة المسلمون ، العدد ١٨٧، ١٤٠٩/١/٢١ ، ص٢٣

٣) نور الدين حاطوم : نشاط البعثات الدينية الأجنبية للعالم العربى ، ص ٣.

التعليم الحكومي في بلاد الشام

كان التعليم في بلاد الشام عامة كما في باقي أرجاء الدولة العثمانية قبل عصر التنظيمات عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م تعليماً دينياً حراً، يبدأ في المنزل على يد مرب أوشيخ، يتعلم التلميذ فيه ترتيل أجزاء من القرآن الكريم، أما مبادىء الحساب فكان يتعلمها من قباني القرية، كما كان تعلم القراءة والكتابة هو الحد الأقصى للتعليم في القرى. وكان مكان التعليم الرئيسي هو المسجد، والذي يتم فيه تدريس القرآن الكريم حفظاً وتلاوة، وكثيراً ما استخدمت مساجد القرى كمدارس، ولم تكن الحكومة تنفق على المدرسين أو على أبنية المدارس، بل كانت المدارس تدين بوجودها الى تبرعات المحسنين الذين أنشأوها وخصصوا لها الأوقاف الكافية، كما كانت مرتبات شيوخ المدارس قليلة لا تتجاوز عشرين بارة (١) عثمانيه في الأسبوع عن كل تلميذ، ولم يكن هناك نظام للتفتيش على أسلوب الفقهاء في التعليم أو مراقبته، وانما كانت المراقبة مقصورة على الناحية المالية (٢). ويمكن تقسيم أنماط التعلم في عصر التنظيمات الى ثلاثة أنواع هي : الكتاتيب، والمدارس الحكومية، والمدارس الخاصة.

١) الكتاتيـــب :

مع أن هذا النوع من التعليم قديم جداً الا أنه استمر في ولاية سورية الى ما بعد خروج العثمانيين منها عام ١٣٣٦هـ/١٩١٨م حيث أن الدولة العثمانية تركت التعليم القديم على حاله، ولم تجر محاولات لإعادة تنظيمه، أو فرض رقابة عليه، بل اتجهت الى إنشاء نظام تعليمي جديد قائم بذاته .

أما الدراسة في هذه الكتاتيب فكانت تبدأ في سن مبكرة في حوالي الرابعة، وتتولى التدريس فيها معلمة تسمى «خجا»، وكانت هذه الكتاتيب تضم أحيانا الأطفال من الجنسين، وكان الصف الدراسي عبارة عن غرفة صغيرة يجلس فيها الأطفال على متاع بسيط من الصباح حتى المساء ويتحتم على كل تلميذ أن يختم القرآن في هذه المرحلة، وكانت كل عائلة تحتفل بهذه المناسبة حسب إمكانياتها المادية. ويتولى تعليم التلاميذ فيه شيخ ويتقاضى

---

١) هى أصغر وحدة نقدية فى الدولة العثمانية.

٢) عبدالعزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٢٥٣

أجره أسبوعياً - كل يوم خميس - ولذلك سميت هذه الأجرة بالخميسية. ويقدم بعض التلاميذ أشياء عينية زيادة عن الأجرة الأسبوعية، وكانت تتراوح بين القرش و«البشلك» (١) وتعلم في هذه المرحلة مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن والحساب(٢).

وفي القرى توجد الكتاتيب بمستوى أقل، سواء في التعليم أو الانتظام، ويبدأ أبناء القرى، الدراسة في سن متأخرة، حيث يكون التلميذ قد تجاوز السابعة أو الثامنة، ويكون التدريس عادة في فصل الشتاء حتى لا يتعارض التعليم مع أعمال الفلاحة، ويترك التلميذ الدراسة في فصل الربيع والصيف ليعمل الى جانب والده في الحقل حتى آخر الصيف، وفي العادة يعلن شيخ الكتاب بعد ثلاث أو أربع سنين (ختمة) التلميذ .

٢) المــدارس الحكوميـــــة :

وهي المدارس التي تشرف عليها الدولة العثمانية، ولقد نظمت بموجب نظام المعارف الصادر، ٢٤ جمادى الأول لعام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م، في (١٩٨) - مادة، وبموجب هذا النظام قسمت الدراسة الى خمس مراحل:

١) المرحلة الابتدائية.
٢) المرحلة الرشدية.
٣) المدارس الإعداديـة.
٤) المدارس السلطانية.
٥) المدارس العاليـة.

أولا : المدارس الإبتدائية:

نص النظام بوجوب وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية أو قريتين على أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها، والتعليم في المرحلة الابتدائية إلزامياً ومدته أربع سنوات يدرس فيها التلميذ العلوم الدينية (استظهار القرآن والتجويد) والقراءة

---

١) البشلك : يساوى خمسة قروش عثمانية.
٢) عبد العزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا ، ص ٢٥٣

والكتابة باللغة العثمانية والحساب والعلوم والجغرافيا، ولا يتعلم التلميذ أي لغة أجنبية في هذه المرحلة(١).

ثانياً : المدارس الرشدية:

نص النظام على ضرورة وجود مكتب رشيدى واحد في كل بلد يتجاوز عدد سكانه ٥٠٠ بيت، شريطة أن يكونوا مسلمين أو نصارى، أما اذا كان الأهالي مختلفين، فيجب أن يقدر عدد السكان بـ ١٠٠٠ بيت، ويتحمل صندوق إدارة المعارف الخاص بالولاية جميع نفقات إنشاء المدارس الرشدية، ويعين في كل مدرسة عدد من المعلمين على حسب عدد التلاميذ فيها، ومدة الدراسة في هذه المرحلة أربع سنوات. يعلم فيها التلميذ العلوم الدينية واللغة العثمانية ومبادىء اللغتين العربية والفارسية. كما تدرس اللغة العربية للاستفادة منها في تفسير القرآن والحديث، والفارسية للاستعانة بها في دروس الأدب العثماني ولا يتعلم التلاميذ لغة أوروبية في هذه المرحلة (٢)

ثالثا:المدارس الإعدادية:

تكون المدارس الاعدادية في مراكز الاقضية أو الالوية التي يتجاوز عدد سكانها ١٠٠٠ بيت، وتعتمد في نفقاتها على صندوق ادارة معارف الولاية وخصص لكل مدرسة إعدادية ستة معلمين مع معاونيهم، ويحمل معلمو المدارس الاعدادية شهادة دار المعلمين ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ويدرس فيها التلاميذ، اللغة العثمانية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافيه والطبيعة والمنطق والكيمياء والجبر والرسم. ويتعلم التلاميذ لغة أوروبية هي اللغة الفرنسية، ولا تدرس فيها اللغة العربية (٣).

رابعاً: المدارس السلطانية:

ينتقل الطلاب الناجحون في المدارس الإعدادية الى المدارس

---

١) عبدالعزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا، ص ٢٥٤.

٢) طلال عتريس : البعثات اليسوعية ، ص ٥٤. أنظر أيضاً :

Abdullatif Abdullah Dohaish: History of Education in the Hijaz upto 1925, p.79-81.

٣) عبدالعزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا ، ص ٢٥٥

السلطانية التي لا توجد إلا في مراكز الولايات. ويدفع فيها التلاميذ رسوما تختلف من تلميذ لآخر. فالتلميذ الذي يدرس ليلا يدفع مبلغاً يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ليرة عثمانية، أما الذي يدرس نهاراً فيدفع نصف الرسوم الليلية والتلميذ الخارجي يدفع ربع الرسوم الليلية. وتقسم هذه المرحلة الى قسمين :

أ) القسم العالي .
ب) القسم المعتاد (العادي) .

أ) القسم العالي:

فمدة الدراسة فيه ست سنوات ويتفرع الى شعبتين : شعبة الآداب ومواد الدراسة فيها الكتابة والانشاء العثماني، المؤلفات المتعلقة بالأدب العربي والفارسي، المعاني، اللغة الفرنسية، علم ثروة الأمم، حقوق الأمم، التاريخ. أما شعبة العلوم فمواد الدراسة فيها: الهندسة، المناظر، الجبر، تطبيق الجبر على الهندسة، المثلثات المستوية والكروية، الهيئة، الفلسفة الطبيعية، تطبيق الكيمياء بصورة مختصرة على الصناعة والزراعة، علم المواليد، فن تخطيط الأرض.

ب) القسم المعتاد (العادي):

مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، ومواد الدراسة فيه مناهج المرحلة الإعدادية، والتعليم في هذه المدارس باللغة العثمانية، ولا تدرس فيها اللغة العربية، وهذه المرحلة أعلى مراحل التعليم في ولاية سورية. أما من أراد متابعة دراسته، فعليه أن يلتحق بمدارس اسطنبول العالية (١).

خامساً:المدارس العاليـــة

وتشمل دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون في اسطنبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة، وتختلف مدة الدراسة فيها من شعبة الى أخرى، فمدة الدراسة في الشعبة الرشدية ثلاث سنوات، والدراسة في دار الفنون فتقسم الى ثلاث شعب، الشعبة الأولى تختص بتعلم الفلسفة والآداب والثانية بالحقوق والثالثه بالعلوم الطبيعية والرياضية، ومدة الدراسة في كل شعبة ثلاث سنوات. أما الذين يفدون للتعليم في المدارس،

---

١) عبدالعزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا ، ص ٢٥٦

فمدة دراستهم أربع سنوات، كما كان في ولاية سورية مدارس رشدية عسكرية يلتحق بها الطلاب بعد إتمام دراستهم الابتدائية، ويتخرج منها المتعلم برتبة ضابط (١).

الإمتحانـــــات :

كان هناك نوعان من الامتحانات بموجب نظام المعارف ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م:

الأول : في نهاية كل سنة، وينقل بعدها التلميذ للصف الأعلى.
الثاني : في نهاية كل مرحلة وينقل بعدها التلميذ بعد نجاحه الى المرحلة الدراسية الأعلى.

وكان موعد الامتحانات السنوية في شهر يونية (حزيران) من كل عام ويحق لمن يتأخر عن الموعد المحدد التقدم للامتحان في شهر سبتمبر(أيلول)، على أن يتم الامتحان في المدرسة، وتمنح الشهادة لمن استحقها بجدارة.

وكانت الامتحانات تجري بمعرفة أرباب المعارف في المدينة وأمام موظفين تنتدبهم مديرية المعارف، ولما لم يكن في ولاية سورية مدارس لتخريج المعلمين، كانت ادارة المعارف تعقد في كل عام امتحاناً عاماً تدعو اليه كل من يدعي أنه من طلبة العلم، ويمنح المتقدم في حالة نجاحه شهادة تخوله لممارسة التعليم الابتدائي . ولقد نشطت ادارة ولاية سورية في بناء المدارس بفضل ايرادات صندوق المعارف المتنوعة، كالمخصصات الأميرية والإعانة السنوية التي تحصل من الأهالي ومخصصات الأوقاف والإعانات المتفرقة والرسوم التي تحصل من طلبة المدارس السلطانية. غير أن هذا التوسع كان في أواخر العهد العثماني ولكن يؤخذ على ادارة المعارف في سورية، تبعتها الشديدة لمجلس المعارف الكبير في اسطنبول، والذي كان يتبع بدوره نظارة المعارف، فكان إنشاء مدرسة صغيرة يمر بمراحل معقدة قبل صدور الموافقة من الادارة. وكانت الولاية أيضاً ناشطة في اجراء التوسعات في المدارس القديمة، غير أن معظم الانشاءات المدرسية كان من نصيب منطقة جبل الدروز وحوران، نظراً لتخلفها وتفشي الجهل بين سكانها، ومحاولة الدولة إصلاح أحوال السكان فيها وفرض سيادتها على الدروز، واجتثاث روح التمرد والعصيان من

---

١) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا، ص ٢٥٧

نفوسهم، وفيما يلي نورد فقره من خطاب والي سورية في حفل افتتاح المجلس العمومي يبين حالة المدارس : «إن المدارس في حالة يرثى لها، وهي ليست على شيء من العلم والتعليم وتغذية نفوس أبناء الوطن، ومن المؤسف أن المعلمين فيها ليسوا على شيء من علم تربية الأطفال ومعرفة طرق التعليم ولوصول مدارسنا الى هذه الحالة سببان أحدهما : ظلم الدور البائد واستبداده وثانيهما : انتظار الأهالي من الحكومة تأسيس المدارس ومع هذا كان الأهالي في أحتياج شديد لارشاد الحكومة في سبيل نشر المعارف وتعميمها» (١).

الا أن هذا التنظيم لم يؤد مباشرة الى زيادة عدد المدارس الحكومية. ولم يرفع من شأن التعليم، فإلزامية التعليم لم تكن إلا حبراً على ورق. ومجرد نظام اقتبس من الأنظمة الغربية دون دراسة لامكانيات الدولة المالية، ويشهد على ذلك الحالة التعليمية المتخلفة في جميع ألوية الولاية وعجز ادارة المعارف عن فتح المدارس في المدن، ناهيك عن القرى(٢). «ولم يتسع عدد المدارس الا في أواخر العهد العثماني وفي مناطق دون أخرى. ففي سوريا، بقيت المدارس في حالة يرثى لها، وهي ليست على شيء من العلم والتعليم.. ومن المؤسف أن المعلمين فيها ليسوا على شيء من علم تربية الأطفال ومعرفة طرق التعليم».

ولم تفلح الجهود الرسمية التي بذلتها الدولة العثمانية لتبديل الوضع التعليمي وجعله أفضل حالا، رغم محاولة التنظيم والإكثار من المدارس . ومما يؤخذ على الدولة العثمانية في مجال التعليم أنها عملت على التركيز في تعليم اللغة العثمانية وتغييب اللغة العربية عن مواد التدريس، وعملت على الاقتباس من النظم الأجنبية ولغاتها الأجنبية الأوروبية، ظناً منها أن ذلك كله يشكل سداً بوجه القوى والبعثات الأجنبية التي ملأت مختلف أراضي الدولة. كما لجأت الدولة العثمانية الى أسلوب آخر في المواجهة حيث منعت إرسال أطفال المسلمين الى مدارس المنصرين قبل أن ينهوا التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية. ثم كانت توجب أن يكون التعليم الديني في مدارس الإرساليات قاصراً على النصارى وحدهم. ولكن الأمر لم يؤت ثماره خاصة وأن المسلمين أوجسوا خيفةمن تغيب اللغة العربية

---

١) عبدالعزيز محمد عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا، ص ٢٥٨ - ٢٥٩

٢) عبدالعزيز محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٢٥٥

واستبدالها بالعثمانية. هذا بالاضافة الى أن تشتت أماكن التعليم، وعدم اجتماعها في منطقة واحدة، وحصر التعليم العالي في اسطنبول، كان يمنع عملياً، أغلب التلاميذ من متابعة تعليمهم العالي باستثناء من تسمح له موارده المادية بذلك(١).

لهذا ارتبكت سياسة الدولة العثمانية ولم تفلح في رفع الشأن التعليمي وبالتالي تكثف حضور الارساليات المختلفة الى سوريا ولبنان، ولم تستطع الدولة صد هذه البعثات أو منع قدومها (٢).

وجاء في مفكرة مخطوطة للمطران بولس أروتين أسقف حلب الماروني في عام ١٢٠٣هـ-١٢٦٧هـ الموافق ١٧٨٨م--١٨٥م أنه يوجد في مدينة حلب من عشر الى اثنتي عشرة مدرسة إسلامية. ويوجد بها مكتبتان عموميتان وخمس عشرة مؤسسة دينية وتكايا كثيرة العدد، ومستشفيات أو«بيمارستان» أحدهما للرجال وآخر للنساء.

ومن أشهر مدارس حلب، مدرسة الدراويش مولاخانه، وهي خارج المدينة في باب الجنينة بقرب نهر قويق. وهي واسعة تدرس فيها طريقة جلال الدين المعروف بمولتي هو نيكار الذي توفى في قونية عام ٧٦٢هـ/١٢٧٣م وهو مؤسس طغمة الدراويش المولدية. وأكبر مدارس حلب العمومية مدرسة «الحلبي» في حي «المدينة» ولها مكتبة كبيرة (٣).

وهكذا تبين لنا أن المدارس الحكومية في ولاية سورية لم تكن كافية، وأن الحالة التعليمية فيها متأخرة، ومتخلفة مع إهمالها لأهم مادة، والتي لا بد أن تدرس للتلاميذ ليفهموا دينهم ويحافظوا على حضارتهم ورقيهم وهي اللغة العربية لغة القرآن. وبهذا اضطر الأهالي أن يجمعوا التبرعات ويقوموا بأنفسهم بافتتاح بعض المدارس الوطنية لأولادهم، حتى لا يضطروا أن يذهبوا بهم الى مدارس الارساليات الأجنبية التي يجدوها حولهم في كل مكان، وعلى مستوى من الرقي المادي الذي يفتقدونه في مدارسهم.

---

١) طلال عتريس : البعثات اليسوعية ، ص ٥٤. ومصطفى الخالدى وعمر فروخ : التبشير والإستعمار فى البلاد العربية ، ص ١١٧

٢) طلال عتريسى : المرجع السابق ، ص ٥٥

٣) بولس أروتين : أهم حوادث حلب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ٦٩

وقد اضطر الكثير من أهالي الشام أن يذهبوا بأولادهم الى المدارس الأجنبية، دون النظر للعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك فيتخرج منها الطلاب يهزأون من عاداتهم وتقاليدهم الأصلية، والتي ترتبط في أذهانهم بعدم تعلم أهليهم القراءة والكتابة، ولأنهم يقومون بالمقارنة بين مدارس الأجانب الحديثة والنظيفة نسبياً مع مدارس القرى والمدن بمدارسها الحكومية وهي تقوم على أبسط الأثاث والتعليم فتكون المقارنة لغير صالح عقيدة الشاب المتخرج من مدارس الارساليات والذي أصبح سفيراً ورسولا لحضارة الغرب، مع أنه ما زال في بلده لم يغادرها، ولكنه تشبع بأفكارها وآرائها الهدامة والتي تريد أن تبعده بكل قواها عن القرآن الكريم صرح الاسلام القوي، حتى يفقد مصدر قوته، وحتى لا يستطيع المسلمون الوقوف في وجه الطاغوت الأجنبي القادم لالتهام الثروات، والبلاد، واستعباد العباد في غيبة الدين الاسلامي ومثله القويمة الالهية ولترهب الكفرة الفجار الذين لا يريدون إلا الدمار لأن ما يعرضهم هو الشيطان عدو الأديان.

ويتضح موقف الولاة العثمانيين من نشاط المرسلين الأجانب بين الطوائف النصرانية نفسها في بلاد الشام، من نص عن خط شريف صدر أول يوم من جمادى الآخرة من عام ١٢٣٤هـ/١٤مارس(آذار) في عام ١٨١٨م وهو موجه الى حلب مع المطران جراسيموس، وهو يشتمل على عدة أمور منها:

- منع القساوسة الروم المتحولين الى مذهب الإفرنج من ترويج أفكارهم الفاسدة بين الطوائف النصرانية الأخرى، وعدم إخراجهم عن ملتهم.

- ان هؤلاء القساوسة يتبعون لمذهب الإفرنج ، سواء البروتستانت أو الكاثوليك وهم من المرسلين الأجانب الذين جاءوا لينشروا مذهبهم في بلاد الشام عن طريق فئة من نصارى أهل الشام، وقد وظفوهم للقيام بتلك المهمة بالنيابة عنهم(١)

- أن هؤلاء المنصرون كانت لديهم الوسائل المختلفة، لإغراء الطوائف الأخرى، بأن تبدل ملتها بملة المنصرين الأجانب، الذين لهم أهداف استعمارية في بلاد الشام، من تلك الوسائل، أن يمنعوا الرعايا النصارى من دخول كنائسهم القديمة التي ينتمون اليها، وبالتالي

---

١) بولس أروتين : أهم حوادث حلب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، تحقيق الخورى بولس قرألى ، ص ١٢

يجبرونهم على دخول كنائس الإفرنج والكاثوليك، وكذلك كان هؤلاء المرسلون أو أتباعهم يخصصون محلات في منازلهم، ليقوم المنصرون ببث أفكارهم بين من يقدرون على كسبه الى صفوفهم، وتكون تلك الأماكن، مثل كنائس يجرون بها الصلوات والقداس.

- ان هذه الكيفية التي كانت تجري بها عمليات التنصير بين الطوائف النصرانية باعثة على إخلال الأمن بين الرعية، ولذلك فإن المجترئين على هذا الفساد ينتفوا ويتغربوا خارج البلاد اذا أصروا على القيام بعملهم التنصيري.

- يمنع رهبان الإفرنج من دخول بيوت رعايا الروم، ويبلغ هذا المنع والتحذير لهم. ومن لا ينتهي من الرهبان الافرنج (المنصرين) عن عمله يجرى عليه التأديب من قبل الوالي

- يمنع إجراء الطقوس والقداس في بيوت الرعايا، حتى لا تكون الفرصة سانحة لهم في عمليات التنصير.

ولقد صدر الخط الشريف في أواخر محرم من ١٢٤٥هـ/٢٧يوليه(تموز) ١٨٢٩م وتأكد بأوامر عالية بتواريخ مختلفة في الديوان الهمايوني. ولقد رأينا أنه من الواجب أن نورد شيئاً من نص المخطوطة التي جاء فيها ما يثبت أن فئة من المرسلين الأجانب قاموا بنشاطهم بين الفئات النصرانية المختلفة في بلاد الشام، ونجحوا في كسب البعض الى طائفتهم :

«إن في القدس الشريف ويافا وعكا وتلك النواحي، البعض من المتمكنين من رعايا الروم الفلاحين قد اتبعوا دين الافرنج، ومن احتلالهم لبعضهم البعض ، قد أثرت هذه الكيفية في رعايا طائفة الروم، وأكثرهم قد تركوا مذهبهم ورسومهم القديمة، وأن يكن هذا الأمر قد منع بتأكيد كلي، ولكنه فيما بعد بتقريب، حيث حصل لهم اعانة من بعض الأطراف، اختفوا بواسطتها تحت أذيال مغايرة مضمون الأمر العالي. وصدرت أوامر حاوية التأكيد بتواريخ مختلفة، على أن الذين يتبعون دين الافرنج من رعايا طائفة الروم يرتدون الى رتبهم القديمة، وأن يحصل التنبيه المحكم بهذا الخصوص، والذين يتحركوا بحركة مخلفة مالهم يؤخذ لجانب الميري وهم

ينتقوا ويبعدوا الى ديار أخرى وكذلك خرج قيد آخر مسطر في (ابيسكو بوسى قلمي) عن الكنيسة المنسوبة في حلب الى مطران الروم. قد صدر فيها وقوع تخصيص محل لاجراء عبادة تباع الأفرنج. وهكذا صدر الأمر الشريف على هذا النحو : وعلى ذلك قد صدر أمري هذا المطاع العالي الشأن، الواجب الاتباع ولازم الامتثال فتعلموا وتتحركوا بمضمونه المقرون بالاطاعة ، وتتحاشوا وتتجنبوا من ما يخلفه، وهكذا تعملوا وتعتمدوا العلامة الشريفة». تحريراً في أواسط شهر ربيع الأول عام ١٢٢٣هـ/٢٤يناير(كانون الثاني) عام ١٨١٨م بمقام القسطنطينية المحروسة الى عتبة دار تاجي التي هي مرتبة الفلـك.(١).

وهكذا يتضح لنا مدى اهتمام الدولة العثمانية، في الحد من نشاط المرسلين الأجانب في بلاد الشام، سواء بين المسلمين أو حتى بين الطوائف النصرانية بشكل عام، لأن الجميع يعتبرون من رعايا الدولة العثمانية وهي مسؤولة مسؤولية تامة عن رعايتهم، وتولي شئونهم الحياتية.
فعندما تقدمت احدى الطوائف بالشكوى لدى الولاة العثمانيين من تدخل المنصرين الأجانب، وانتشارهم بين الملل النصرانية الأخرى، قامت الدولة العثمانية بالاستجابة لهم وإصدار الفرمانات التي تعطي الحرية الدينية للرعايا العثمانيين، وتحد من تدخل الأجانب في الشؤون الداخلية للبلاد.

ولكن جهود الدولة العثمانية ذهبت هباء أمام جهود الدول الأجنبية المتواصلة والمستميتة في حماية إرسالياتها في بلاد الشام، الى جانب تدخل قناصل وسفراء تلك الدول لدى السلطات المحلية لحماية مرسليها الأجانب داخل أملاك الدولة العثمانية، وكثيراً ما كانت هذه التدخلات في غير مصلحة الدولة العثمانية التي أوشكت على الانهيار(٢)، وزرعت المحن والكوارث والقلاقل وما أثرته على العباد والبلاد(٣). وجرت الويلات على منطقة بلاد الشام كلها، وذلك بسبب تدخل قناصل الدول الأجنبية الذين

---

١) الخورى بولس أروتين : أهم حوادث حلب ، ص ١٢-١٤
٢) فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية ، ص ١٨٥-٢٢٩.
٣) ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، ص ١٥٤

أساءوا استخدام الامتيازات التي منحتها لهم الدولة العثمانية في أقاليم الشام، الاسلامية بسبب سوء معاملتهم وسوء أخلاقهم ولما عرف عنهم بأنهم سبب البلاء والفتن التي وقعت فيما بعد(١).

ولهذا أصبح لزاماً على الدولة العثمانية، أن تعمل جاهدة للتصدي لنشاط الارساليات الأجنبية المختلفة في بلاد الشام، وفي الواقع أنها حاولت ادخال اصلاحات مختلفة في معظم ولايات الدولة العثمانية، والتي سميت بحركات الاصلاح والتجديد، والتي كانت قد بدأت في القرن الثاني عشر الهجري/القرن الثامن عشر الميلادي، ولكنها في الواقع صادفت سلسلة طويلة من العراقيل، ولذلك لم تدخل طور التأثير المثمر الا في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، ولقد سارت تلك الاصلاحات وللأسف الشديد على أساس الاقتباس من النظم الغربية أو استلهامها وتقليدها. ويرجع ذلك في الواقع الى المرحلة الحرجة التي مرت بها الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه كانت الدول الغربية قد أخذت تندفع بسرعة متزايدة في سبيل النهضة الشاملة.

وهكذا عندما ازدهرت الحضارة الأوروبية واكسبت دولها قوة كبيرة، كان من الطبيعي أن يشعر رجال الإصلاح في الدولة العثمانية بوجوب الاقتداء بتلك الدول وأخذ القوانين الوضعية التي سارت عليها الدول الأجنبية وصارت سبباً لقوتها. ومما هو جدير بالذكر أن حركة الاصلاح بدأت من الشؤون العسكرية ولم تتناول النظم الادارية والمالية والقضائية إلا بعد مرور مدة طويلة تزيد على ثماني عقود من السنين. ولقد اصطدم أمر إصلاح الجيش بمعارضة شديدة، على الرغم من بداهة الحاجة اليه، وأستنفذ جهود رجال الدولة مدة تزيد على نصف قرن، فكان من الطبيعي أن تتعرض بقية الإصلاحات الأخرى الى معارضة أشد من ذلك بكثير، وأن تتطلب جهوداً أضنى ومدة أطول(٢). وربما أصبح لزاماً علينا أن نستعرض باختصار الجهود التي قامت بها الدولة العثمانية لمواجهة الغزو الفكري الشامل على بلاد الشام، ثم نعمل على نقدها.

---

١) سوسن أسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٧٢
٢) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٧٢-٧٣

في الواقع بدأت حركة الاصلاح الأولى للجيش في عهد السلطان مصطفى الثالث (١١٧١-١١٨٧هـ/١٧٥٧-١٧٧٤م) بتنظيم وتنسيق الأمور البحرية والمدفعية، على أساس الاستفادة من الأصول والأسلحة الأوروبية في هذا الميدان. على أن تستعين الدولة بالخبراء الأوروبيين.

وفي عهد السلطان سليم الثالث الذي تولى في١٢ رجب عام ١٢٠٣هـ/٨ ابريل ١٧٨٩م ، مر الجيش بإصلاحات عديدة ، حيث كان يحب الأصلاح ويؤمن بضرورة تطبيقه، وعندما لاحظ صعوبة اقناع الانكشارية بالتعليم العسكري، رأي أن يتركهم وأن ينشىء جيشاً جديداً سماه (النظام الجديد) واستقدم لهذا العمل عدداً غير قليل من الضباط والخبراء الأوروبيين(١).

وقد اشتدت مخاوف الانكشارية من اندماجهم مع الجيش الجديد، فأخذوا يدسون الدسائس على النظام الجديد، ويشيعون عنه شتى الأكاذيب. واستعانوا بذلك بعلماء الدين لمهاجمته، على أنه بدعه وأن من تشبه بقوم فهو منهم، وانضم الى الانكشارية الكثير من الجهلة والوصوليون، وكان الأمير مصطفى ولي العهد في ذلك الوقت قد انضم الى هذه الجماعة، وصار يشجعهم على استهجان النظام الجديد. فاضطر السلطان سليم للتضحية بالنظام الجديد، ومع ذلك لم يسلم من جور الطغاة، فعمدوا الى خلعه، ونصبوا مكانه السلطان مصطفى الرابع في ٢١ ربيع الآخر عام ١٢٢٢هـ/٢٨ يونيه(حزيران) عام ١٨٠٧م.

وفي الواقع، فان النظام الجديد كان قد اكتسب أنصاراً أقوياء في بعض الولايات، ولذلك استنكروا الغاءه، وخلع السلطان المخلص. ولذلك قام مجموعة من المخلصين وعلى رأسهم مصطفى باشا الملقب «بالعمدار» بالزحف مع جيشه الى العاصمة، بغية تأديب الانكشارية وإعادة السلطان سليم الى العرش مع إتمام اصلاحاته السابقة، الا أنه مع الأسف لم يجد مجالا لتحقيق هذا الهدف ، ومع كل هذا، فقد استطاع العمدار أن يستولي على الحكم، وأن يُجلس على العرش السلطان محمود الثاني، في عام ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م والذي حاول القضاء على الانكشارية ، فحصل على فتوى شرعية توجب إفناء هذه الطائفة الباغية ، وأخيرا تغلب عليهم بصورة نهائية

---

١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٧٦-٧٧

بعد أن أيقن أن القضاء عليهم أصبح ضرورة، وصار العمل الاصلاحي لا يبدأ إلا بتحطيمهم(١).

وفي رسالة مؤرخة في ١١ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ/٣ يونية (حزيران) عام ١٨٠٩م من أدير R. Adir سفير إنجلترا في اسطنبول الى حكومته ما يصور هذه القضية أوضح تصوير حيث جاء فيها : «لقد رفض الانكشارية الاعتراف بالوزير الكبير والى أن يتم الحصول على موافقتهم فقد ظل لا يجرؤ على الظهور في العاصمة وعلى ذلك فلا يمكن القول أنه يحكم الدولة، ولما أمروا بالتوجه للقلاع.. ووصلوا للدانوب كانوا حريصين على قيد أسمائهم في الكشوف بدلا من حرصهم على التجمع في جيش واحد تحت قيادة واحدة... انهم يعرضون بلادهم لحرب أهلية مع أنهم على مرأى من خيام الروس» (٢).

ومن هنا بدأت الاصلاحات والتنظيمات العسكرية، والتي لم تنحصر بشؤون الجيش وحدها، بل تعدت ذلك الى شؤون التعليم والثقافة بوجه عام. لأن العلوم العصرية على اختلاف أنواعها، دخلت الممالك العثمانية أول ما دخلت عن طريق المدارس العسكرية. فأولى المدارس الحديثة كانت قد انشئت لغايات عسكرية بحتة . وأولى المؤلفات في العلوم الرياضية والطبيعية، وكذلك في التاريخ والجغرافيا قد وضعت في المدارس العسكرية وللمدارس العسكرية. كما أن انشاء المدارس العسكرية سبق انشاء المدارس الملكية بمدة طويلة ، لا تقل عن نصف قرن ، وأن مدارس الفنون البحرية والهندسية الملكية أنشئت في أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ولكن مدارس الحقوق والادارة والزراعة لم تنشأ الا في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي . الى جانب التعليم الطبي الحديث، فقد بدأ هو الآخر في الطبية العسكرية التي أنشئت لتخريج الأطباء والجراحين والصيادلة الذين يحتاج اليهم الجيش العثماني.

ومما يلفت النظر أن الطبية العسكرية حافظت على شخصيتها حتى بعد انشاء الطبية الملكية، بل ظلت تعمل الى جانبها، مستقلة عنها، فضلا على

---

١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص٧٩- ٨١.
٢) محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى عصر السلطان محمود الثانى ، ص ١٦٩

أنها ظلت متفوقة عليها تفوقاً كبيراً، من حيث المباني والتجهيزات، وكذلك من حيث العمل والانتاج. ولم يكتف رجال الجيش بانشاء المدارس العسكرية الاختصاصية والعالية المختلفة، بل قاموا بإنشاء مدارس ثانوية عسكرية لإعداد الطلاب الى الدخول في المدارس العسكرية الاختصاصية، كما أنشأوا مدارس رشدية قبل المدارس الثانوية العسكرية(١).

والى جانب المدارس الحربية، عمل السلطان محمود الثاني على افتتاح مدارس للبحرية، ولقد اعتنى السلطان محمود الثاني بتنظيم التعليم وتدرجه وتنوع المدارس فوجدت المدارس المعروفة (صبيان مكتبي) أي مدرسة ابتدائية لتعليم الهجاء العثماني وقراءة القرآن ومبادىء اللغة العربية ، الى جانب «مكتب رشدية» أي المدرسة الثانوية، والتي اعتنت بالقراءة والكتابة والرياضة والتاريخ والجغرافيا الخاصة بالدولة العثمانية، الى جانب مدارس المساجد وقد درس فيها علم الكلام والقواعد والمنطق والآداب.

والى جانب تلك المدارس، انتشرت المدارس الخاصة، ولقد اقتضت الحاجة الى افتتاح مدارس خاصة لإعداد التلاميذ لدخول مدارس البحرية والطب والزراعة والهندسة والمدفعية، فكانت تعتبر بمثابة مدارس تجهيزية ، ولقد خصصت مدرسة أحمد ومسجد سليمان لإعداد الموظفين المدنيين، ولذلك اقتصر دخولها على المسلمين حتى سن الثامنة عشر، بينما اعتنت هذه المساجد عناية خاصة بقواعد اللغة العثمانية وآدابها.

وتم افتتاح مدرسة لتخريج المعلمين في عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م ومدرسة لتعليم البنات، وأربع مدارس طبية للعساكر المنتظمة في ١١محرم ١٢٥٠هـ/١١ مايو (آيار) عام ١٨٣٤م (٢).

ومما هو جدير بالذكر أن المدارس الرشدية والإعدادية العسكرية لم ينحصر وجودها بالعاصمة فقط، بل أنشئ عدد منها في الولايات . وأن المدارس العالية العسكرية أفادت بعض الولايات أكثر بكثير مما افادتها المدارس الملكية، لأن المدارس العالية تمركزت في عاصمة الدولة العثمانية، فكان الانتساب اليها يتطلب توفر الكثير من الشروط والظروف

---

١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٣ - ٨٤
٢) محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى فى عهد السلطان محمود الثانى ، ص ١٩٨-١٩٩

العائلية والمالية، فلا يتيسر الا لعدد قليل منهم. وهذه المدارس تميزت عن غيرها بمزايا كثيرة منها: أنها تشمل القسم الداخلي والخارجي، وهي مجانية بوجه عام، والحكومة مسؤولة عن جميع نفقات الطلاب فيها من مأكل وملبس، وكتب وقرطاسية الى جانب توفير السكن والمواصلات. ومما هو جدير بالذكر، أن تعدد المدارس الرشدية والإعدادية العسكرية في الولايات أنضم الى نظام المجانية التامة والداخلية العامة، مما سهل انتساب أبناء الولايات الى المدارس العالية العسكرية(١).

وعندما تولى ابراهيم باشا ولاية سورية بعد استيلائه على بلاد الشام في عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، كان يفاخر بميوله التحررية، حيث كان يعمل على تحقيق آرائه الخاصة بالعمل على النهوض بالعرب على طريقة والده محمد على باشا، ولكن اذا وضعنا في اعتبارنا أن الباشا وابنه لم يكونا من العرب، عرفنا أن العامل الذي كان يحركهما تمثل في طموحهما الشخصي، وأن رغبتهما تمثلت في تأسيس دولة خاصة تحت حكمهما تنفصل عن الدولة العثمانية. لذلك عمل محمد على أن تكون صحبته من العثمانيين والألبانيين حيث يكونون أعمدة السلطة في دولته المقبلة. على أن يكون العرب هم الرعية يقدمون الطاعة ويحملون الأعباء. ولقد عمل ابراهيم باشا على الجمع بين تحقيق النهضة العربية وبين تأسي دولة خاصة به، لذلك فان أول ما اهتم به ابراهيم باشا في الشام، هو اقامة جهاز جديد للحكم، يتميز عن الجهاز السابق تميزاً إصلاحياً واضحاً في معظم الجوانب الأساسية لتنظيم الدولة. ولقد استطاع ابراهيم باشا في زمن لم يتجاوز العام، من أن يقيم نظاماً جديداً يعتمد على المساواة في الحقوق الدينية والمدنية وعلى ضمان الأرواح والممتلكات(٢).

أما نظام المساواة بين جميع الرعايا في ولاية سورية بما فيها من مسلمين ونصارى، والذي هللت له جميع المصادر والمراجع النصرانية، بأنه انتصار وعهد جديد من الاستقرار والتسامح، فلم يرجع ابراهيم باشا فيه الى رأى الدين الاسلامي والذي يعطي كل فرد من أفراد المجتمع حقه بالعدل والقسطاط في داخل الدولة دون تعدي على حقوق الآخرين. ولقد وضع قانوناً لأهل الذمة الذين يقطنون داخل الدولة الاسلامية، والذين اختاروا أن يظلوا على دينهم، فلم يتعرض لهم الاسلام بسوء. ووضع لهم قوانين تحميهم داخل حدود الدولة الاسلامية، ولقد عاش أهل الذمه قروناً طويلة

---

١) ساطع الحصرى : البلاد العربية العثمانية ، ص ٨٤-٨٥
٢) سوسن سليم اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٤٢

على هذا الوضع. حتى جاء ابراهيم باشا، واجتهد برأيه في المساواة بين المسلمين وأهل الذمة، ولكنه اجتهاد فيه تعدي على حقوق المسلمين، وهذا يرفضه المسلمون بطبيعة الحال وكذلك عقلاء النصارى.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النظام كان له ردة فعل بين المسلمين والنصارى على حد سواء، حيث كان للمسلمين ترحيبهم في بداية الأمر، عند قدوم ابراهيم باشا الى الشام والذي يرجع الى اعتقادهم أنه سيؤسس دولة عربية كبرى، تقف أمام الأطماع الأوروبية في المنطقة مما سيقوي سيادتهم. ولكن عندما الغي ابراهيم باشا القوانين الاستشارية، وجميع ما كان يسري على النصارى وحدهم. جعل من هذا العمل ما نفر المسلمون منه(١) حتى أن المسلمين بدأ يهمس بعضهم الى بعض حيث يقول الواحد منهم : «يا أخي صارت دولة نصارى، خلصت (انتهت) دولة الاسلام وعلى هذا وقيس» ، مما يدل على عدم الرضا من جانب المسلمين في مساواتهم مع النصارى(٢).

والواقع أن ابراهيم باشا قد تمادى في محالفة ومحاباة النصارى على حساب المسلمين، وكان ذلك بمثابة عدم احترام لمشاعر المسلمين، وخاصة في بعض الأمور التي حرمها الاسلام، وجاهر بها عياناً مثل انشاء الخمّارة في الشام في وضح النهار، متحدياً بذلك المسلمين، حيث كتب بذلك صاحب مذكرات تاريخية عن ذلك بالتفصيل(٣).

مما سبق نلاحظ أنه كان لا بد للمسلمين في سوريا أن يغضبوا لوجود هذا الحكم في بلادهم، والذي تعدى على أصول دينهم وعقيدتهم لذلك واجه ابراهيم باشا العديد من الثورات، كان أولها وأخطرها ثورة الفلاحين في فلسطين ثم ثورة الدروز، وجبل لبنان، وتتابعت الثورات هنا وهناك مما أربك وضع ابراهيم باشا ولو أن معظم المؤرخين صفقوا كثيراً لأعمال ابراهيم باشا، في سوريا حتى كلت أيديهم وجفت اقلامهم ومن هؤلاء، مخائيل مشاقة وصاحب المذكرات التاريخية وبازيلي وغيرهم كثير (٤). المهم أنه رغم

---

١) سوسن اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٤٤

٢) مؤلف مجهول :مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص ٦٠

٣) مؤلف مجهول ثبت أنه نصراني يعمل كاتباً في الحكومة المحلية بدمشق.

٤) انظر بالتفصيل : ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، ص ١١١-١١٥ ، وانظر : بازيلي : سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي - الناحية السياسية والتاريخية ، ص ١٤٣

قصر مدة حكم محمد علي في بلاد الشام، وأنه عندما عاد الحكم الى الولاة العثمانيين، وجد الحاكم والمحكوم معاً أن عصر محمد علي كان قد أنهى الحكم السطحي وجعل الدولة أكثر تدخلا في أمور الناس(١).

وبينما كانت المساواة بين النصارى وغيرهم قد أثارت ارتياحاً عظيماً لدى النصارى، ولكنها أزعجت الطوائف الاسلامية والطوائف الأخرى. حيث لم يكتف ابراهيم باشا بمساواة النصارى واليهود بالمسلمين بكل شيء حتى الاشتراك في الجندية، وكان هذا ممنوعاً قبل ذلك ومنذ الفتوحات الاسلامية الأولى حيث فرضت الجزية لأهل الذمة الذين رفضوا الدخول في الاسلام والبقاء على دينهم فأخذت الجزية بدل الدخول في الجندية، ويكون لهم الأمن والأمان داخل حدود الدولة، والمسلمين يدافعون عنهم دون المساس بحقوقهم. فلم يكتف ابراهيم باشا بإبطال هذا النظام بل أصدر بأمر منه أن تنشأ خمارة في الشام وهذا الأمر لم يحدث قبل ذلك بالمجاهرة بالمنكر بهذا الشكل. يقول صاحب المذكرات : «وبعده أصدر أمر من ابراهيم باشا أن يصير خمارة في الشام فأمر الديوان أن يصير تنبيه عند النصارى واليهود وغير مواضع لأجل يصير مزاد في (ضمان رسم) الخمارة فبقي المزاد حكم خمسة عشر يوم حتى انتهى حال (التزام) الخمارة بسبعمائة كيس وصار ضمانها من عيد الصليب وضمنوها نصارى ويهود واسلام وأخذوا خان المصبنة الذي في الخراب وقاعة النشأ وعملوها خمارة وتشوف الاسلام بأسوأ حال لأنه شيء مثل هذا عمره ما صار (قبلا) بالشام وتنتظر الوارد على الخمارة مسلمين ونصارى ويهود وتنتظر العرق والنبيذ مبسطين فيه بالقهاوي والشوارع مثل قهوة علي أبن منين وقهوة باب شرقي وقهوة باب توما ودكان في باب الجابية وفي سوق الخيل وفي باب مصلى...» (٢).

فمن الواضح أن نظام ابراهيم باشا الذي ينادي بالمساواة والتي يدعي وجودها بين النصارى والمسلمين، والتي اعتبرت مجرد اختلاف اللباس عبارة عن اضطهاد طائفي قد اضر بالمسلمين ضرراً بالغاً فأنشأ لهم الخمارة في وسط دمشق دار الخلافة القديمة وكان المسلمون أولى بما صرف على مشروع الهدم الذي هلل له النصارى واليهود، الذين تسمح لهم ديانتهم المحرفة به، لأنه يوصلهم الى أهدافهم في هدم الفضيله والأخلاق

---

١) عبدالكريم محمود غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، (الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م) ، ص ١٣١

٢) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا، ص٦٦

لدى المسلمين، وكان أولى بإبراهيم باشا أن يصرف أموال مشروع انشاء الخمارة على إنشاء مدرسة أو جامع أو مستشفى للمسلمين!

ولقد أدى نظام التسامح والمساواة الذي اتبعه ابراهيم باشا الى تزايد نشاط البعثات التنصيرية في بلاد الشام. بعد أن كان نشاط هذه البعثات محدداً في الشام قبيل مجيء محمدعلي حيث كانت كلها كاثوليكية ومعظمها فرنسية، وتنتسب الى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرملين أو اللعازاريين.

وبما أن هذا النشاط لم يلفت نظر الحكومة العثمانية في بداية الأمر، لذلك أخذ الكاثوليك يعملون دون أن يعترضهم أحد. «ولقد ساعدت سياسة المساواة، التي تميز بها حكم محمد علي في الشام، ونعني بهذا النظام عدم التفريق بين العربي المسلم والعربي النصراني أمام الدولة، وأمام القانون، فالكل رعية، وعليه أن يخدم وأن يخضع للدولة، مهما كانت الطريقة التي يتصل بها بالخالق». مما أدى الى توافد مزيد من رجال التنصير الى البلاد الشامية، وكان لأفراد هذه البعثات التنصيرية، نشاط ديني مكثف تستر وراء نشاط تعليمي وثقافي واسع النطاق. وهكذا فتح هذا النظام أبواب الشام أمام هذه البعثات الغربية وخاصة البعثات البروستانتية الأمريكية وغيرها ولعبت هذه البعثات دوراً هاماً في حياة الأقاليم الشامية الدينية والثقافية»(١).

وقد عزز ابراهيم باشا طموحاته في بلاد الشام بوضع برنامج شامل لتأسيس المدارس الأميرية. وشجع بكل قوة انتشار المدارس الأجنبية. وكان يريد أن تعم المعرفة وأن يرضع التلاميذ التوعية مع دروسهم، وبالرغم من قصر أيامه في سوريا فقد كان تأثيره قوياً في هذه الناحية خاصة بين المسلمين، فان النصارى من العرب قد كفاهم مئونة ذلك أنتشار مدارس المنصرين من الارساليات الأجنبية وكان برنامج ابراهيم باشا يرمي الى تأسيس المدارس الابتدائية في أنحاء البلاد جميعها وتأسيس المدارس الثانوية في المدن الرئيسية، وكان يبغي من ذلك سد حاجاته في الناحيتين العسكرية والسياسية. وكان يعتنى عناية خاصة في بذر بذور الوعي القومي في نفوس الناشئة، وقد تبلورت الفكرة في رأسه حتى أصبح يعول على سوريا في تنفيذ مقاصده أكثر مما كان أبوه يعول على مصر. وأنشأ كليات عالية في دمشق وحلب وأنطاكية. وكان جل طلابها من المسلمين، وعنيت

---

١) سوسن سليم اسماعيل: الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، ص ١٤٥-١٤٦

الحكومة بطعامهم وشرابهم ولباسهم ومنامهم ومنحتهم الرواتب. ولقد زاد عددهم في كلية دمشق على (٦٠٠) طالب وفي كلية حلب يربو على (٤٠٠) طالب وكانوا يرتدون الملابس العسكرية.

ولكن الأيام لم تمهل ابراهيم باشا، لأنه استعجل في فرض الضرائب العالية وشرع في تنفيذ التجنيد الاجباري، وأخذ ينزع السلاح من الأهلين فأثار حفيظة أهل البلاد فثاروا ضده، وجاءت حركة الحلفاء فخرج من سوريا تاركاً وراءه كل أعماله(١). وبمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان وعدم شعور سكانها بسطوة ابراهيم باشا وبطشه، تحركت فيهم العداوة الدينية القديمة الكامنة في نفوسهم خوفاً من شدة بأس ابراهيم باشا وعدم رأفته في معاقبتهم وزادت الدسائس الأجنبية لإضرام نار الشقاق وبذور الفتن الداخلية توصلا لغاياتهم الشخصية فكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك وانجلترا معضده للدروز ضدهم لتلجئهم على ترك المذهب الكاثوليكي، واعتناق المذهب البروتستانتي فيدخلوا بذلك تحت حمايتها الفعلية. ولم يعد لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي وظن كل فريق من هؤلاء التعساء أن الدولة التي تغرره تود صلاح حاله وترقيته في المدنية، ولم يفقه لدخائل هذه السياسة الخبيثة التي لا يتأخر أصحابها أمام إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم(٢). ولكن لم يتوقف استقرار المسلمين عند هذا الحد، فكان المسلمون يأملون برحيل ابراهيم باشا عن سورية وأن تنتهي مشاكلهم، بمساواتهم مع النصارى في كل شيء، حتى أنهم أخذوا أرفع الوظائف الحكومية منهم أيضاً، ولكن الأدهى من ذلك، أن الدولة العثمانية عندما رجع اليها حكم بلاد الشام بعد رحيل ابراهيم باشا عنها، عملت الدولة العثمانية على ابقاء القوانين التي سنها ابراهيم باشا في بلاد الشام كما هي، حيث أخرجت منادياً ينادي في الشوارع: والذي حضر من قبل أحمد زكريا باشا، يقول: «أنه مشاع للنصراني أن يقتني جواري، ويلف لفة بيضاء ويركب الخيول ويشرب الخمر ويكون مثل أيام إبراهيم باشا وأكثر وكل من يتعارض النصراني يترتب قصاصة من قبل الوالي العثماني، مما جعل النصارى في فرح عظيم» (٣).

---

١) محمد بديع شريف وآخرون : دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ، ص ٣٥.

٢) محمد فريد بك المحامى : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥١-٢٥٢

٣) مؤلف مجهول : مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، ص ١٣٩. ومسعود ضاهر : الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ، ص ٣٠٥-٣٠٦

وبالرغم من هذا الاجراء من قبل الدولة العثمانية، ظلت حركة الاصلاحات التي بدأت مع حملة إبراهيم باشا على سوريا مستمرة، مع ما واجهتها من مخاطر تلك الحملة، ففي عصر محمد الرابع أسست مدرسة لتعليم اللغات، وذلك لتخريج طبقة من التراجمة، وقد ازداد الاهتمام بهذه المدرسة في عصر السلطان محمود الثاني وتقرر أن يلحق الخريجون منها بالسفارات المختلفة إتماما للدراسة وإجادة للغات التي درسوها فيها، وفي عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م أنشيء قسم للترجمة تابع لهذه المدرسة . وأظهر السلطان محمود الثاني اهتماماً كبيراً بتثقيف الأمراء وتدريبهم، لإفادة الدولة إذا ما ارتقى أحدهم عرش السلطنة، وهذا عمل عظيم يشكر عليه لأن فيه بعد نظر كبير، وفيه مصلحة للدولة ورعاياها.

ومما يلفت النظر أن تنتشر المدارس اليونانية والأرمنية والكاثوليكية انتشاراً واسعاً بفضل رعاية السلطان وتشجيعه، ومن المعروف أن هذه المدارس نصرانية، ومن الملاحظ أن المدارس النصرانية متقدمة من الناحية العلمية والتقنية على المدارس الإسلامية الحكومية، ويحاول السلطان محمود الثاني أن يلحق مدارس دولته بها والاستفادة من أقدمها في مجال التعليم. ويتجلى اهتمام السلطان محمود أيضاً في مجال التعليم بأنه وضع قواعد وأصول اللغة العثمانية وإرسال بعثات للشرق استغرق عملها حوالي خمسة عشر عاماً لجمع مفردات اللغة إدراكاً منه لضرورة توسيعها للاحاطة بالتطورات الجديدة(١).

ولكننا اذا تذكرنا أن السلطان محمود الثاني ومن سبقه ممن فكروا بإدخال الاصلاحات على الدولة العثمانية، كانوا مقلدين للدول الأوروبية لكونها متفوقة عليهم مادياً، فإنه يتضح لنا سبب التقصير في تدريس لغة القرآن والتفكير في عدم جدوى ذلك، وربما أن الخبراء الأوروبيين الذين استقدمهم السلاطين العثمانيين كمستشارين ومعلمين، أشاروا عليهم بإبعاد اللغة العربية من المدارس العثمانية. وهذا ليس بالصدفة، بل ربما كان مخطط له على أعلى المستويات، وذلك لإبعاد الدين عن الحياة العامة، ومن ثم العمل على افتتاح المدارس التنصيرية الواسعة في الأملاك العثمانية ، التي تهتم بتعليم اللغة العربية، لأنهم يرون أن هذا الأمر يعمل على تسهيل اجتذاب الطلاب العرب والمسلمين لدراسة لغتهم العربية، والتي افتقدوها في المدارس الحكومية، وهنا يكون المنصرون قد نالوا كل الأرب، حيث

---

١) محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى ، ص ٢٠٠

اجتذبوا بذلك المسلمين الى مدارسهم، وهنا يأخذون في بث التعاليم النصرانية بينهم.

إذن فالسلطان محمود الثاني يعتبر من أعلام الإصلاح في العصر العثماني، فقويت في عصره شوكة الدولة العثمانية، واشتدت قبضتها على ولاياتها في عهده وذلك بقضائه على أصحاب العصبيات المسلحة والولاة الخارجين على الدولة والمناوئين له، ويعتبر السلطان محمود الثاني بحق، واضع أسس الحكومة المركزية الحديثة في الولايات العثمانية (١).

وما كاد عصر محمود الثاني يشرف على نهايته، حتى كان لحركة الاصلاح سند قوي، ورأي عام، وأصبح لها أنصار امتلأت بهم مراكز الدولة الهامة، وهذا بحد ذاته يعتبر جزء لا يتجزأ عن حركة الاصلاح نفسها، وبذلك سلمت الحركة من نكسة شبيهة بالتي أودت بعصر السلطان سليم الثالث(٢).

وفي الحقيقة، تغيرت الحالة بعد وفاة السلطان محمود الثاني في ١٩ربيع الثاني من عام ١٢٥٥هـ/ أول يوليو من عام ١٨٣٩م حيث فقدت الدولة سلطانها القوي وهزمت جيوشها الجديدة في معركة "نصيبين" ١١ربيع الثاني عام ١٢٥٥هـ/يونيو(حزيران) عام ١٨٣٩م واختفت الانكشارية من الساحة قبل ذلك، وكان آخر المصائب التي حلت على الدولة العثمانية ، هو انضمام الاسطول البحري العثماني الى محمد علي التابع القوي الثائر على الدولة، والمنتصر في معركة نصيبين قبل أيام معدودة. وهذا الوضع يوضح لنا الأحوال التي سادت عاصمة الدولة العثمانية، بعد وفاة السلطان محمود الثاني وما نتج عنه من قوانين وفرمانات سلطانية، والتي عرفت باسم منشور كلخانه (بدء التنظيمات) وهي بمثابة مجموعة من القوانين الوضعية، أعطت أوروبا الفرصة الكاملة لصياغة مواد هذه التنظيمات، حيث أخرجت الدولة العثمانية عن خطها الاسلامي الصحيح ولأول مرة في تاريخها (٣).

---

١) عايض بن خزام الروقى : حروب محمد على فى الشام وأثرها فى شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧-١٢٥٥هـ/١٨٣١-١٨٣٩م (رسالة ماجستير فى التاريخ الإسلامى الحديث جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية) ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ص ٤٢٢

٢) محمد عبداللطيف البحراوى : حركة الإصلاح العثمانى ، ص ٢٣٣

٣) عايض الروقى : المرجع السابق ، ص٤٢٢، ونوال سراج ششة : الحجاز تحت حكم محمد على ١٢٢٦-١٢٥٦هـ/١٨١١-١٨٤٠م (رسالة دكتوراة فى قسم الدراسات العليا فى التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم القرى) ص ٢٤٥

ومما هو جدير بالذكر أن منشور كلخانة - وهو عبارة عن خط همايوني (سلطاني) - صدر في بداية عهد السلطان عبد المجيد وذلك في عام ١٨٣٩/١٢٥٥م وقرىء في حفل رسمي كبير في قصر «الكلخانة» - ولذلك عرف بهذا الاسم - وقرر المنشور المذكور حقوق التبعية بتعبيرات خاصة، ثم قضي بإصدار قوانين جديدة لتثبيت التكاليف المالية، وتحديد مدة الخدمة العسكرية . كما قرر المنشور، تثبيت الضرائب ، وتنظيم أمر توزيعها على المكلفين، وجبايتها منهم، وذلك لوضع حد لتعسف المتسلمين والملتزمين. ولقد اعتبر منشور كلخانه بمثابة تمهيد، يتضمن وعداً بتنظيم شؤون الدولة (١)

ولقد صدر بالفعل بعد ذلك ما عرف باسم منشور التنظيمات، في عهد السلطان عبد المجيد وذلك في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م، وأكد ما جاء بالمرسوم السابق (منشور كلخانة) ولكنه أضاف الى ذلك مبدأ هاماً وخطيراً في نفس الوقت، وهو «معاملة جميع رعايا الدولة معاملة متساوية» مهما كانت أديانهم ومذاهبهم، وصرح في نفس الوقت بإبقاء الحقوق والامتيازات الممنوحة لرؤساء الملل غير المسلمة، وقرر بعض الأسس لتثبيت هذه الأمور بالتفاصيل اللازمة، كما قرر تنظيم أمور الدولة بوجه عام، وذلك عن طريق إصدار قوانين جديدة وفقاً للنظم المرعية في الدول الأوروبية ، وعن طريق هذا البيان أعلنت السلطة وتعهدت بأن تصون كلياً حياة وشرف وممتلكات الرعايا بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، وأن تضمن طريقة صحيحة لتوزيع وجباية الضرائب... وأن تضمن طريقة عادلة للتجنيد. ومن البديهي أن هذا الاصلاح تعثر في وجه مقاومة القوى السياسية والاجتماعية النافذة. وزاد في هذه المقاومة أن الدولة سارت في طريق هذا الاصلاح مضطرة، ووقعت تحت تأثير عاملين أساسيين:

أ) ضغط الدول الأوروبية ومطالبتها باصلاح أحوال النصارى التابعين للدولة العثمانية.

ب) اقتناع رجال الدولة المستنيرين بضرورة إصلاح جهاز الدولة وتجديده على أساس اقتباس النظم الأوروبية، من غير مساس بالأحكام الشرعية(٢).

أعلن منشور التنظيمات مبدأ المساواة بين المسلمين وغير

---

١) ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٣-١٠٤

٢) ساطع الحصرى : المرجع السابق، ص ٨٨-٩٠. وإميل توما : فلسطين فى العهد العثمانى ، ص ١٠٣-١٠٤

المسلمين. وباتت الدول الأوروبية تستفيد من هذه الأوضاع، وذلك لبسط حمايتها على النصارى، وتحريكهم كما تريد بين الحين والآخر. ومما يؤكد القول بأن حروب محمد علي في الشام - وبالذات حرب الشام الثانية - كانت من أكبر الكوارث التي تعرضت لها الدولة العثمانية، أن تلك الحروب أضعفت الدولة، وضعضعت مركزها الدولي، وأدت إلى تعرضها للمطامع الأوروبية، تلك هي الخطة التي ترمي الى تحويل الدولة عن التشريعات الاسلامية الى القوانين الوضعية الأوروبية ، حيث قامت أوروبا بالضغط على السلطان عبد المجيد - الذي حمل العبء عن والده السلطان محمود الثاني - لإصدار تلك التنظيمات واستجاب بالفعل أمام الأخطار والكوارث التي أحاطت بدولته وأمام حبه في كسب تعاطف أوروبا ضد أطماع أحد ولاته الأقوياء، محمد علي. وكانت الدولة العثمانية قد أصيبت بالضعف بشكل عام منذ إبرام معاهدة (انكيار أسلكة سي) مع روسيا في ١٨ محرم من عام ١٢٤٩هـ/٧ يونيو عام ١٨٣٣م والتي تمكنت روسيا بموجبها من التدخل في شئون الدولة العثمانية المسلمة، ليحدث بذلك رد فعل إسلامي الذي أظهر استياءه من قيام دولة كافرة بالدفاع عن عاصمة الخلافة الاسلامية (١).

مما سبق يتضح لنا مدى الواقع المرير، وهو أن محمد علي نظر لمصلحته الشخصية، ولم يملك بعد النظر كمسلم، لأنه لو بذل قوته مع جنده وقادته المحنكين الى جانب الدولة العثمانية وكانوا يداً واحده ضد العدو الغاشم الطامع بدولة الاسلام والذي يريد الانقضاض عليها في أي وقت، لكانت هناك جبهة إسلامية تهابها قوة الكفر والطغيان، ولكن للأسف الشديد كان محمد علي شوكة في حلق الدولة العثمانية، وأضاع بحماقته المال والرجال وهيبة دولة الاسلام حيث أنه هاجمها ليضعفها وليس ليرفع من شأنها، فكانت النتائج الوخيمة نتيجة لتعديه على بلاد الشام والجزيرة العربية والدولة العثمانية، وعلى الاسلام بشكل أخـــــص .

وهذا ليس دفاعاً عن الدولة العثمانية، فلها أخطاء جسيمة، فهي علاوة على أنها ثبتت بعض القوانين التي قام بها محمد علي في الشام بعد رحيله عنها، مثل مبدأ المساواة بين الطوائف، وهذا مما يؤخذ عليه وعليها الى جانب ما كان لها من خطأ فادح لن يغفره لها التاريخ أبداً، حيث أصدرت

---

١) عايض الروقي : حروب محمد على فى الشام وأثرها فى شبه الجزيرة العربية ، ص ٤٢٣. ومحمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٥

قانوناً هاماً، بل من أهم القوانين التي صدرت في هذه الفترة، وهو قانون الأراضي الذي صدر في ١٧ رمضان من عام ١٢٧٥هـ/٢١ نيسان (أبريل) من عام ١٨٥٨م والذي الغي بصورة شرعية نظام الاقطاعات العسكرية وتبعية الفلاحين للتيمارات . وقد أجرت الدولة العثمانية تعديلات على هذا القانون، كان أخطرها التعديل الصادر في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م والذي يمنح الأجانب حق تملك الأراضي في مختلف أنحاء السلطنة والذي تلقته الدول الأجنبية وطبقته بكل حرص وابتهاج. وقد كان هذا سبباً من أسباب استعمار اليهود لفلسطين فيما بعد(١).

إنه من الواجب علينا أن نتوقف عند هذا الخط الهمايوني - الذي أعطي الحق للأجانب بالتملك في شتى أرجاء الدولة العثمانية - لتوضيح عيوبه ومضاره، وكيف تهيأت الفرصة لليهود والمستعمرين لاستغلال الثغرات في القوانين المذكورة. ففي عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م أصدرت الدولة أنظمة حق سندات الطابو، وهي عبارة عن بعض التعليمات الداعية الى تسجيل الأراضي وإعطاء السندات والصكوك لمريدي تلك الأراضي وأصحابها. وفي هذه الفترة الزمنية أجرت الدولة العثمانية تعديلات في التقسيمات الادارية فتوزعت المساحة الفلسطينية على ثلاث مناطق :

١- سنجق عكا ويشمل أقضية عكا وحيفا وصفد والناصرة وطبريا.
٢- سنجق نابلس ويشمل أقضية نابلس وجنين وطولكرم.
٣- سنجق القدس ويشمل اقضية القدس ويافا وغزة والخليل وبئر السبع.

وكانت هذه السناجق، في البداية تتبع ولاية دمشق في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م وحين استقلت بيروت كولاية تابعة لاسطنبول مباشرة، ألحق بها كل من سنجق عكا ونابلس في عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م، أما سنجق القدس فقد حصل هو أيضا على استقلاله ثم تبع العاصمة مباشرة بحسب فرمان أصدره السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م. وترجع أهمية التوقف عند هذا التقسيم الاداري الى أن فلسطين كانت تتبع دائرة تسجيل الأراضي في دمشق، حتى عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م. وبعد ذلك أصبحت تتبع دائرة

---

١) إميل توما: فلسطين فى العهد العثمانى ص ١٠٤-١٠٥

تسجيل اراضي بيروت (١). ولم يكن هناك إقطاع بشكل عام في فلسطين، باستثناء بضع مساحات استطاع أصحاب النفوذ من الأسر الكبيرة في بيروت ودمشق أن يسجلوها بأسمائهم ووافقهم بعض ملاكها من عرب فلسطين (٢) وذلك لعدة أسباب منها:

١- صعوبة ملاحقة أمور التسجيل على الفلاحين الفقراء الفلسطينيين في هاتين المدينتين البعيدتين في ظروف صعوبة المواصلات وبدائيتها في ذلك الوقت وعدم تمكن الفلاح الغياب فترة طويلة عن أرضه والتي تستغرقها فترة ذهابه وايابه للتسجيل في إدارة الطابو التابعة له منطقته علاوة على المصاريف الباهظة التي لا يقدر عليها .

٢- جهل الفلاحين بالقانون وإجراءاته المعقدة من ناحية، وإحجامهم عن تسجيل ملكياتهم في الطابو خوفاً من دفع الضرائب من ناحية أخرى، وذلك بسبب تراكم الديون عليهم بسبب ضعف قيمة الناتج لبعض المواسم وعدم دعم الحكومة العثمانية للزراعة بشكل عام الى جانب ربا المرابين الفاحش .

٣- لجوء الفلاحين الى الاقطاعيين وأصحاب النفوذ السياسي والاقطاعي وتسجيل الأراضي باسمهم، حتى يلجأوا الى سند قوي يخفف عنهم ضائقتهم المالية، التي كانت تتزايد باستمرار مع ارتفاع الضرائب على الأراضي الزراعية.

٤- استعداد الأغنياء في المدن والقرى لتسجيل مساحات واسعة من الأراضي بأسمائهم، ثم تأجيرها للفلاحين بشروط استغلالية فاحشة. مما أدى الى نشوء الملكيات الكبيرة أو ظهور أسياد الأرض ، أصحاب الاقطاعيات وملتزمي الضرائب. وقد تملكت هذه العائلات بموجب قانون الطابو مساحات شاسعة تراوحت بين ٥٠ و١٠٠ ألف دونم لكل منها.

---

١) إميل توما : فلسطين فى العهد العثمانى ، ص ١٠٦

٢) صالح مسعود بو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، (الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م) ، ص ٤٥

ومن هنا كانت خطورة التعديل الذي أجرته الدولة العثمانية في قانون الأرض لعام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م والذي يعطي الحق للأجانب في امتلاك الأراضي في الدولة (١) فكان أسياد الأرض الغائبين من العائلات اللبنانية والسورية الدمشقية المرموقة في ذلك الوقت والتي ملكت الاقطاعيات الواسعة في فلسطين، أكثر استعداداً لنقل ملكياتهم الى الأجانب، وخصوصاً بسبب احتكاكهم بالدول الأجنبية، بريطانيا وفرنسا، وعملهم معهم كتراجمة ووسطاء وتجار وكذلك بسبب سفرهم الى أوروبا واطلاعهم على الاعلام الغربي، الذي نشر فكرة توطين اليهود في فلسطين، فكان من السهل عليهم بيع ما يملكونه من أراض في فلسطين للانجليز، الذين يبيعونها بدورهم للصهاينة، وذلك مقابل أموال اليهود التي تجاوزت الأسعار المعقولة.

بينما كان يقيم في تلك الأراضي - المسجلة بأسماء الاقطاعيين للأسباب المذكورة أعلاه، الملاك الحقيقيون الأصليون من شعب فلسطين، والذين كانوا يقدمون جزءا من إنتاجها للعائلات الكبيرة الحامية. وقد تم ذلك منذ عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م ، وحين عرف الناس طرق التسجيل الرسمي للأراضي، كانت أراضي فلسطين زمن الحكم العثماني إما ملكاً لأفراد بشهادات رسمية مسجلة وهي تقدر بحوالي ١٣,٥ مليون دونم، وإما ملكاً للدولة، التي كان السلطان رأسها وباسمه تسجل الأراضي، ولكن عرب فلسطين كانوا يستغلون تلك الأراضي الأميرية المملوكة للدولة، فهم يزرعونها ويسكنونها ويتوارثونها جيلا بعد جيل، فهي ملكهم بالتقادم والاستعمال، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية. (٢).
وبسبب المطامع الدنيوية والشخصية البحتة عند بعض الأسر العربية - السورية واللبنانية، التي تملكت مساحات واسعة خصبة في فلسطين - بالإضافة الى ظهور الخطر الصهيوني، والقوانين البريطانية بنزع الملكيات، وجدت تلك الأسر أن فلسطين لم تعد مكاناً للاستثمار والكسب، ورأوا أن يتخلصوا من تلك الأراضي التي يملكونها في فلسطين، ليس بإعادتها لجموع الفلاحين الفلسطينيين ، أهل البلاد الأصليين الذين عاشوا فيها وأصلحوا فيها، ووارووا فيها أجداث أبائهم وأجدادهم لمئات

---

١) إميل توما : فلسطين فى العهد العثمانى ، ص ١٠٦-١٠٨
٢) صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص ٤٥٢-٤٥٣

السنين، ولكن لذهب اليهود الرنان وأموالهم الطائلة (١).

موقف الدولة العثمانية من تنظيم الطوائف النصرانية:

قامت الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني والذي سمي بالفاتح ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، بتنظيم شئون الطوائف غير الاسلامية، ووضعت من أجل ذلك نظام الملل الذي يقضى بأن ينتخب الرؤساء الدينيين من قبل أفراد الملة. على أن يقترن تعيين البطريرك أو الأسقف المنتخب بصدور البراءة السلطانية، ومنح الرؤساء حق رعاية أفراد ملتهم في الشئون العامة والشخصية، ولقد شمل هذا التنظيم الروم واليهود أيضا. ولكن خلفاء محمد الفاتح لم يواصلوا السير على التنظيمات لمختلف الطوائف الذمية وأبقوا هذه التنظيمات على ما كانت عليه في عام ١٠٥١هـ/١٦٤١م ولكنهم اعترفوا بطائفة ثالثة هي طائفة الأرمن التي شملت جميع الطوائف النصرانية الأخرى غير المعترف بها آنذاك .

ولما بدأت الانشقاقات في أوساط الكنائس الشرقية، أعقب ذلك تحول قسم كبير من أتباعها إلى الكنيسة الغربية، واعترف برئاسة البابا، الأمر الذي أدى إلى تضخم عدد الكاثوليك في الدولة العثمانية. مما أدى الى قيام الدولة العثمانية الاسلامية، بالاعتراف بهم كطائفة مستقلة ، ومما يلفت النظر أن هذه الطائفة كانت تحتج لدى الدولة العثمانية بشكل مباشر وذلك عندما تقوم الكنائس الأخرى بتحويل أتباعها عن عقيدتهم. مما يدل على مدى تقرب هذه الطائفة للدولة العثمانية ومدى تميزها على الطوائف النصرانية الأخرى.

---

١) صالح مسعود بويصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، ص ٤٦٥-٤٨٦ ،،، ولقد أورد صالح بويصير، الكشف الرسمى لأسماء تلك الأراضى وملاكها ، مع أسماء العائلات اللبنانية والسورية التى باعت أراضى تملكها فى فلسطين إلى الإنجليز والشركات الصهيونية ، ولم يراعوا عروبة هذه الأراضى وقدسيتها ، مع احتجاج شباب عرب فلسطين عليهم فى بيروت لدى الجهات الرسمية والحكومية ، ولكن لم يجدوا أذناً صاغية وللأسف الشديد ، ومن هذه العائلات : عائلة سلام ، عائلة بيهم وسرسق ، التى ملكت مرج بنى عامر ، وهى من اخصب أراضى فلسطين ، وعائلة تيان والقبانى ، الصباغ والتونى وعائلة آل يوسف.

وقد نظرت الدولة العثمانية إلى الملة أو الطائفة على أنها جماعة تنضم تحت رابطة مذهبية واحده بغض النظر عن الجنس أو اللغة أو القومية، فمثلا كانت ملة الأرثوذكس تضم عناصر مختلفة كاليونان والعرب والبلغار والرومان والصرب وغيرهم، إلا أن الحكومة العثمانية كانت لا تعير هذه الاختلافات القومية أو الجنسية أي اهتمام، فهم في نظرها يتبعون ملة الروم «روم ملتي» التي تعني جميع النصارى الخاضعين للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية (١).

ومن العجيب أن السلاطين العثمانيين نظروا إلى الكنيسة الأرثوذكسية نظرتهم إلى كنيسة وطنية فشجعوها على الوقوف في وجه الكاثوليك الذين يدينون بالولاء لكنيسة أجنبية معادية، ولكن الصبغة العثمانية الوطنية ما لبثت أن زالت عنها بعد أن وضعت نفسها تحت حماية روسيا، وشجعت الحركات الاستقلالية في البلقان، فعملت السلطات العثمانية على تغير سياستها التي كانت تستهدف المحافظة على وحدة الكنيسة الأرثوذكسية واعترفت بعد ذلك بالكنائس المنشقة، وسمحت لها باختيار بطاركة مستقلين (٢) ولهذا قام الاكلروس الأرثوذكسي الأعلى بشن حملة عنيفة على المرسلين الكاثوليك والتابعين لهم، وذلك بدعم مباشر من السلطنة العثمانية (٣). ولهذا اهتمت الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق القرن التاسع عشر الميلادي بتنظيم العلاقات بين الطوائف النصرانية حرصاً منها على عدم إثارة نزاع طائفي يكون في أعقابه غالباً خطر تدخل أجنبي، فأصدر السلطان عبد الحميد الأول عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م إرادة سنية بحل الخلافات الطائفية بحيث تمنع الدولة العثمانية الدول الأجنبية أن تتدخل في شئون الطوائف النصرانية المختلفة، فقامت بفصل أي نزاع يقع بين طائفتين بواسطة رؤوساء الطائفتين المتنازعتين دون الحاجة إلى تدخل طرف ثالث، على أن يعقد الاجتماع بينهما في المكان الذي تراه الحكومة مناسباً، كما قررت الدولة أن يبت مجلس الأحكام العدلية في الخلافات الطائفية بحضور البطريركين المتنازعين، فإذا نجح المجلس في حل النزاع فيكون قد أمن الدولة العثمانية من مغبة التدخل الأجنبي.

---

١) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٣٠٨- ٣٠٩ ؛ سوسن اسماعيل : الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية ، ص ١٠٢

٢) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٣٠٩

٣) مسعود ضاهر : الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ، ص ٣٠٩

ونظمت الدولة العثمانية شئون طوائف الروم والأرمن واليهود، وأصدرت أنظمة خاصة بكل طائفة، وبدأت بنظام بطريرك طائفة الروم في اسطنبول، والصفات التي يجب أن تتوافر في البطريرك المنتخب، وأشرف الباب العالي على انتخاب البطريرك. واعتبروا البطريرك المنتخب واسطة لتنفيذ أحكام الدولة في القضايا المتعلقة بأتباع كنيسته. وأصدرت الدولة بعد ذلك نظام انتخاب الأساقفة والصفات التي يجب أن تتوافر في الرهبان المرشحين لمنصب الأسقفية، وذلك ضمن شروط من أهمها (١):

١- أن يكون من رعايا الدولة العثمانية، غير مشكوك فيه لدى الدولة والملة.
٢- أن يكون حسن السيرة والسلوك، بالغ السن القانونية، وتام الأعضاء.
٣- أن يكون له خدمة لا تقل عن خمس سنين، مشهوداً له فيها بحسن الادارة.
٤- أن يكون عارفاً باللغتين التركية والرومية.

كما أصدرت الدولة العثمانية نظام هيئة مجمع المطارنة، وبموجبه تشكل مجمع مطارنة من إثنى عشر شخصاً برئاسة بطريرك اسطنبول، وحددت اختصاصاته بإجراء الدقة على أمور الملة الروحية، وتعيين أساقفة للأسقفيات الشاغرة، وإصلاح أحوال الرهبان وأديرة ومدارس الطائفة، وحق عزل البطريرك، إذا ظهرت منه حركات مخالفة لواجباته، وتجاهل إخطارات المجمع وامتنع عن قبول النصح فإذا أصر على موقفه عرض المجمع وأعضاء المجلس المختلط على الباب العالي طالبين منه عزل البطريرك . أصدرت الدولة نظام رواتب البطريرك في اسطنبول، حيث خصص له مبلغ نصف مليون قرش في السنة، ويجري جمع (١٣٠) ألف قرش منه من نصارى اسطنبول و(٣٧٠) ألف قرش من الأساقفة الأرثوذكس في الدولة العثمانية على أن يصرف هذا المبلغ على بطريركية اسطنبول وجميع الموظفين فيها، وخصص لكل أسقف عشرة قروش عن كل تذكرة زواج و(٣٠٠) قرش عن كل ورقة طلاق و(٥٠) قرشاً عن إجراء القداس في الكنائس في الأعراس والجنائز كحد أدنى. كما أصدرت الدولة العثمانية نظاماً قسمت الأديرة بموجبه إلى ثلاثة أقسام حسب عدد القسيسين الموجودين فيها، ثم أصدرت نظام انتخاب بطريرك الأرمن في اسطنبول واعتبر بطريرك الأرمن واسطة لتنفيذ أحكام الدولة، كما أصدرت الدولة عدداً آخر من الأنظمة متعلق ببطريرك القدس والمجلس الروحاني للطوائف النصرانية ولجنة المعارف ولجنة المحاكمة الكنسية، وصدر كذلك نظام لجنة الأديرة والمحاسبة والجمعيات الكنائسية، وكيفية تشكيل المجلس العمومي ووظائفه.

---

١) عبدالعزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا ، ص ٣١٠

أصدرت الدولة العثمانية في ٢٣ شوال من عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م نظام الحاخامخانة لليهود في ٤٨ مادة تضمنت أوصاف الحاخام باشي و(الحاخام الأكبر). وصورة انتخابه وبيان وظائفه وكيفية انتخاب أعضاء المجلس العمومي ووظائف المجلس الروحاني وبيان وظائف المجلس الجسماني. وتركت الدولة العثمانية لنفسها حق الموافقة أو الرفض عل انتخاب بطريرك الأرثوذكس والأرمن وحاخام اليهود، وبذلك ضمنت لنفسها ولو نظرياً ولاء رؤوساء الطوائف غير الاسلامية، ومنحت لنفسها القرار الأخير في الموافقة على تعيين البطريرك أوعزله(١). كما عملت الدولة على المساواة في المعاملة بين علماء الدين من النصارى والمسلمين. وضمنت لرؤساء الطوائف النصرانية قدراً كبيراً من الاحترام، وأنعمت عليهم بالأوسمة والألقاب. وسمحت لهم بإعادة بناء وتجديد كنائسهم، على أن تكون الأرض ملكاً للطائفة بذاتها. أما اذا كانت الأرض في حي إسلامي فيشترط أن لا تكون من أوقاف المسلمين، واذا كانت أرضاً خاصة فيجب أن يكون ذلك برضاء المتصرفين بها، أما اذا كانت الأرض أميرية فتجري الموافقة على أساس تقدير بدل العشر عيناً. كما كان على رؤساء الطوائف المختلفة الاستئذان مسبقاً من الباب العالي في حالة سفرهم الى اسطنبول، وأن يبينوا الغرض من الزيارة، والمدة التي ينوون الإقامة فيها.

منحت الدولة امتيازات خاصة للأديرة النصرانية في ولاية سورية، فأعفت أغنام الأديرة من الرسوم، وأصدرت في ٧ ذي الحجة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م نظاماً تضمن إعفاء الرهبان التابعين للدولة العثمانية والدول الأجنبية - على اختلاف مذاهبهم وأديرتهم - من الرسوم الجمركية، وبموجب هذا النظام أعفيت جميع الأشياء الخاصة بتزيين الكنائس ولوازم الرهبان ومدارس الأديرة والأماكن الخيرية التي يديرونها مثل العيادات الصحية والصيدليات وملاجيء الأيتام وغير ذلك(٢).

وبموجب قانون تشكيل الولايات الذي صدر في عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، منحت الدولة العثمانية الطوائف غير الاسلامية حق التمثيل في مجالس دعاوى الأقضية بعضو أو أكثر وفي مجالس تمييز الألوية بثلاثة أعضاء، وفي ديوان الولاية بثلاثة أعضاء. وقد اتصف موقف الدولة العثمانية بالحرص على احتواء الطوائف النصرانية في إطار محدود، تتمتع بموجبه بحرية

---

١) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٣١٢- ٣١٣.
٢) عبد العزيز عوض : المرجع السابق، ص ٣١٤. ومؤلف مجهول : مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، ص ١٣٩

الحركة ، وحكم ذاتي، كانت تحسدهما عليه كثير من الطوائف النصرانية في أوروبا نفسها.

ويرى المستر «ريتشارد وود» قنصل بريطانيا في تونس، بأن الدولة العثمانية قد حرصت على إرضاء رعاياها النصارى واليهود وإزالة الفروق التي كانت موجودة بينهم وبين المسلمين ومشاركتهم في الادارة العامة وتقليدهم المناصب الرفيعة وإعلاء شأنهم وإثبات حقوقهم، ويقول مستر وود: «ولا يخفى أن الباب العالي وجد في هذا السبيل مقاومة من الرعايا المسلمين، بل من الكنائس نفسها لما بينها من العداوات والأحقاد - وذلك أمر اشتهر عند الجميع - حتى عرف النصارى ما يرمى اليه الدين الإسلامي من الحث على الرفق واللين والتساهل والصبر» (١).

يتضح من النص السابق على لسان القنصل البريطاني موقف الدولة العثمانية تجاه الطوائف غير الاسلامية والمعاملة الحسنة التي كانت الدولة تعاملهم بها. وبمثل هذا الكلام الذي صدر عن الرعايا الأجانب أنفسهم، نستطيع أن نرد على افتراءات بعض المستشرقين من المؤرخين الأجانب الذين اتهموا الدولة العثمانية بعدم المساواة بين الطوائف، وبأنها هي التي دبرت مذابح عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م. وذهب بعضهم الى أن المساواة بين الطوائف، كانت تهدف الى إثارة خواطر المسلمين على النصارى حتى يطلبوا الحماية الأجنبية . وهذه الاتهامات تتيح للدول الأجنبية فرصة التدخل في الأمور الداخلية في بلاد الشام والسيطرة عليها(٢).

وفي الفتنة الأولى فقد كانت مثل هذه الدسائس سبباً في هياج عام في جميع أنحاء لبنان، وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد العرقية والدينية حتى اندلعت الفتنة بين الدروز والموارنة. «في عام ١٢٥٧هـ الموافق عام ١٨٤١م دخل الدروز دير القمر وارتكبوا فيها ما تقشعر له الأبدان من النهب والسلب وقتل النساء والولدان وسبي الحرائر ، ولولا تدخل الجيوش بشدة لامتدت الثورة.

ولم يرُق ذلك التوقف في أعين أرباب الغايات ، بل ما انفكوا يوالون دسائسهم ويلقون بذور الفساد ويتعهدونها بالمداومة والمثابرة ، حتى قام

---

١) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٣١٤

٢) ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، ص ١٦٩-١٧٠

الدروز عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م وقتلوا بعض النصارى وتعدوا على قسيسي الكاثوليك الفرنسيين وقتلوا رئيس أحد الأديرة - واسمه شارل دي لوريت - واثنين من رهبان الدير ، وحرقوا جثثهم ثم أضرموا النار في الدير ، بعد أن نهبوا كل ما به من المنقولات والأمتعة . ولم يلحق المرسلين البروتستانت - الأمريكيين والانجليز - أدنى أذى ، مما يدل على أن هذه المذابح لا تخلو من تورطهم فيها، وحتى يثبتوا للمارونية الكاثوليك أن اعتناقهم المذهب البروتستانتي، يحميهم من الفتن ويكونون في مأمن من تعدى الدروز عليهم.

موقف الباب العالي من الاضطرابات

قام الباب العالي بالتدخل في ادارة الجبل لمنع الفتن والاضطرابات، فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج عساكر إبراهيم باشا من الشام، وعين مكانه والياً عثمانياً، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديماً بمقتضى عدة معاهدات، وما منح لهم أخيراً باتفاق الدول الكبرى ، اعتقاداً منه بأن ذلك أقطع للمفاسد وأمنع لظهور الضغائن الدينية بين الموارنة والدروز. ولكن الدول الأجنبية لم تقبل ذلك الوضع وتدخلت لدى الباب العالي. فاضطر الباب العالي أن يعيد للجبل بعض امتيازاته ، واتفق مع سفراء الدول أن يكون للوالي العثماني قائمقام ماروني وآخر درزي يتولى كل منهما النظر في شؤون أبناء جنسه وذلك عام ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م. ولكن هذه الطريقة لم تنجح أيضاً، لاختلاط سكان بعض القرى من موارنة ودروز، فسلخ الباب العالي إقليم الجبائل الآهل بالموارنة من حكومة الجبل، وضمّه الى ولاية طرابلس بلا امتيازات كباقي أقاليم الجبل ، فعارض بطريرك الموارنة ذلك، واحتج لدى جميع القناصل على هذا العمل مدعياً أن الدولة أرادت بذلك إضعاف العنصر الماروني وتقوية العنصر الدرزي، فبناء على هذه الشكوى أرسل الباب العالي مندوبه أسعد باشا، للنظر في تسوية هذا الأمر، فارتأى ضرورة إعادة الأمير بشير الشهابي الى امارة الجبل ، فلم يقبل الباب العالي هذا الحل. وانتدب خليل باشا لنفس المهمة فرأى أفضلية اعتبار جبل لبنان كباقي الولايات العثمانية بدون أدنى امتياز(١).

وعلى إثر ذلك ، هاج الدروز واعتدوا على الموارنة مما سبّب قيام المذابح عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م ، فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكرية، وأجرت فيها الأحكام العرفية ثم دارت المخابرات

---

١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٢

بين الدول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السلام في الحال والاستقبال، فاجتمعت آراؤهم بعد مداولات طويلة، على أن يبقى في القرى المختلطة وكيلان (قائمقام) أحدهما درزي والآخر ماروني ، ويعين لكل منهما مجلسٌ يشاركه في الادارة وتحت رئاسته، ويتم تشكيل كل مجلس من عشرة أعضاء - خمسة قضاة وخمسة مستشارين - إثنان من الدروز واثنان من المارونية واثنان من المسلمين واثنان من الملكيين وإثنان من الروم الأرثوذكس ، ويكون من اختصاصهما توزيع الضرائب بالسواء بدون نظر الى اختلاف دين أو مذهب، أما تحصيلها فيكون بمعرفة القائمقامين ووكلائهما في القرى والضياع. ويكون من اختصاصهما كذلك النظر في القضايا الحقوقية والجنائية وإن امتنع مندوب أي طائفة عن الإقرار على قائمة توزيع الضرائب بدعوى أنها مجحفة بحقوق أبناء طائفته، يرفع الأمر للوالي العثماني فيحكم فيها نهائياً.

وبهذا انتهت مسألة لبنان مؤقتاً، إلاّ أن الدروز لم يقبلوا هذه التسوية آملين الحصول على المزيد ، بعد وعود مندوبي انكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان، فتجددت الفتن والاضطرابات الى أن حصلت مذبحة عام ١٣٧٧هـ/١٨٦٠م والتي ذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء سواء من النصارى أو المسلمين ، وتدخلت فرنسا عسكرياً لحماية المارونية ، ثم انسحبت بعد أن استقرت الأحوال (١).

وهكذا نرى مدى ما بذلته الدولة العثمانية لتساعد على استقرار الأحوال في بلاد الشام ومنطقة الفتن المستمرة في الجبل، محاولة بذلك إرضاء جميع الأطراف، ولكن تدخل الدول الأجنبية من وراء الستار كان دائماً يشعل الفتيل لمصلحتها الخاصة، وظلت هذه الدول - وخاصة إنجلترا بدعمها للدروز، وفرنسا بدعمها للموارنة في جبل لبنان - تسعى لإشعال نار الفتنة في مؤامرة رهيبة دنيئة من الأطراف المستفيدة من هذا الصراع وهي الدول الأجنبية، والتي تريد أن تجعل لها أرضاً صلبة مناسبة لتقف عليها مهما بلغ عدد الضحايا. وهي تشعل الفتن دائماً وتقوم بكيل الاتهامات للدولة العثمانية، حتى تشعر أهل البلاد بتقصير الدولة تجاههم وتشعرهم بعدم الأمان والطمأنينة على أموالهم وأرواحهم وممتلكاتهم.

لقد أخذ الكثير من المؤرخين المعاصرين للأحداث أو المتأخرين عنهم من النصارى بإلقاء اللوم الشديد على الدولة العثمانية، وكانوا ينادون

---

١) محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٥٣

بإلغاء الخلافة العثمانية والقضاء عليها واستبدالها بحكم الدول النصرانية الأجنبية. وكان معظم هؤلاء من خريجي الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية) في بيروت.

يقول سهيل زكار «إن رجال الآستانة لم يكترثوا بما كان يجرى من الويلات والهوائل، وعندما نظرت الدول الى تقاعس الدولة عن حماية النصارى، قررت إرسال مراكب حربية لمياه سورية مع حملة من الجنود الافرنسية لإخماد الثورة الأهلية المواجهة لقطع النصارى....» ولكنه يرجع ليناقض نفسه فيقول: «فأسرعت بإرسال فؤاد باشا الى سورية، وبوصوله الى بيروت وصلت حملة كبيرة من الجنود الإفرنسية، وبوصول هؤلاء الجنود أخلد الثوار الى السكينة، وهدأت الأحوال في سورية». فالكاتب يثني على قدوم الفرنسيين وجنودهم ويرجع سبب إخماد الفتنة إليهم مع أنهم السبب المباشر في إشعالها. «وما كان من فؤاد باشا الا أن ألقي القبض على المشتبه بهم، ومن كان له ضلع بالثورة أو شدد عليهم باحضار المسلوب، ومع ذلك أحجم كثيرون عن تقديم ما كان عندهم. وصدر الأمر بتفتيش بيوت المسلمين، وأن كل من وجد عنده متاع من متاع النصارى يكون عقابه صارماً مما أوقع الرعب في قلوب معظمهم، وصاروا يطرحون ما عندهم على الطرقات والشوارع، وكان اليهود يلتقطون ويشترون أشياء ثمينة بأسعار تافهة.... وليس كل ذلك بسبب فؤاد باشا، فإنه كان يقتل وينفي ويغرم كل زعيم من المسلمين، وكانت الغرامة جسيمة وفادحة وذلك استجابة للدول فاضطر المسلمون الى استقراض المال من اليهود بربا فاحش بين ٣٠ و ٣٥ في المئة وذلك ما ضاعف أرباح هذه الفئة، وزاد ثروتها عما كانت عليه وصح قول القائل: مصائب قوم عند قوم فوائد»(١).

وكما نرى فلقد وقع المسلمون في ضائقة عظيمة حتى اضطروا الى استقراض المال بالربا الفاحش من أعداء البشرية وهم اليهود الذين لعنهم الله في كتابه العزيز، ولو كان للمسلمين يد فيما حصل، لظهرت نتائج عملهم في ذلك ولاتضح ما جنوه. ولكن الحقد الصليبي الذي لا ينتهي عند حد لا يريد أن يرى الحقيقة وهي جلية واضحة أمامه وما أسباب الفتن والمصائب الا بسبب أطماع الدول الكبرى في المنطقة، وربما استخدموا فيها أحقر عنصر بشري على وجه الأرض - والذي يبيح دم الانسان الذي يختلف عنه في الدين ويعتبره أقل منه - وهم اليهود، ولقد اتضح مدى استفادتهم من الأحداث وكأنهم رسموها بأيديهم. ولكن الكاتب النصراني

---

١) سهيل زكار: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، ص ٢٦٢-٢٦٤

المتعصب رغم حالة المسلمين الحرجة، وحالة اليهود الذين استغلوا كل موقف ، لم يوجه اتهامه أبداً لهم وأصبح النصراني واليهودي ضد كل مسلم ولكن الله سبحانه وتعالى لن يمكنهم أبداً من تحقيق مآربهم بعونه تعالى.

والكاتب هنا يكذب نفسه ويناقضها حين يعترف بأن الولاة العثمانيين قد بذلوا قصارى جهدهم في إحقاق الحق وإبطال الباطل ، فنرى فؤاد باشا عندما قدم الى الشام «أمر بترميم منازل النصارى في المدينة، وخيّرهم بالذهاب الى بيروت على نفقة الحكومة، فهاجر اليها من شاء المهاجرة، والذين فضلوا البقاء أخلى لهم من مساكن المسلمين، وأمر أن تعطى لهم معابد ليقوموا بفروض دينهم اذا رغبوا، فرفض النصارى هذا الكرم، لعلمهم أنهم بذلك يكدرون المسلمين عليهم، ويولد بينهم حب الانتقام في مستقبل الأيام. وعند رفضهم سؤاله عين لهم بعض البيوت لذلك الغرض، ثم رتب لهم قوتاً كان يأتيهم يومياً بحسب أفرادهم، ثم دفع لهم الأقمشة وما يحتاجون اليه من الكســوة» . وقام فؤاد باشا بنفي الكثير من العلماء من جميع المذاهب، إرضاء للدول المحرضة للفتن وهذا اعتراف بأنهم مذنبون، وأرسل بعضهم الى جزيرة قبرص، والبعض الى جزيرة رودس، والى بلاد الأروام، وحدد لهم مدة بقائهم في تلك الأماكن خمس سنين (١).

ورغم كل ذلك فقد ظل الكاتب النصراني المتعصب يتهم الدولة بالقصور ويتهم المسلمين بأنهم الحاقدون الذين قاموا بذبح إخوانهم مع أن جميع الروايات تبين ان الفتنة كانت بين الدروز والموارنة ، والدروز ينتسبون الى الاسلام بالاسم ولكنه منهم براء. ومع ذلك فقد قام فؤاد باشا «المرسل من قبل الدولة لأجل تعويض ما قد حصل - وقد شغل منصب وزير الخارجية يومئذ - فأرضى وكلاء الدول الموجودة، وقتل كام واحد من الدروز وأنفى نحو خمسة وعشرين رجلا من مناصب الدروز منهم جناب سعيد (الأصح:أسعد) بك تلحوق، ومن بيت جمبلاط، وأبي نكد، وطلعت العساكر الفرنساوية الى دير القمر ومعهم من رجال الانجليز ، وشاهدوا ما صار من هدم الأجسام والأموال وكان معهم جمهور من نصارى تلك الناحية، وأما الدروز ففروا هاربين من أمامهم وكانوا يصطادون البعض منهم، وقتلوا منهم أناس».

«وأخذ فؤاد باشا يلاطف الأمور بقدر الامكان من تعويض مال ومراضاة خواطر، حتى أنه أرضى الجميع، وأخذ في إعمار دير القمر من

---

١) سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن التاسع عشر ، ص ٢٦٤- ٢٦٥

مال الدولة العلية، وأعطى عوض عن المحروقات والمسلوبات أموالاً شتى، وأخذ من الدروز والمسلمين، مالاً جزيلاً ، ثم طلع عسكر الفرنساوي قسم الحاقب الياس وتوجه فؤاد باشا وبعض ضباط الفرنساوية الى زحلة والشام، وشاهدوا ما صار وبحال وصول فؤاد باشا الى الشام قتل الباشا الذي كان متولي البلد بوقت الحادثة... وقتل من أعيان البلد ما ينيف عن خمسين نفراً، وأخذ أموال كثيرة من الاسلام، ودفع الى النصارى قيمة المسلوبات والمحروقات، ورجع النصارى الى أوطانهم، ورضى العسكر الفرنساوي في كذا أعمال، الذي كان حضر لأجل المدافعة عن النصارى بأي وجه كان، ولو بإفتتاح الحرب، وكان حضوره برأي باقي الدول لأجل هذه الغاية، فدولة فؤاد باشا أرضيت الدول بهذا العمل، وكذلك فرق الأموال على النصارى، المنهوبين من جزين ودير القمر والشوف والمتن وزحلة والبقاع، وبلاد بعلبك، والشام، وحاصبيا وراشيا، وكامل الجهات»(١).

وهكذا نرى أن الدول الأجنبية ترضى اذا كانت كلمة النصارى هي العليا في بلاد الشام وقد سلبت الارادة من المسلمين جميعهم، ورغم أنه لم يكن للمسلمين يد في الأحداث، بل أنها كانت بتحريض من الانجليز للدروز - وعقيدتهم مغايرة لعقيدة الاسلام - فإن حقد النصارى ما زال ينصبُّ على المسلمين حتى يومنا هذا، وكانت الحروب الأهلية في لبنان على مر السنين ، بسبب أطماع الدول الأجنبية ودسائسها ، فهي تمد الجانبين بالسلاح لتشعل نار الحرب كلما بردت والضحية فيها المسلم والنصراني . فأطماعها في منطقة بلاد الشام والعالم العربي والاسلامي لا تنتهي .

أما بالنسبة للخدمات الصحية التي قدمتها الدولة العثمانية في بلاد الشام فهي في الواقع غير كافية ، فقام المنصرون من المرسلين الأجانب باستغلال احتياج الأهالي للعلاج، وذلك بإنشاء المستشفيات المعدة على أحدث طراز مادى وعلمي في ذلك الوقت لجذب الأهالي من جميع الطوائف اليها، ومن ثم نشر المبادىء النصرانية بينهم.

وكان الوضع الصحي في بلاد الشام - كما هو الحال في المناطق العربية والاسلامية الأخرى - سيئاً بعد مرحلة الانهيار العلمي الذي عم تلك المناطق، فعادت الأساليب التقليدية في معالجة المرضى، واختفت البيمارستانات (المستشفيات) المتخصصة، لتحل محلها أساليب التداوى العادية ، بعد أن كانت هذه المناطق تتميز بأنها مراكز للعلم. فكان الحلاق

---

١) سهيل زكار : بلاد الشام فى القرن التاسع عشر ، ص ٣٨٤-٣٨٥

في المجتمع الشامي والعربي بشكل عام هو الطبيب المعالج لكافة الحالات لا سيما الأمراض الجلدية، وأمراض الرأس وأوجاع الأسنان والأضراس، وكذلك هو الذي يقوم بختن الأطفال (١).

ولقد قامت الدولة العثمانية بإنشاء بعض الخستاخانات في المناطق والولايات العثمانية، فبالإضافة الى المستشفى العثماني الذي سبق أن أنشأته الحكومة في المحلة المعروفة بالثكنات بجوار بوابة يعقوب في بيروت ، قامت في أواسط القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بإنشاء الخستخانة الجديدة في بيروت مع القشلة العثمانية في المنطقة المعروفة اليوم سراى الحكومة القديمة ومركز العدلية السابق في داخل البلد. ولقد عرف من أطباء المستشفى الحكومي العثماني الدكتور« ابراهيم أفندي صافي» والدكتور «خيري بك».

وقد أرجع عبدالرحمن بك سامي الفضل في العناية الفائقة، وقلة المرضى المراجعين لمستشفى الحكومة الى رئيس مجلس البلدية لعنايته بالمستشفى، ومن الواضح أنه قد بالغ في وصفه واطرائه للمشرفين على إدارة المستشفى وذلك لمعرفته الشخصية بهم ، إذ ليس من الممكن التصديق بأن وجود مستشفى واحد في لبنان كان كافياً للخدمات الصحية للأهالي ، مع كثرة الأمراض التي تفشت خصوصاً بعد أحداث الفتنة بين الموارنة والدروز في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، ودليلنا على ذلك ما قامت به الارساليات الأجنبية بافتتاح الكثير من المستشفيات والملاجىء والمآوى للمجذومين، وكان يتقاطر الأهالي على المستشفيات الأجنبية بشكل كبير نظراً لعدم وجود الخدمات الصحية البديلة من قبل الحكومة العثمانية (وقد سبق بالتفصيل الكلام عن الخدمات الصحية للارساليات المختلفة في الفصل الثالث من هذا البحث). كما كان من النادر تأسيس مستشفى من قبل الأهالي، ولقد عرف أول مستشفى مجاني أنشئ في لبنان في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م وقام بالتبرع بالأموال اللازمة لبنائه أحد الأغنياء ويدعى « العمشيني المثرى جبور طوبيا الكلاب» حيث أوقف ثلث متروكاته للأعمال الخيرية. وكان يملك ثروة طائلة. ولقد جاء في نص الوثيقة التاريخية عن وصية طوبيا الكلاب ما يلي: «يبنى في عمشيت محل خستخانا الى المرضا (هكذا) ويتحملوا المرضا الفقراء، ويكون بها حكيم لأجل حكمة الفقرا (هكذا) الذين يكونوا في الخستخانا...». ولقد قام هذا الرجل بوضع نظام طبي ومالي وروحي لإدارة المستشفى وأورد كل ذلك في وصيته، وسمح

---

١) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى ، ص ١٠٣

لطبيبه «اذا أحد ادعاه (هكذا) في بلاد جبيل والبترون الى حكمه مرضا (هكذا)، ولم كان عنده مرضا في الخستخانا، يتوجه باذن الوكيل...» ولقد سمح مؤسس المستشفى للفقراء بالعلاج في مستشفاه دون مقابل، وهو يقبل المرضى في المستشفى من أي طائفة من الطوائف دون تمييز ومن أي مكان ولقد عمل على توظيف المزيد من الأطباء في المستشفى فيما بعد على نفقته الخاصة.

مما تقدم يتضح لنا قلة عدد المستشفيات الحكومية والأهلية في بلاد الشام بالنسبة الى تلك المستشفيات التابعة للارساليات التنصيرية المختلفة، ونحن نتساءل، هل من المعقول أن يكفي وجود مستشفى أو مستشفيان في المنطقة لعلاج جميع الأهالي ؟ وهل يكتفي بذلك الأهالي بحيث لا يذهبون الى مستشفيات الارساليات ؟ إنها فعلاً لا تكفي أبداً ولا بد أن نلتمس العذر للأهالي الذين يضطرون للذهاب الى المؤسسات التنصيرية الطبية ليتلقوا فيها العلاج، دون معرفة منهم بالدور الخطير للمنصرين العاملين في تلك المؤسسات والذين يمارسون التنصير بشكل سافر بين مرضاهم. وأنه حتى تاريخ بناء المستشفى الذي تبرع باقامته الكلاب لم يكن في لبنان مستشفى واحد يتوجه اليه الأهالي للعلاج. ولذلك فقد كان الأهالي مضطرين للذهاب الى المستشفيات الأجنبية للمنصرين الأجانب من أجل العلاج الذي هم في أمس الحاجة اليه وكانت مستشفيات المنصرين تستقبل الأهالي بكل ترحاب لكي تضع لهم السم الزعاف في كل قطرة دواء وعلاج تقدم اليهم مع ابتسامة رقيقة. ولقد انتشرت مستشفياتهم في كل مدينة وقرية في بلاد الشام وكان العلاج في معظمها يقدم بالمجان وهم يستغلون الحاجة الماسة لدى الأهالي للعلاج بسبب الأمراض الوبائية المنتشرة بينهم. ولقد كثرت الخدمات الصحية التي تقدمها البعثات التنصيرية الأمريكية البروتستانتية منها والبريطانية والفرنسية الكاثوليكية، بشكل كبير وملحوظ ولم يدع العاملون من الأطباء - والذين كان أكثرهم من المنصرين الذين حضروا لغرض التنصير الفعلي في بلاد الشام - في هذه المستشفيات فرصة العمل التنصيري بين السكان حيث كثر التنافس بين بعثاتهم المختلفة على حساب الأهالي الذين لم يجدوا البديل من سبل العلاج ، والذي كان من الأجدر أن تقدمه لهم الحكومة العثمانية(١).

ومن جهة أخرى ، قامت السلطات العثمانية فيما بعد بإقفال مدرسة طاليطا قومي التنصيرية في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م أمام الطالبات المسلمات ، كما أمرت المحكمة العثمانية في القدس جميع العائلات المسلمة بسحب

---

١) يوسف إبراهيم يزبك : أوراق لبنانية ، ص ٤٢

بناتها من المدرسة المذكورة واضطرت الى تهديدهم لتنفيذ ذلك ، وإزاء هذا الوضع كان لا بد إيجاد البديل لتلك المدارس التنصيرية ، فافتتحت الدولة أخيراً مدرسة للبنات في القدس في عام ١٣٠٢-١٣٠٣هـ/١٨٨٤-١٨٨٥م ومع ذلك فقد كانت المعلمة المسؤولة فيها من خريجات طاليطا قومي(١).

مما تقدم يتضح لنا دور الدولة العثمانية - عن طريق ولاتها في بلاد الشام - في التصدي الاسلامي لحركة التنصير ، وكيف أنها قامت ببعض الجهود في بعض المجالات، ولكنها قصرت في مجالات أخرى كثيرة ، مما أدى الى زيادة نشاط الارساليات التنصيرية الأجنبية في تلك المجالات جميعاً، مستغلة بذلك، ما تملكه الدول التي تقف وراءها، من أموال طائلة تحصل عليها من مستعمراتها في الخارج، الى جانب تقدمها الصناعي والعلمي، في مقابل الضعف الذي أخذ يدب في جسم الدولة العثمانية واقتصادها المتدهور، مما جعل من المستحيل عليها أن تُجاري الدول الأجنبية في إقامة مؤسسات متطورة على أحدث الوسائل العلمية، ولكن عندما رأى بعض الغيورين من أبناء الدولة ما وصلت إليه الحالة المتردية للمؤسسات التعليمية في بلاد الشام، قاموا بجهودهم الشخصية في العمل الدؤوب لتعويض أبناء البلاد ما افتقدوه في المدارس العثمانية، حتى يصرفوا أهاليهم وذويهم عن الذهاب الى مدارس الارساليات التنصيرية المنتشرة في طول البلاد وعرضها، وهذا ما سنبينه لاحقاً في دور العلماء والمصلحين والقوى الوطنية في حركة التصدي.

---

١) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ، ص ١٠٢

دور العلماء والمصلحين والقوى الوطنية في حركة التصدي:

يعود الفضل لله أولا في توسيع التعليم الوطني، ثم الى الجهود الحثيثة التي قام بها مدحت باشا والي سورية فيما بين عامي ١٢٩٦-١٢٩٨هـ/١٨٧٨-١٨٨٠م، عندما لاحظ عدم توفر المدارس التابعة للحكومة، عدا بعض المدارس الابتدائية المتخلفة عن مدارس البعثات التنصيرية الأجنبية ، مادياً وعلمياً. ففكر في تقديم اهتمامه بالمدارس على كل أعمال الإصلاح(١) وقام بتشكيل جمعية من العلماء والتي أخذت تجمع الإعانات من المحسنين. وقامت هذه الجمعية بإصلاح بعض المساجد وحولتها الى مدارس للأحداث، وكان أهالي الشام يميلون الى بث روح التعليم في نفوس أطفالهم. وقد تم في نفس الوقت تأسيس جمعية المقاصد الخيرية ، والتي انتشرت فروعها في جميع أنحاء الولاية (٢).

دور العلماء في حركة التصدي:

قامت مجموعة من العلماء والمصلحين والأدباء المسلمين المرموقين في بيروت بإنشاء الكلية العثمانية وتشرف عليها حكومة الدولة العثمانية وهي عبارة عن مدرسة صغيرة نهارية أنشئت في عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، برئاسة صاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهري، وكان يعلم فيها المبادىء والأصول الدينية الاسلامية، واللغة العربية والتركية والفرنسية مع أصول الحساب والجغرافيا ومسك الدفاتر. وهي من أوائل المدارس في بلاد الشام الخاصة بالمسلمين (٣).

وقد ظلت مدينة بيروت ، حتى مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، تفتقر الى المدارس الحكومية ، ولا توجد بها إلا كتاتيب، يتلقى فيها صغار الأولاد العلوم الابتدائية، وتلك لا ترقى مادياً ولا معنوياً الى مستوى المدارس الأجنبية المنتشرة في بيروت وفي البلاد كافة، وهذا كله جعل السلطات العثمانية تؤيد هذا الاتجاه الذي اعتقدت أنه قد يؤدي الى انسجام كافة الطوائف ، وأن هذا التطور يجرد القوى الأوروبية من ذريعة التدخل في الشؤون السورية. وبعد فترة لم يعد

---

١) مدحت باشا : مذكرات مدحت باشا، ص ٣٦

٢) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا ، ص ٣٦٣

٣) أنيس النصولى : أسباب النهضة العربية ، ص ١٠٤

المسلمون يجدون أي حرج في إرسال أبنائهم الى مدارس يديرها نصارى على مبادىء وطنية(١). بينما يؤكد طلال عتريسي، أن المسلمين امتنعوا عن إرسال أولادهم الى مدارس الإرساليات المختلفة في سوريا ولبنان لأنها تقوم بنشر الفكر النصراني والثقافة الأجنبية بين الأهالي، وتمهد للسيطرة الأجنبية، لذا لم يجد المسلمون سبيلا أمام هذا الواقع الصعب، سوى التوجه لبناء جمعياتهم ومدارسهم التي تصون دينهم، وتحفظ لغتهم من تهديد المدارس التنصيرية أمام اهمال الدولة العثمانية في هذا المجال(٢)

ويمكننا مما سبق تلخيص حالة المدارس الوطنية:

١- انتشار الكتاتيب الرسمية العثمانية والأهلية، وتشابهها في بساطة شكلها وأهدافها وطبيعة مضمونها الديني لدى الطوائف الاسلامية، والنصرانية، وذلك كسمة عامة مشتركة من سمات التعليم حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ القرن التاسع عشر الميلادي.
٢- كون المسلمين بصفة عامة، أكثر إلماماً بالقراءة والكتابة، بالنسبة للطوائف الأخرى في بلاد الشام، وذلك نظرا لارتباطهم الوثيق بالقرآن الكريم. وما يفرضه هذا الارتباط من معرفة بالقراءة والكتابة ، وكذلك لأن الدين الاسلامي يحث على العلم والتعليم(٣). .

اذن من الخطأ القول بأن المدارس المارونية في لبنان ، هي التي أدت الى تعميم العلم والمعرفة في البلاد... حيث كان الجهل سائداً في مناطق الجبل، حتى بين طبقة الأعيان من نصارى ودروز... وكان الالمام بالقراءة والكتابة ، أوسع إنتشاراً بين مسلمي بيروت وصيدا وطرابلس، وذلك بفضل الكتاتيب التي استمرت تعلم الصبية قراءة القرآن الكريم. ولقد وجد في كل من بيروت وصيدا وطرابلس علماء مسلمون يدرسون الفقه، وبقية العلوم الإسلامية، وخصوصاً في طرابلس (٤). وكان يقابل هذا الإلمام

---

١) فرتيز شتيبات : تغلغل المفاهيم السياسية الاجتماعية الزمنية فى القرن التاسع عشر ، إسهام فى دراسة الوعى السياسى فى بلاد الشام ، (المؤتمر الدولى الثانى لتاريخ بلاد الشام ، ٩٢٢-١٣٥٨هـ/١٥١٦-١٩٣٩ ، جامعة دمشق : محرم ١٤٠٠هـ/ كانون الأول ١٩٧٩م) ، ص ٦٠٩
٢) طلال عتريسى :البعثات اليسوعية ، ص ٥٥
٣) طلال عتريسى :المرجع السابق ، ص ٦٠
٤) كمال الصليبى : تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٦٥. وهذا يظهر لنا مدى اهتمام المسلمين بالتعليم، باعتراف هذا الكاتب النصرانى.

الواسع بالقراءة والكتابة العربية لدى المسلمين، جهلٌ سائد لدى النصارى، وهو نتيجة حتمية للعلاقات الجديدة الطارئة بين الموارنة وفرنسا، ونتيجة للدعم الفرنسي المتواصل، وفرض الحماية عليهم، فانتشرت المدارس الفرنسية الكاثوليكية بين الموارنة، وأصبحت الفرنسية لغة رئيسية فيها، بعد أن أصبحت البرامج في هذه المدراس، على أثر هذه المتغيرات، على غرار البرامج المعطاة في المدارس التنصيرية اليسوعية والفرنسية.

ويؤكد Villeneuve هذه الحقيقة بقوله: «إن برامج المدرسة هي نفس برامج اليسوعيين في بيروت والعازاريين في عينطورة، والفرنسية هي أساس التعليم حيث يجبر التلامذة على التحدث بها أثناء الفرصة. حتى مدير المدرسة أيضاً كان رجل دين فرنسي». كما أن المدارس العلمانية أو الوطنية النصرانية، كانت تدافع أيضاً عن قضية الثقافة الفرنسية بطريقة لا مثيل لها. ففي مدرسة الحكمة مثلا التي تأسست في بيروت في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، أصبحت الفرنسية لغة رئيسية فيها، بعد أن كانت تدرس العربية والانجليزية والتركية والسريانية والفرنسية (١).

حاول بعض العلماء المسلمين أن يشاركوا في التصدى لأعمال مدارس المنصرين المنتشرة في طول البلاد وعرضها، وذلك لدرء الأخطار التي تعرض لها المسلمون، إثر الهجمة الشرسة على الشام كلها والتي غزت بيروت، وبالتالي قرى جبل لبنان خصوصاً بعد حوادث ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م فضلا عن عدم اهتمام السلطنة العثمانية بتخلف المسلمين ثقافياً، في حين كثرت المدارس التي أنشأتها الطوائف النصرانية. فقام بعض الشبان من وجهاء المسلمين في مدينة بيروت، بتأسيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية، لمواجهة خطر ذهاب طلاب المسلمين الى مدارس الارساليات التنصيرية، وفي غرة شعبان من عام ١٢٩٥هـ/٣١يوليو (تموز) ١٨٧٨م، عقد أول اجتماع في دار أحد أعيان بيروت ويدعى عبد القادر القباني. حضر الاجتماع أربعة وعشرون من الشخصيات الإسلامية والأعيان المهتمين بأمور البلاد. وقد تم انتخاب عبد القادر القباني كأول رئيس لجمعية المقاصد، وبشير البربير أميناً للصندوق، ومصباح محرم كاتباً للأعمال(٢).

---

١) طلال عتريسي: البعثات اليسوعية، ص ٦١

٢) عصام محمد شبارو: تاريخ بيروت، ص ١٩٤، ويوسف يزبك، أوراق لبنانية، ص ٥٠-٥١

وسرعان ما قامت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بإنشاء مدارس للبنين والبنات، في بيروت وصيدا، وطرابلس(١). كما قامت بإنشاء ٨ مدارس في دمشق بلغ عدد تلاميذها نحو ١٢٠٠ تلميذ، وأنشأت مدرسة للبنات استوعبت ١٥٠ تلميذة، وكان يتم الانفاق على هذه المدارس من تبرعات المحسنين(٢).

ويعتبر توجه الجمعية نحو تعليم الفتاة المسلمة ثورة ثقافية في حد ذاته، رغم أن هذه الفكرة لاقت اعتراضاً في أول الأمر. وأسست أول مدرسة للبنات «عجلة البسطا التحتا»، وعينت حليمة رضوان مديرة للمدرسة، وفاطمة عمار الناظرة، وكانت السيدة أم علي سلام بنت الشيخ محمد البربير إحدى تلميذاتها . وبعد ذلك افتتحت الجمعية مدارس عدة في كافة الأحياء البيروتية ليتسنى لأكبر عدد من الفتيات تلقي العلم، ومنها مدرسة البنات الثانية في سوق المنجدين، قرب زاوية المجذوب ، ملك البربير وكانت تديرها الآنسة هاجر المسير. وكان يشترط على من يود إدخال ابنته الى المدرسة، أن يوقع تعهداً بتعليمها أربع سنوات على الأقل حتى يتسنى للفتاة التزود بأكبر قسط من العلم، ومن تلميذات هذه المدرسة، خديجه خضر محمصاني زوجة محمد فروخ، ونظيرة محاسبجي والدة رياض الصلح(٣).

وكانت الخطوة التالية لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية لا تقل أهمية عن سابقتها، فقد لاحظ وجهاء المسلمين أنه لم يكن في بيروت سوى طبيب واحد هو الدكتور« أديب قدورة» الذي كان أول طبيب مسلم، ولقد تخرج عام ١٢٩٣-١٢٩٩هـ/ ١٨٧٦-١٨٨١م من الكلية السورية الانجيلية وهي تابعة للبعثة الانجيلية الأمريكية، وكان معظم ممارسي مهنة الطب من المسلمين، هم من الحلاقين والحجامين، مما حدا بالشيخ عبد القادر القباني رئيس جمعية المقاصد الخيرية الى حث المسلمين على التعليم، والاستفادة من العلم والعلوم الحديثة، وأكد على ضرورة التقدم وترك أساليب التعليم القديمة والاقتداء بما هو سائد في الكليات والمعاهد الأجنبية.

وبالفعل فقد قرر أعضاء الجمعية في جلسة ٢٢ شوال ١٢٩٦هـ/٨ تشرين أول (أكتوبر) ١٨٧٩م برئاسة حسن بك محرم رئيس الجمعية الجديد، تقديم تقرير للحكومة العثمانية يطلب فيه أن تقوم الولاية (ولاية بيروت) بمخابرة

---

١) عصام محمد شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٥
٢) عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سورية ، ص ٢١٤
٣) عصام محمد شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٥

الحكومة المصرية، بقبول خمسة تلاميذ، ترسلهم الجمعية لمدرسة الطب، والطلاب هم : كامل قريطم، عبدالرحمن الأنسي، سليم سعد الدين سلام، حسن الأسير، محمد سلطاني، فتقرر إرسالهم على نفقة جمعية المقاصد الخيرية(١) وصرف خمسة وعشرين ريالا مجيدياً من الصندوق على الحساب الى اللجنة المكلفة بتسفير التلامذة الى مصر، وفي جلسة الجمعة ٢٦ محرم ١٢٩٧هـ/٩ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٠م جاء في محضر الجلسات ما يلي : «نقدم الشكر الى الله سبحانه وتعالى الذي وفق هذه الجمعية لإرسال التلامذة الخمسة المتقدم ذكرهم سابقاً الى مدرسة الطب في مصر، وذلك في يوم السبت الواقع في ٢٢ محرم ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م في قمرة الوابور الفرنساوي عن طريق الاسكندرية مصحوبين مع أحد ذوات البوليس، حسن أفندي المأمور المخصوص من طرف الحكومة السنية بإيصالهم الى حكومة الاسكندرية، التي ترسلهم لمصر للمدرسة المذكورة. كما أننا نقدم الثناء لدولة والينا الأفخم، ولسعادة متصرفنا الأكرم، وللحكومة المصرية ولكل من ساعدنا بهذا المشروع الخيري» (٢). ولقد اعتبر هؤلاء الطلاب الخمسة بمثابة أوائل الأطباء المسلمين في بيروت. وقد تحولت جمعية المقاصد الخيرية الى أغنى وأنشط مؤسسة من نوعها في بيروت بصفة خاصة ولبنان بصفة عامة ، مع أنها بدأت بصندوق مالي عاجز، وكان أعضاء الجمعية يدفعون مرتباً شهرياً للصندوق، بينما أخذت المساعدات تتواصل من الأهالي. وكان في بيروت أوقاف للبر والخير فقرر وجوه الأهالي تسليمها للجمعية بمصادقة الحكومة السنية، وتعتبر السيدة عائشة بنت الحاج مصطفى آغا القباني، وهي أخت عبد القادر القباني، أول من قدمت من أملاكها وقفاً للجمعية (٣).

واستمرت جمعية المقاصد الخيرية تقوم بعملها خير قيام، وقد حاول مدحت باشا والي سورية جهده لمساعدة الجمعية الى أن تم عزله، بسبب وشاية من حاسديه بأنه يفكر في الاستقلال بولاية سورية بواسطة جمعية المقاصد الخيرية(٤) فعينت الحكومة العثمانية مكانه حمدى باشا، الذي أمر بحل الجمعية وإلحاقها بالمعارف، وسماها «شعبة المعارف الأهلية» وعين عبد الله جمال الدين أفندي رئيساً لها. ثم تبدلت حال شعبة المعارف، وأخذت

---

١) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى ، ص ١٠٦- ١٠٧. وعصام شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٥
٢) حسان حلاق : بيروت المحروسة فى العهد العثمانى ، ص ١٠٨-١٠٩
٣) عصام شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٥-١٩٦
٤) مدحت باشا : مذكرات مدحت باشا ، ص ٣٧ - ٣٨

الجمعية بالاضمحلال، وكسدت مدارسها، وطالب أهل بيروت فيما بعد بإعادة جمعية المقاصد ولم يتحقق هذا الطلب الا في عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

وعلى غرار جمعية المقاصد، تم تأسيس جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في مدينة صيدا يوم ٢٦ ربيع الثاني من عام ١٢٩٦هـ/١٠ ابريل (نيسان) من عام ١٨٧٩م برئاسة محمد فريد خورشيد(١).

ولقد انتشرت المدارس الوطنية الاسلامية في بيروت أيضاً، وكان هذا في بداية القرن الرابع عشر الهجري الموافق نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، ففي عام ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م أنشأ والي سوريا حمدي باشا، المدرسة الاعدادية السلطانية للبنات، في المنطقة التي عرفت بالباشوراء. وفي عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م وجدت عدة مدارس تابعة للدولة العثمانية وتخص المسلمين، مثل المدرسة العسكرية ويبلغ عدد طلابها ١٢٠ طالباً، فضلا عن ١٢ مدرسة قديمة، و ٤ مدارس للذكور، و٤ مدارس ابتدائية للاناث.

مما سبق يتضح لنا أن دور المصلحين والعلماء جاء متأخراً في نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ، وفي فترة كانت البلاد تحت حكم ضعيف متداع، تسيطر عليه الدول الاستعمارية بعد أن وطدت مواقعها وبدأت تُحكم قبضتها على الأمة، لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، وبعد أنَ كرست جهودها لتصل بالبلاد الى هذا الحال، وتمثلت تلك الجهود في تشجيع الإرساليات التنصيرية ومعاونتها في تحقيق أهدافها، بالضغط السياسي تارة، وبالحرب العسكرية تارة ، وبإشعال الفتن وتشجيع استقلال الولاة عن الدولة العثمانية تارة أخرى.

---

١) عصام شبارو : تاريخ بيروت ، ص ١٩٦

الفَصْلُ الخَامِسُ

آثار وجود الإرساليّات الأجنبيّة في بلاد الشّام

آثـــار وجـــود الإرســـاليات الأجنبية في بـــلاد الشـــام

إذا كان هذا البحث قد غطى معظم المجالات التي قامت بها الارساليات الأجنبية، وعبّر بكل وضوح عن طريق الاحصائيات والحقائق التاريخية الثابتة عن مدى تغلغل الفكر التنصيري والاستشراقي في بلاد الشام، يصبح من السهل علينا استنتاج مجموعة من الآثار السلبية لتلك الارساليات في البلاد الشامية حيث أوضحنا الدوافع والأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية لهذه الارساليات، وبينا وسائلها لتحقيق أهدافها المشتركة ضد الاسلام والمسلمين سواء في بلاد الشام، أو في غيرها من بلاد المسلمين. وقمنا باستعراض المناطق التي نشرت فيها الارساليات المختلفة في بلاد الشام. وبعد هذه الدراسة المستفيضة لعمل جميع البعثات أو الارساليات الأجنبية وتنقيحها، أصبح بديهياً أن نتتبع آثارها وما تركته من بصمات على سكان المنطقة من المسلمين خاصة، وأثرها على النصارى، فبرزت آثار واضحة تمثلت في عدة نواح أهمها: الآثار الدينية ثم السياسية، والاجتماعية. وتعتبر الآثار الدينية مَن أهمها جميعاً وأكبرها خسارة على البلاد والعباد، إذ لو بقي الدين سليماً والعقيدة راسخة، لما وصلت أهداف المنصرين الى ما وصلت اليه ولما حققت آثاراً أخرى أبداً، لأنه اذا هان الدين في النفس هان كل شيء بعد ذلك، ومن لا يخشى الله، لا يخشاه الناس.

وتمثلت الآثار الدينية في نشر الدين النصراني من خلال المدارس التي شملت رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، حتى وصلوا إلى المراحل الجامعية مع التركيز الشديد على تعليم المرأة. و كان ذلك يتم من خلال نشاط القساوسة النصارى الأجانب منهم أو الوطنيين، الذين كانوا يقومون بجولات متكررة لبعض المناطق، وحتى الأطباء منهم كانوا من القساوسة حيث يقومون بجولات تنصيرية في المنازل، وتمثل نشاط المنصرين في نشر الكثير من المؤلفات التنصيرية مع وجود ترجمة عربية للإنجيل، يقومون بنشرها وتوزيعها بين فئات الشعب المختلفة وبأرخص الأسعار، وتوزع في أحيان كثيرة مجاناً. مع الحرص على إلقاء المحاضرات والندوات، واللقاءات خصوصاً عندما يجد المنصر أي فرصة سانحة، مع وجود عدد من المسلمين فيقوم بإلقاء ما يسمى بالوعظ الديني النصراني في محاولة لتحويل المسلمين عن دينهم، وكان التركيز على إلقاء الدروس النصرانية في جميع المؤسسات التابعة للإرساليات الأجنبية سواء البروتستانتية أو الكاثوليكية. ومما سهل على تعميق هذه التأثيرات، وجود

التربة المناسبة في بعض المناطق حيث وجد في بلاد الشام، أقليات نصرانية عاشت على مر العصور ولكنها أصبحت فيما بعد «المراكز» التي انطلقت منها هذه الحركات التنصيرية ضد البلاد الاسلامية بشكل عام.

ولكن البعثات التنصيرية الوافدة واجهت مصاعب شديدة من قبل الحكومة العثمانية والأهالي في بلاد الشام، وذلك نتيجة عملها السافر، بينما أحرزت تقدماً ضئيلا مع الطوائف التي تسمي نفسها إسلامية مثل الدروز وأقاموا معهم بعض الوقت ولكنهم لم يتمكنوا من تنصيرهم. وقد أدى تعدد الطوائف النصرانية الوافدة إلى تعدد الهيئات الكنسية التي أصبحت فيما بعد تنظر إلى القادمين الجدد باعتبارهم أعداء.

ومهما كان الأمر فإن التقارب بين البعثات التنصيرية والمسلمين كان أكثر من مستحيل. ولكن الطوائف النصرانية كانت في حاجة إلى رعاية روحية كنسية. ولكي يتم إقامة روابط مع هؤلاء النصارى، استغل المنصرون الوافدون وضعهم، فرأوا أن أمثل الطرق لجذبهم هو استخدام الوسائل الثقافية وإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرها وذلك نظراً لحاجة البلاد لتلك المؤسسات المتطورة في ذلك الوقت(١).

وكان أثر تلك المدارس والمعاهد العلمية والصحية كبيراً جداً في اجتذاب الأتباع من قبل الكنيسة البروتستانتية القادمة من أمريكا وبريطانيا، ولقد تغيرت النظرة تجاه الفكر الوافد، ومؤسسات هؤلاء الأجانب ونشاطهم على أنه سبب من أسباب النهضة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادى، وتمثلت تلك النظرة الظالمة فيمن تعلم ضمن المؤسسات والمعاهد العلمية التنصيرية، فكانوا سفراء مخلصين للحضارة المادية الغربية.

ومن الآثار التي اتضحت في بلاد الشام، نتيجة قدوم المنصرين الوافدين على البلاد، وبسبب محاولة الكنائس الغربية الوافدة كسب الأتباع على حساب الكنائس المحلية، أن هذه الكنائس الوافدة وجدت معارضة كنسية شديدة ومريرة، وبعد مرور عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م كان هناك تحول كبير نحو النصرانية البروتستانتية من قبل دروز لبنان، الا أن المنصرين اكتشفوا أن السبب وراء ذلك ، كان محاولة من هؤلاء الدروز للهروب من

(١ J. T. Addison : The Christian Approach to the Moslem,P. 115.

الخدمة العسكرية التي فرضتها حكومة محمد علي أثناء وجودها في بلاد الشام، على كل المسلمين ومع أن طلبات الدروز للتنصير كانت تتراكم على مكتب البعثة التنصيرية، الا أن المنصرين كانوا يرفضون قبول الطلبات إلا بعد إجراء اختبارات مضنية، وبعد مرور فترة من الوقت انطفأت هذه الموجة تاركة وراءها حفنة من المتنصرين ، وهؤلاء كما رأينا تنصروا لأغراض شخصية وقتية.

ومن الجدير بالذكر أن البعثة البروتستانتية لم تكن مهيأة للتعامل مع الحركات الجماهيرية، ولذلك فقدت فرصة نادرة لتنصير هؤلاء الدروز أو ما يطلق عليهم أنصاف المسلمين المهرطقين. وبعد مرور عشر سنوات أخرى واجهت البعثة التنصيرية البروتستانتية حدثاً جماهيرياً جديداً، فقد انشق سكان مدينة حاصبيا التي تقع على بعد خمسين ميلا من بيروت، وهم من الكنيسة الأرثوذكسية الاغريقية، وأعلن مائة من الرجال والنساء في هذه المدينة، بأنهم قد انضموا الى الطائفة البروتستانتية وطلبوا من البعثة إمدادهم بالقساوسة والمعلمين. ولتلبية هذه المطالب قام العاملون لدى البعثة ببذل جهود مضنية، لقلة عدد العاملين بالنسبة للمتنصرين بشكل مفاجيء الا أن الاضطهاد الذي عانى منه أولئك الذين تحولوا إلى البروتستانتية، أوقف العمل في هذا الاتجاه، واحتاج الأمر إلى أن تم إنشاء كنيسة يترأسها أسقف سورى تضم بقايا المنشقين المخلصين.

وعند ذلك، اعترفت الحكومة العثمانية بطائفة البروتستانت بوصفها طائفة دينية مميزة. وجاء رد الفعل الفوري بتأسيس الكنيسة البروتستانتية المحلية في بيروت عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م. واذا وضعنا في حساباتنا أن البعثة كانت تعمل لمدة خمس وعشرين سنة، فان هذه الكنيسة التي كان بها سبعة وعشرون من الأتباع تعتبر إنجازاً ضئيلا. وكان عشرة من هؤلاء قد تحولوا الى البروتستانتية بعد أن انشقوا عن الكنيسة الأرثوذكسية الاغريقية وثلاثة من الدروز والبقية من أربعة طوائف أخرى(١) وفي غضون السنوات السبع التي تلت ذلك تم تأسيس كنائس مماثلة في حاصبيا وعبية وحلب وصيدا. وبحلول عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م أصبح هناك ١٦ مركزاً للوعظ النصراني البروتستانتي في أماكن مختلفة من سوريا بما في ذلك طرابلس إضافة إلى الكنائس الأربعة الأخرى.

وقد أجازت الحكومة العثمانية العقيدة البروتستانتية، وأصبح غضب

---

١) J. T. Addison: The Christian Approach to the Moslem, P.117-118.

ولعنات البطاركة يقل تدريجياً، وأصبح المنصرون موقرين ويلاقون ترحيباً وتكريماً في تلك الأماكن التي كانت تهددهم وتلعنهم من قبل. وأصبح رجال البعثة التنصيرية يلتقون مع رجال الدين الشرقيين، فيما عدا الكنائس الاغريقية والرومية، التي لم تعلن عداءها للمنصرين، وكانت تعتبرهم مهرطقين وسعت دائماً بكل ما تملك من قوة لإطفاء جذوة هذه العقيدة الوافدة على بلاد الشام. حيث لاقت بعثة البروتستانت في كل مدينة وقرية دخلتها تنافساً حاداً بينها وبين العقائد المحلية التقليدية وكان لا يتم التحول إلى البروتستانتية الا بعد جهد جهيد. (١)

وساهمت الحالة التي مرت بها المنطقة، في قيام بعض المؤسسات بتمويل من الهبات والإعانات المقدمة من الدول والمؤسسات النصرانية، وخاصة في أوروبا وأمريكا مما ساعد في تنشيط حركة بناء المدارس والكنائس والأديرة، أو إلحاق بعض المدارس بالأديرة والكنائس. كذلك وجدت المطابع الخاصة لنشر الكتب الدينية وتوزيعها على المدارس. ومما يؤسف له أن حركة الغزو الفكري كانت في ذلك القرن قد سيطرت على اتجاهات وتحركات الدولة العثمانية، وظهرت هذه الحركات في عمليات التنظيمات الجديدة سواء في الادارة أو في الجيش. وقد ساعد في إنجاح حركة الغزو الفكري والعقائدي للبلاد، خلخلة الأمور السياسية في الولايات العثمانية، فولاية عكا، وحلب، ودمشق، كل منها سخرت جيوش الدولة في كثير من الأحيان لمحاربة بعضها البعض. فنشاهد والي الشام في صراع مستمر مع والي حلب وحماة والأخير يتحرك لمحاربة والي عكا، مع أنها جميعها جيوش إسلامية عثمانية، وكان المفروض عليها أن توجه طاقاتها لمحاربة العدو بدلا من محاربة بعضها البعض، لأن، ذلك إضعاف لجبهتها الداخلية، ولقد تم تفصيل ذلك في دراستنا لحالة بلاد الشام قبيل وخلال القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي.

ومما ساعد المؤسسات التعليمية النصرانية أن يكون لها تأثير سلبي على المسلمين الذين اضطروا لتعليم أبنائهم فيها، لأن التعليم في بلاد الشام كان يواجه تقصيراً واضحاً من قبل الدولة العثمانية، وكانت بلاد الشام مع الأسف الشديد معزولة عزلة تامة عما يجرى في مصر أو اسطنبول من إصلاحات في النواحي التعليمية، وكانت التوجيهات لإصلاح التعليم ورقيه ودفعه للأمام تسير حسب الأنظمة التقليدية، ونرى أن محمد علي عندما استطاع ضم الشام إلى مصر عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م لم يعط بلاد الشام نفس

---

١) J. T. Addison : The Christian Approach to the Moslem,P.119.

المستوى من الاهتمام في التعليم كما حدث في مصر، وعندما عادت الشام إلى حوزة الدولة العثمانية في عام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م حاولت إصدار نظام للتعليم عممته في ولاياتها، ولكن هذا النظام ولد ميتاً، حيث أنه اعتمد اللغة التركية في تدريس المناهج والمقررات الدراسية في المراحل التعليمية المختلفة في أرجاء الدولة العثمانية. مما أثار ثورة عارمة من السخط في كثير من البلاد العربية ضد هذا الاتجاه. ولقد تطور ذلك إلى الاحساس بالغبن الاجتماعي وخدش الكرامة الوطنية، وإلى عداء للسلطة ، التي قصرت عن أداء وظائفها الضرورية والملحة مثل الخدمات التعليمية والصحية فكان للنشاط الأجنبي القادم الأثر الكبير في البلاد(١).

الآثار الدينية للإرساليات الأجنبية في بلاد الشام:

نجمت آثار سلبية على السكان المسلمين فى بلاد الشام من جراء الارساليات الاجنبية ، و تراوحت الاثار حسب قوة العقيدة الاسلامية أو ضعفها في النفوس، لأنها الأساس المتين القوى لهذا الدين الاسلامي الحنيف، وإيمانهم الراسخ بوحدانية الله تعالى والذي يتمثل بقوله سبحانه وتعالى «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير، أم من أسسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين.»(٢).

والدين الاسلامي هو خاتم الأديان، أرسل الله به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها، قال الله تعالى آمراً جميع الناس بالايمان برسالة الاسلام التي جاء بها الرسـول: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً» (٣) وأن شريعة الله سبحانه وتعالى كل لا يتجرأ، وأن تجزئة شريعة الله قد تكون فتنة، تماماً كمنعها كلها.. بل ربما أشد. ومن هنا كانت أهمية محاولة الاحاطة بجوانب الشريعة (٤) حتى لا يستطيع العدو التنصيري والاستشراقي الدخول لهذه العقيدة بالتشويه، إلا إذا كان المسلم عارفاً بجزئياتها، ملما بكل ما يؤهله

---

١) أحمد برقاوى : عصر النهضة العربية ونشأة الفكر القومى وتطوره ، بلاد الشام ، (مركز الملك فيصل والبحوث والدراسات الإسلامية ، العدد ٣٣-٣٤ أيلول / كانون الأول ١٩٨٩م ، رقم الوثيقة ١٩٤٣ه) ، ص ١٣

٢) سورة التوبة ، آية ١٠٩

٣) سورة الأعراف ، ١٥٨

٤) على جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، ص ٢١٦

للدفاع عنها عن علم واقتناع، ولأن المنصرين الأجانب جاءوا ليحققوا أهدافاً دينية وغير دينية في المنطقة العربية والاسلامية، وبلاد الشام خاصة، فعملوا أولا على زعزعة هذه العقيدة في قلوب المسلمين، وأدخلوا الشك في نفوسهم بالدين الاسلامي، مع أن النصارى مأمورون كغيرهم بالايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى عليه السلام: قال تعالى:« واذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» (١).

وتدل الوقائع الكثيرة على أن الارساليات الصليبية النصرانية إلى الشام لم تنجح في تحويل المسلمين عن دينهم بالشكل المؤمل به، ولكن هناك حالات نادرة جداً، تم تحويل بعض الأفراد فيها إلى النصرانية حيث كان لها ظروفها وأسبابها الاجتماعية الخاصة. بينما انتقلت أصداء التنصير بسرعة بين السكان المسلمين، ووصلت إلى مسامع السلطة العثمانية وفي بعض الأحيان اتسم الرد العفوي للمسلمين بالعنف تجاه كل عمل نصراني مفضوح ، وعلى إثر تنصير أحد الشبان المسلمين في المستشفى الألماني في فلسطين في عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م هاجم السكان المسلمون القنصلية البروسية في القدس، وألحقوا بها الأضرار كما قتل والد الشاب المنصر أما الشاب المرتد نفسه فقد فر من المدينة بمساعدة المطران غوبات. كذلك تذكر تقارير جمعية الكيزر زفرت أن سيدة مسلمة عولجت في المستشفى إرتدت الى النصرانية وعملت على تنصير ابنتها التلميذة في مدرسة طاليطا قومي، وعندما علمت السلطات العثمانية بالأمر، قامت الشماسات بتهريب الأم وابنتهاإلى مصر بأسماء مستعارة (٢).

ولكن الحقيقة المرة أنه تمخض عن وجود البعثات التنصيرية في بلاد الشام وغيرها من بلاد المسلمين أشياء خطيرة منها الانحلال العقدي الديني وتبعه انحلال في الفكر والأخلاق الذي تمثل في الخروج عن عقيدة الاسلام، وهذا ماسعت إليه النصرانية وعملت جهدها من أجل تحقيقه، حيث عملت على إبعاد المسلم عن دينه(٣). فابتدأ بعض من تسموا باسم المسلمين - بينما هم عار على الاسلام كله - في اعتناق المذاهب الواردة

---

١) سورة الصف ، آية ٦
٢) عبد الرؤوف سنو : المصالح الألمانية فى سوريا وفلسطين ، ص ١٠١
٣) خالد محمد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر ، ص ١٨٥

إلى بلاد المسلمين، ثم لجأوا إلى غير الله، وهم في شرك واضح، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً. وبهذا خرجوا عن الاسلام ولم يدخلوا في النصرانية فكانوا عالة على المسلمين وسبباً في الكوارث التي حلت بعد ذلك على البلاد والعباد أهمها بعد الشباب المسلم عن عقيدته وأخلاقه الإسلامية وعادات وتقاليد المسلمين، وذلك بعد أن بعدوا عن جوهر الاسلام وحقيقته فكانوا سبباً في تأخير الأمة الاسلامية في عصرها الحاضر ولجوئها للغرب في كل حاجاتها الضرورية.

قال زويمر المنصر الأمريكي الخطر في عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م: «لقد جربت الدعوة إلى النصرانية في أنحاء الوطن الاسلامي، وأن تجاربي تخولني أن أعلن بينكم على رؤوس الأشهاد: إن الطريقة التي سرنا عليها الى الآن لا توصلنا الى الغاية التي ننشدها فقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً، وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة وألفنا ما استطعنا أن نؤلف ، وخطبنا ما شاء الله لنا أن نخطب.... فلتكن عندنا الشجاعة الكافية، لإعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست ، فيجب أن نهدم الاسلام من نفوسهم، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا، أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم أو في نفوس من يتربون على أيديهم. لأن هدم الاسلام في وجدان المسلم معناه هدم الدين على العموم وهي خطة مخالفة لما ندعو اليه. لأنها خطة إلحاد وإنكار للأديان جميعاً، ولكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذا السبيل»(١).

وهكذا نرى عبر تصريح زعيم من زعماء المنصرين، والذي يقع تحت يده الكثير من الاحصائيات، أن تحويل المسلم عن دينه إلى النصرانية أمر بالغ الصعوبة، وأن الذين تنصروا فعلا من المسلمين لا يساوون شيئاً، وليست لهم القيمة المعنوية بالمقارنة مع غيرهم، وعندما تيقن المنصرون أن نقل المسلم إلى النصرانية يعتبر ضرباً من المستحيل، لجأوا إلى هدم الاسلام في نفوس أصحابه، وكان لا بد لهذه المحاولات المستميتة أن تترك آثاراً عميقة على السكان المسلمين، سواء عن طريق فتح المدارس والجامعات والمستشفيات وإنشاء الجمعيات ، ودعم المطابع النصرانية، وعقد الندوات والاجتماعات، بدعم من المرسلين الأجانب الذين كانت لهم الكلمة المسموعة لدى الدولة العثمانية، لما يتمتعون به من امتيازات حصلت عليها دولهم من قبل ، واستغلتها هذه الدول أسوأ استغلال عندما بدأ الضعف والانحلال يدب في جسم الدولة العثمانية، بسبب التدخلات الأجنبية تحت ظل أسباب

---

١) خالد محمد نعيم : الجذور التاريخية لإرساليات التنصير ... ، ص ١٨٥

واهية اختلقتها هذه الدول لبسط نفوذها على المنطقــة.

وتمثلت هذه الآثار في الخروج عن عقائد الاسلام، والاعتقاد في غير الله تعالى، من أشخاص أحياء أو أموات، إلى التمسح بالقبور أو الأضرحة والطواف حولها. تمثل كذلك إلى الاعجاب بفكر غربي مناقض لقيم الاسلام الفكرية أو خارج عليها، والايمان بوجود الحرية المطلقة للرجال والنساء، ولو انقلبوا إلى مستوى الحيوانات أو شراً منها، وهذا منتهى الانحلال الخلقي، والذي جعل هم الشباب الحصول على اللذة المحرمة والحصول على وسائلها المختلفة التي تشعل نار الغريزة والتي تفسد عن طريقها الأمم (١).

ولكن انتشار المرسلين الأجانب في داخل بلاد الشام، مع وجود عدد كبير من النساء الكاسيات العاريات اللواتي يستعرضن عريهن على مرأى ومسمع من الشباب، إلى جانب الفئات القليلة التي تقيم في هذه البلاد من النصارى، ووجود التعليم المختلط، والمواصلات المختلطة، ووجود الخمارات داخل الأسواق، والتي يرتادها بعض ضعفاء النفوس من المسلمين صغاراً وكباراً، جعل أنظار المسلمين تعتاد هذه المناظر، وسهل على المرأة أن تترك حجابها بالتدريج وخصوصاً لأنها اختلطت بالمرسلات الأجنبيات اللواتي كن يزرنها في بيتها بشكل منتظم ويتم إقناعها أن وجودها في البيت يعد ضرباً من التأخر، فخرجت إلى الشارع، واختلطت بشياطين الانس، وفقدت بذلك قدسية احتشامها وتمسكها بتعاليم دينها الاسلامي الحنيف، مما أرهق الأسرة والمجتمع أشد الأرهاق وأدى الى التدهور والانحطاط، وتفككت بذلك عرى العلاقات الأسرية المسلمة والتي كانت موضعاً لحسد الغرب والشرق على السواء فظهرت حالات الطلاق، وسار تيار الفساد سريعاً حتى كاد يجرف من يعترض طريقه، وخف صوت الدعاة وسط ضجيج الفساد (٢).

وهكذا كان كل شيء يسير حسب مخطط استعماري تنصيري صهيوني مدبر من قبل، لهدم الدين أو زعزعته في النفوس ليسهل بعد ذلك بذل كل شيء في سبيل الملذات الزائلة . ومن الأمثلة الكثيرة التي صنعها المنصرون

---

١) على جريشة : التخطيط للدعوة الإسلامية ، (مجلة دعوة الحق ، سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربى ، العدد ٧ ، س الأولى شوال ١٤٠١هـ ، ص ٧٧-٧٨

٢) على جريشة : المرجع السابق ، ص ٨١

أن وجد مثلا في لبنان شباب جامعيون ورجال أعمال درسوا في مدارس التنصير والارساليات الأجنبية، وتزوج الكثير منهم من غير المسلمات لا يعرف الواحد منهم قراءة الفاتحة أو شيئاً عن الاسلام، وكل ما تعلمه سموم واحقاد وافتراءات مبثوثة بلغة أجنبية في كتب المستشرقين. وعندما أحس هؤلاء بهذا النقص الرهيب، ثابوا إلى رشدهم وعزموا على تجديد إسلامهم ودراسة تعاليمه التي تسعدهم في دنياهم وآخرتهم، وبدلوا مدارس أبنائهم ووجهوهم إلى المدارس الاسلامية(١).

ولكن الكثير من المسلمين فتنوا بمظاهر العناية التعليمية والتربوية التي تقدمها المدارس الأجنبية والتنصيرية للتلاميذ الذين يتعلمون ويتربون فيها، وفتنوا بما فيها من تعليم جيد باللغات الأجنبية، فصار بعض أثرياء المسلمين يتسابقون إلى دفع أبنائهم وبناتهم إليها ويبذلون لأصحابها الأجور الشهرية أو السنوية الكبيرة، ثمن قبول أبنائهم تلاميذ فيها، وهم يمثلون الصفوة في المجتمع، ويصلون - بسبب وضعهم الاجتماعي المتميز - إلى أرقى الدرجات العلمية، حيث سيصبحون القادة المعول عليهم في المستقبل، فيحاولون إخراجهم من الاسلام ، فيكونوا بذلك أخلص للاستعمار من عملائه الأساسيين(٢).

وكانت وسائل الأعداء لا تنفذ أبداً، في مواجهة الدين الاسلامي والتخطيط المتواصل للقضاء عليه، فتمخض فيما بعد عن فكرة القومية، التي جعلوها في مواجهة الرابطة الدينية الاسلامية، حتى لا يجتمع المسلمون أبداً تحت راية عقيدتهم مرة أخرى. وكانت فئة كبيرة من النصارى العرب، هي التي تحملت عبء هذه المسألة ووزرها، ومن ورائها التحالف الماسوني الصليبي الصهيوني المشترك وراءها. ومن يقرأ مؤلفات هؤلاء، ويتابع مخططاتهم، يلاحظ التركيز المتعمد للقضاء على قوة العقيدة الاسلامية لكونها أمتن الروابط، والحرص على محو فريضة الجهاد في سبيل الله من أذهان الشباب والناشئة.. ومن مناهج التعليم والثقافة، فاذا عجزوا عن ذلك ، فلا أقل من أن يقتلوا فيه روح هذا الدين وطموحه(٣).

---

١) محمد حمد خضر : الصليبية والإستشراق ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، رقم الوثيقة ١٨٩٢٢ ، العدد ١٣ بتاريخ ، رجب ١٣٩٧هـ/يونيو ١٩٧٧م) ص ١٦

٢) عبدالرحمن حنبكة الميدانى : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص ٦٨

٣) عبدالودود شلبى : أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، ص ١٢٦-١٢٧

وفي العصر الحديث، فقد ابتليت الدول الإسلامية بفكرة القومية العربية، والتي وجدت لها أرضاً خصبة في بلاد الشام، حيث طوائف مختلفة من النصارى الذين رحبوا بتلك الفكرة وعملوا على إحيائها، ويرجع بعض المؤرخين ظهور هذه الحركة، إلى الفترة التي سيطرت فيها قوات محمد علي على بلاد الشام في عام (١٢٤٨-١٢٥٦هـ/١٨٣٣-١٨٤٠م) حيث سمح للعديد من الارساليات النصرانية الفرنسية والأمريكية بالدخول بشكل واسع الى البلاد، كما سمح ببناء العديد من الأديرة والكنائس والمدارس للارساليات في شتى أنحاء البلاد، كما امتلكت تلك الارساليات المطابع وانحصرت في أيدي النصارى من أهل بلاد الشام، وقامت بطبع الكتب وتوزيعها في أنحاء البلاد، وكانت تلك المؤلفات والنشرات وغيرها، تدعو إلى إحياء التراث العربي السابق للإسلام، ولم يكونوا مخلصين في اتجاههم لإحياء الأمجاد العربية بقدر ما كان هدفهم الأساسي -المرتبط بأهداف المحافل الماسونية والاستعمار الغربي - تمزيق دولة الخلافة الإسلامية ، واستبدال حكم العثمانيين المسلمين بحكم دولة أوروبية نصرانية، أو وضع حكام تحت سيطرتها، وينفذون قراراتها، وهكذا أمسى النظام الدراسي في عهد إبراهيم باشا في بلاد الشام ، يرمي عامداً إلى إيقاظ القومية العربية بين التلاميذ (١) والتي جرت في اتجاه معاكس لأرفع المثل الاسلامية ، والتي تجعل رابطة العقيدة فوق كل رابطة سواها(٢).

ومن أبرز الآثار التي تركها حكم محمد علي في بلاد الشام عندما فتح الباب واسعاً للجمعيات التنصيرية، كان التواجد الفرنسي والأمريكي في المنطقة ، حقيقة كان هناك منصرون في بلاد الشام منذ وقت مبكر، إلا أن نشاطهم اعتبر محدوداً، حيث عانوا من الاضطهاد الفكري والصعوبات الإقليمية ، مما أدى الى شلّ حركتهم أو تعطيلهم بعض الوقت، ولكن الأعمال التي قام بها إبراهيم باشا، أفسحت المجال أمام البعثات الأجنبية، للتمركز في بيروت والانتشار منها إلى سائر بلاد الشام، وعاد اليسوعيون (الكاثوليك) إليها في عام ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م وتوسعت الارسالية الأمريكية بمقدم أفواج جديدة من مرسليها، وبذلك أصبح المجال كبيراً لبدء المنافسة بين الكاثوليك والبروتستانت، فوصلت حدتها إلى درجة تشبه

---

١) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، التحالف الصليبى الماسونى الإستعمارى وضرب الإتجاه الإسلامي (الطبعة الاولى ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ص ٢٢١-٢٢٢.

٢) جورج أنطونيوس : يقظة العرب أو تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، ص ١٠٢

المبارزة، فعملوا على بعث اللغة العربية، وإيقاظ الأفكار الجاهلية، التي تنادي إلى إيقاظ الوعي القومي بين السكان العرب.

ومما هيج حدة التنافس بين الكاثوليك والبروتستانت عودة الآباء العازاريين إلى بلاد الشام، فنقلت الارسالية الأمريكية مطبعتها من مالطا إلى بيروت، ونتيجة لتلك المنافسة تقدم نمو المدارس بشكل ملحوظ، واعتمد نموها على ثلاث عناصر: إدارة محمد علي في الشام، وبرنامجها القاضي بتأسيس المدارس الأميرية، ونشاط البعثات التنصيرية الفرنسية والأمريكية ونشاط رجال الدين المحليين في إنشاء المدارس ، ولقد عرف النشاط التنصيري في مجال التعليم وغيره بأن له أهدافاً بعيدة المدى في بلاد الشام منها نشر الأفكار الهدامة ضد الاسلام ودولة الاسلام ولقد عمل المنصرون على الاستعانة ببعض العناصر المحلية لمساعدتهم في تحقيق أهدافهم في بلاد الشام(١).

وعندما أخفقت محاولات ضرب الدولة العثمانية الاسلامية من الخلف - عن طريق إشعال الفتن والحروب بالاعتماد على التعصب النصراني والاستفادة من النصارى المقيمين في أرضها ، على الرغم مما أحرزته من نجاح في بلاد العرب والمجر والبلغار واليونان وغيرها - فقد بدأ التركيز على التعصب القومي الذي يحاربه الاسلام في محاولة لتجزئة الدولة فكان وقوده النصارى بالدرجة الأولى(٢).

ويتفق أغلب المؤرخين على أن ظهور الدعوة الى القومية التركية أيضاً يرجع إلى حركة تركيا الفتاة التي تأسست في عهد السلطان عبد العزيز عام١٢٧٧-١٢٩٣هـ/١٨٦١-١٨٧٦م. أما عن انتماءات مؤسسي هذه الحركة فيذكر أحد المستشرقين أنهم كانوا خليطاً من الأتراك واليهود وعناصر عثمانية من أجناس أخرى، والحقيقة أن العناصر العثمانية التي شاركت في هذه الجمعية كانت في أغلبها من اليهود الذين استوطنوا جزيرة سالونيك بعد خروجهم من الأندلس، وهم من يطلق عليهم اسم يهود الدونمة. والذين تحولوا إلى الاسلام ظاهرياً، ليشاركوا فيما بعد، العناصر

---

١) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر (الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١١٢-١١٣. وزكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ص ٢٢١.

٢) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢١٠

اليهودية الأخرى في العمل على تحقيق أهدافهم في تمزيق الدولة العثمانية. ومن الدلائل التي تؤكد هذه الحقيقة ما قاله رئيس إسرائيل «إسحاق بن زفي» في كتاب له بعنوان: الدونمة ،صدر عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م فيذكـــر : « أن يهوداً كثيرين، وكثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتين إحداهما ظاهرة وهي اعتناق دين الشعب الذى يعيشون فيه (معه) اعتناقاً جماعياً وظاهرياً، والثانية باطنية وهي إخلاص عميق لليهودية». وفي تعريفه للدونمة قال عنها بأنها: «طائفة مسلمة لا تزال يهودية منذ زعمت الاسلام تعيش في تركيا بوجه مسلم، وهذا ما ساعدها على التدخل في شؤون تركيا السياسية والاقتصادية والتربوية والتوجيه الفكري».

وكان من أبرز أعضاء جمعية تركيا الفتاة : أنور وطلعت وجمال وجاويد وخالدة أديب ثم مصطفى كمال الذي عرف بعد ذلك بأتاتورك(١). أما العنصر الأخير الذي تكونت منه جمعية الاتحاد والترقي ، فكان من بعض النصارى العرب وبعض المسلمين، وهم جميعاً من أعضاء المحافل الماسونية من أمثال خليل غانم وهو عربي نصراني من بيروت ونائب في مجلس المبعوثان الذي أنشأ جريدة سماها «تركيا الفتاة» وكذلك أحمد رضا الذي أصدر مجلة «المشورة». واندمجت أهداف تلك الجمعية تحت الهدف الرئيسي وهو تحقيق الأطماع اليهودية التي تشكل العنصر الغالب فيها والذي يتركز في الهجرة إلى فلسطين، ورأت أن ذلك لن يتحقق إلا بالسيطرة على مقاليد الأمور في الحكومة العثمانية ، وهو ما يسميه أحد المستشرقين إقامة حكومة صالحة للدولة، على أساس إنصهار الأجناس كلها، وبشكل يمكنهم من تغيير القوانين التي تعوق تحقيقهم لهذا الهدف، الى جانب بعض الأهداف التي تسهم في توجيه الدولة إلى الاتجاه العلماني وهي أهداف دستور عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م الذي أعده مدحت باشا. وعندما تنبه السلطان عبدالحميد الثاني لأبعاد الجمعية وأخطارها وأهدافها المنافية لتمسكه بالاتجاه الاسلامي، اتخذ التدابير اللازمة لمحاصرة نشاطها، فعملت هذه الجمعية الى السعي الحثيث لخلع السلطان عبد الحميد واتهمته بالاستبداد والرجعية وهي تهم ألصقت به وشاعت بين المؤرخين حتى أصبحت من البديهيات المسلم بها(٢).

ففي عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م رفعت مجموعة ذكرت أنها تمثل نصارى الشام عريضة الى الملك لويس فيليب في باريس ، أكدوا فيها عبوديتهم له وأنهم

---

١) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢١٠
٢) زكريا سليمان بيومى : المرجع السابق ، ص ٢١٢-٢١٣

يعتبرون أنفسهم من جملة رعاياه وأنه وحده الذي يملك تقرير مصيرهم بالشكل الذي يمكنهم من الخلاص من دائرة النفوذ العثماني ويؤهلهم كي ما يكونوا عبيداً طبيعيين لجلالة ملك فرنســـا. كما رفعت عريضة أخرى الى رابطة نساء فرنسا أعرب فيها نصارى الشام عن ضيقهم بمظالم العثمانيين - حسب زعمهم - وأن نساء فرنسا تجمعهن روابط دينية بنصارى الشرق، وأن الجميع يدينون بدين واحد وينتمون الى كنيسة واحدة، ويخضعون لرئيس روحي واحد، وذكروا فيها التاريخ المشترك للمقاتلين الفرنسيين مع أبناء دينهم من نصارى الشرق خلال الحروب الصليبية مما أدى الى تخالط الدماء والأنساب بين أبناء الديانة الواحدة(١). وهذا شيء ملفت للنظر، فنصارى الشرق ينادون برابطة العقيدة مع الفرنسيين حيث يشيدون بفرنسا وبقوتها، وفي نفس الوقت يريدون لرابطة اللغة والقومية العربية أن تنتصر في وسط المسلمين ويساهمون في محاولات محو العقيدة الاسلامية كرابطة قومية، ألا ساء ما يحكمون.

ولقد انتشرت الفكرة القومية سراً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ولم يكن يجهر بها الا بعض العرب القاطنين في مصر أو أوربا أو أمريكا. وكان منهم المخلصون الذين عملوا على استقلال العالم العربي بعيداً عن استغلال الدول الاستعمارية، كما أن منهم أولئك الذين يرون في الدول الاستعمارية محاسن ليست موجودة فيها، وهؤلاء ارتبطوا مع تلك الدول وعملوا معها من أجل حركة القومية العربية (٢). ومن أبرز نصارى لبنان الذين ارتبطوا مع تلك الدول الاستعمارية ونادوا بفكرة القومية العربية بصورة خفية مستترة عن طريق نشر المؤلفات والكتب وتأسيس دور النشر من صحف ومجلات، مع القيام بالترجمة للمؤلفات الأجنبية التي تنادي بنفس الفكرة، ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ولويس شيخو، وغيرهم كثيرون ونظراً للتأثير المباشر لأعمال هؤلاء المفكرين في الثقافة الدينية والسياسية والاجتماعية في بلاد الشام فسنتناول فيما يلي الحديث عن كل واحد منهم على حده.

(١) ناصيف اليازجي:

هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي الحمصي الأصل واللبناني المولد : هاجر جدُهُ اليازجي من حمص في عام

---

١) زكريا سليمان، قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٢
٢) رفيق النتشة : السلطان عبدالحميد الثانى وفلسطين ، ص ١٤٤

١١٠٢هـ/١٦٩٠م لحين وقع على أسرته واستقر بعضهم في ساحل لبنان الغربي وآخرون في وادي التيم بينما تفرق بعضهم في مواطن متفرقة . وولد ناصيف اليازجي في بلدة كفر شيما على الساحل اللبناني ، في ٩ ذي القعدة عام ١٢١٥هـ/٢٥ مارس(آذار) عام ١٨٠٠م (١) ودرس في بلده على الطريقة التقليدية المتبعة في ذلك الوقت والتي لم تنجح في إثارة مواهبه، فاتجه الى قراءة المخطوطات في الأديرة يطالعها بشغف شديد، فحفزته الى حب القراءة والبحث لأنه لم يكن من السهل الحصول على كتب مطبوعة في ذلك الوقت(٢). وكانت قدرته على العمل كبيرة وذاكرته قوية، فعندما كان يعثر على نص يعتقد أنه جدير بالدراسة العميقة، يحفظه عن ظهر قلب أو ينسخه بصبر ودأت بخطه المزخرف. وقد مكنه ارتياده للمكتبات من الكشف عن الاهمال الذي لحق بالتراث العربي على مر العصور ، فأصبح شغله الشاغل محاولة إحياء هذا التراث، لتطلع الأجيال المقبلة على ماضيهم العريق(٣). ولقد عمل اليازجي في خدمة الأمير بشير الثاني الشهابي من عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م ومن الثابت أن ناصيف اليازجي كان على مذهبه: رومياً كاثوليكيا متعصباً، ولم يعتنق البروتستانتية رغم عمله مع الأمريكان البروتستانت(٤).

ألف اليازجي العديد من الكتب وأشهرها: فصل الخطاب في الصرف والنحو والأعراب، والخزانة، وجوف الفداء، وعقد الجمان، وغيرها، وله في العروض والقافية: نقطة الدائرة، والجامعة، وله رسالة في المنطق وفيها شرح ديوان المتنبي في كتاب أسماه: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. وله مجمع البحرين، وألف عدداً من الكتب المدرسية في العلوم العربية، واجتهد في كتابة الشعر الفصيح والمعلقات(٥).

---

١) منير الخورى:تاريخ حمص، ص ٤٠٠. وفيليب حتى:لبنان فى التاريخ،ص٥٦٢.

٢) سعيد بن سعد سفر الغامدى:موقف المعارضة فى المشرق العربى من حكم السلطان عبد الحميد الثانى،الشام ومصر،١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م (رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٣٠.

٣) نيقولا بن يوسف الترك اللبنانى : حوادث الزمان ، ورقة ٩٩. وجورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١٠. وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١١٤-١١٥

٤) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٢

٥) منير الخورى : تاريخ حمص ، ص ٤٠١. أنظر أيضاً، سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى، ص ١٣٠

اتصل اليازجي بالارسالية التنصيرية الأمريكية التي وظفته للعمل لمصلحتها في بلاد الشام(١). فاستعانت به في وضع كتب باللغة العربية لتدرس في مدارسهم، وكان اليازجي مخلصاً في العمل مع المنصرين الأمريكان، فأخذ في ندواته يدعو العرب، المسلمين منهم والنصارى الى إحياء الأدب العربي القديم (٢) في محاولة حثيثة لإثارة الاتجاه القومي العربي من جهة، وبقصد تدعيم نفوذ المرسلين الأمريكان في المنطقة من جهة أخرى(٣).

ولقد قام الأمريكان في بداية الأمر بنشر كتب اليازجي بعد طباعتها في المطبعة الأمريكية في مالطة على نفقتهم الخاصة ، ومن ثم أصبحت كتبه ومؤلفاته تنشر في بيروت، بمساعدة المرسلين الأمريكان(٤). ولم يكتف اليازجي بتأليف الكتب، ولكن جعل بيته في بيروت بعد أن ترك خدمة بشير الثاني الشهابي، مركزاً لدعوته، وكانت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تعلمها وعرفها طيلة حياته، فكان اقتصار معرفته عليها وحدها سبباً في حصر حركات ذهنية في مجرى واحد ، فأحبها حباً جماً ودعا لها كرابطة بين العرب جميعاً، ونواة الدعوة للقومية ، حتى أنه أنشأ أطفاله الاثني عشر، بنين وبنات، على آرائه. وكان ابراهيم أكثر أبنائه تأثراً بتعاليمه، بل وفاق أباه أدباً ولغة، وأصبح فيما بعد من المنادين الى القومية العربية كرابطة أساسية بين العرب (٥). وقد عهد اليه اليسوعيون بإصلاح لغة التوراة التي قد تمت ترجمتها من قبل (٦). ويدعى أحد المؤرخين أن ناصيف اليازجي كان يحفظ القرآن بتمامه، فعمل على الكيد له بدل الإيمان به والتصديق بما جاء فيه لأن قلبه قد أغلق على الكفر، فهو لا يسمع ولا يعي شيئاً . قال تعالى: «ان الذين كفروا سواء عليهم ءَأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» (٧). وقد مات اليازجي بالسكتة الدماغية في ٢٧ ذي القعدة ١٢٨٨هـ/ ٨ فبراير (شباط) عام ١٨٧١م ودفن في بيروت(٨).

---

١) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٢
٢) محمود حمد صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ٩٢
٣) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٣
٤) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى ، ص ١٣٠
٥) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١١-١١٢
٦) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٣
٧) سورة البقرة : آية ٦-٧
٨) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى ، ص ١٣٠.

(٢) بطـرس البستاني (١).

عرف كشخصية عربية مهمة، من خلال كتبه وصحفه التي أصدرها حيث كان ملماً بعدة لغات أجنبية الى جانب إتقانه للعربية، تلقى تعليمه الأول في مدرسة عين ورقة المارونية، واشتغل بعد تخرجه بالتعليم، كما أنه اعتنق البروتستانتية، وعمل مع عدد من الارساليات الغربية وأراد البطريرك يوسف حبيش أن يرسله الى روما لإكمال علومه فيها فلم ترضَ أمه ، فعين مدرساً في مدرسة عين ورقة ، وظل يعمل بها حتى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م. وأسهم في ترجمة الانجيل الى اللغة العربية من لغاتها الأصلية - التوراة من العبرية، والأناجيل من اليونانية - بمعاونة ناصيف اليازجي ويوسف الأسير. ولقد تأثر البستاني بالحرب الطائفية في جبل لبنان . فأخذ ينشر - في جميع الأوساط السياسية - سلسلة من المقالات والشعارات سماها «نفير سورية» وبلغ عددها ثلاثة عشر عدداً، وكان يسميها الوطنيات فيسمى الأولى الوطنية ثم الوطنية الثانية وهكذا (٢). وكانت تلك الوطنيات تدعو الى وحدة الصف بين الطوائف والأديان المختلفة، فأثار فيهم رابطة اللغة والتاريخ المشترك، وجعل ينادى بالوحدة الوطنية تحت راية القومية العربية ، فكان من الرواد الأوائل الذين روجوا لها في بلاد الشام. وقد أسس البستاني المدرسة الوطنية في عبية عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م (٣) والتي قامت على الفكرة القومية الوطنية أيضاً وهو يعتبر أحد أعمدتها. وقد أيد البستاني الاقتباس من الغرب بشرط ملاءمته للأوضاع المحلية (٤).

وعندما أنشأ المرسلون الأمريكيون مدرستهم في عبية حيث جعلوا الدكتور كورنيلوس فانديك رئيساً عليها، طلب الأخير من بطرس البستاني أن

---

١) هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبى شديد بن محفوظ بن أبى محفظ البستانى من أعيان الطائفة المارونية ، وهو عربي نصراني من جبل لبنان ، ولد في عام ١٢٣٥هـ/١٨١٩م في قرية الدبية من أبوين مارونيين، وظهرت عليه علامات الذكاء منذ صغره، أنظر سعيد الغامدى: موقف المعارضة فى المشرق العربى، ص ١٣١. وجورج انطونيوس : يقظة العرب، ص ١١٢. وفيليب حتى: لبنان فى التاريخ، ص ٥٦١.

٢) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١٠٩-١١٠ ؛ وجورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١٤ ؛ وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ص ١١٦

٣) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٠

٤) سعيد الغامدى : موقف المعارضة في المشرق العربي ، ص ١٣١

يعاونه فيها فوافق واستمر فيها سنتين كاملتين، فقام بتأليف كتابه الشهير «كشف الحجاب في علم الحساب» والذي تقرر تدريسه في كثير من مدارس لبنان زهاء نصف قرن من الزمان . وعندما انتقل الى بيروت عمل ترجماناً في القنصلية الأمريكية التي وظفته في تأليف الكتب الدراسية وتعليم اللغة العربية في مدارسها(١). ومع أن البستاني قد أسهم بإضافة معجم للغة العربية استغرق منه وقتاً وجهداً كبيرين، حتى صدر في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م باسم «محيط المحيط» ثم اختصره الى قطر المحيط، وكذلك قام بتصنيف ستة أجزاء من دائرة معارف عربية، إلا أن هذه الأعمال جميعها، كانت تدور في محيط هدفه، وهو إثارة النعرة القومية بغية الخلاص من الإطار الاسلامي، المتمثل في الدولة العثمانية ، وهو اتجاه كافة المفكرين النصارى في العالم العربي في ذلك الوقت(٢).

والى جانب عمله في محيط المحيط ودائرة المعارف - والتي ظهر منها ستة مجلدات قبل موته، قام أبناؤه بإتمامها من بعده، حتى ظهر منها أحد عشر جزءاً، ومما يدل على سعة اطلاعه وثقافته واهتمامه الكبير بما يجرى في أوروبا في ذلك الوقت - أصدر البستاني مجلة الجنان في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م وهي مجلة أدبية علمية تاريخية سياسية نصف شهرية، وكانت تتبنى شعار «حب الوطن من الايمان» ، وأخذت في الانتشار بشكل واسع على مستوى العالم العربي ، نظراً لكون تلك المجلة تخدم المصالح الأجنبية التي تدعمها وساعدت في توزيعها خارج بلاد الشام. ويقال إن مدحت باشا كان يشجع هذه المجلة أيضاً، حيث قام بزيارات متكررة لها، فاستغلها البستاني لبث أفكاره ومبادئه. وقد استمر صدور مجلة الجنان حتى عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. كما قام بطرس البستاني بإصدار صحيفة الجنينة في عام ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وكانت تصدر أربعة أيام في الأسبوع وهي الأثنين والأربعاء والخميس والسبت ولم تختلف هذه الصحيفة عن غيرها في أهدافها، حيث تعمل على تحبيب الثقافة العامة في نفوس الناس، وبث الروح القومية والأدب القومي ولم تصدر هذه الصحيفة سوى ثلاثة أشهر فقط ثم توقفت عن الصدور (٣).

---

١) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٠. وأسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١٠٩. وجورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١٣

٢) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٣-٢٢٤

٣) سعيد الغامدى : موقف المعارضة في المشرق العربي، ص ٣١٢ ؛ وجورج انطونيس : يقظة العرب ، ص ١١٥ ؛ محمود حسن صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ٩٢

ومن الأمور الهامة التي دفعت عجلة القومية بين الناس في بلاد الشام، فعرفوها وتمسكوا بها نتيجة جهود نصارى لبنان مثل البستاني واليازجي، ما قام به البستاني من وجوب زرع بذور القومية بين أفئدة الأطفال، فتنمو بنمائها ويجني المستقبل ثمارها، فعمل على تأسيس مدرسة وطنية لا طائفية تقبل بين جدرانها الطلبة من جميع الطوائف والمذاهب، فوجد بين صفوفها اللبناني والسوري والمصري والتركي واليوناني والعراقي والعجمي جنباً الى جنب. ولقد تولى بطرس البستاني رئاستها، وكان يقوم بتعليم صف باللغة الانجليزية، ويخطب في التلاميذ مرتين كل أسبوع، وتولى ابنه سليم الرئاسة حين غيابه وكان يعلم الإنجليزي للصف الأول ، بينما أخته سارة كانت تعلم صفاً آخر، وساعده ناصيف اليازجي بتعليم العربي للصف الأول وتولى الشيخ خطار الدحداح تعليم الفرنسي للصف الأول، وعمل الى جانبهم من النصارى كمعلمين في تلك المدرسة، ابراهيم اليازجي ويوسف الأسير والشيخ قبلان الدحداح وسعد الله البستاني، ويوسف الباحوط، وابراهيم ناصف، وخليل ربيز، وسليم تقلا. ومن الملفت للنظر أننا وجدنا الحكومة العثمانية تكافئ هذه المدرسة بوسام مجيدي على إنشائها، وقام بزيارتها الولاة تشجيعاً لها (١).

مات بطرس البستاني عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م بسبب هبوط في القلب وهو في السادسة والخمسين من عمره(٢).

(٣) لويس شيخو:

ولد في عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م وهو من ماردين، وينتمي الى الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية. درس في لبنان وأوربا، وقبل أن يصبح أستاذاً للغة العربية في جامعة اليسوعيين في بيروت (جامعة القديس يوسف)، كان محرراً لمجلة المشرق، المجلة اليسوعية، وساهم بكتابة المقالات العديدة فيها. وله مؤلفات عديدة تربو على الثلاثين مؤلفاً في تاريخ الأدب العربي وبعضها ينقصها التدقيق العلمي. واشتهر منها «مجاني الأدب في حدائق العرب» وانضم لويس شيخو الى البستاني واليازجي في تشجيع الحركة الفكرية التي تنمي القومية العربية ليس في لبنان فحسب، بل في سائر أنحاء العالم العربي، وله كتب تدرس في المدارس، ومراجع يرجع اليها المعلمون في

---

١) أسد رستم : لبنان فى عهد المتصرفية ، ص ١١١

٢) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٠. وجورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١٦

مدارس الارساليات وغيرها في بلاد الشام، فكانت مؤلفاته تدعو الى القومية العربية بدلا من أي رابطة أخرى، وذلك لاقصاء العثمانيين عن الخلافة الاسلامية. مات لويس شيخو في عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٨م (١).

ومن المعروف أن التنافس كان كبيراً بين الارساليات البروتستانتية الأمريكية النصرانية والارسالية الكاثوليكية الفرنسية في بلاد الشام (٢) والذي كان القصد منها توسيع دائرة نفوذ كل منهم، ولكنهم في الحقيقة التقوا على هدف واحد رأوا فيه الوسيلة لتحقيق أهدافهم ومنها إثارة النعرة القومية من خلال احياء الثقافة العربية، فسعى كل فريق من الفريقين لتأسيس الجمعيات التي تتولى هذا الدور.

وبالفعل تأسست أولى هذه الجمعيات في عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م بناء على اقتراح تقدم به اليازجي، والبستاني الى الارسالية الأمريكية. والتي أطلق عليها اسم «جمعية الآداب والعلوم» (٣) وكان من أعضائها المؤسسين أيضاً إيلي سميث وكورنيلوس فان ديك رئيسا لها الى جانب أعضاء من المرسلين الأمريكان، حتى بلغ عدد أعضائها بعد عامين خمسين عضواً أكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت وكان من ضمن أعضائها الانجليزي الصهيوني ونستون تشرشل (٤). ومما يلفت النظر، أنه لم يدخل في هذه الجمعية أي عضو مسلم واقتصر أعضاؤها على النصارى فقط، وهذا ليس لأن أغلب أعضائها من المنصرين فقط، بل لأنها قد ركزت في نشاطها على ما اعتبره المسلمون استفزازاً وإثارة لتقاليدهم الاجتماعية المستمدة من دينهم الاسلامي الحنيف، ومن دس على الشريعة الاسلامية. فقد اشتملت مجموعة الخطب والمقالات التي تظهر نشاط هذه الجمعية على تعليم النساء للموسيقى الى جانب بعض الأعمال التي لا تليق بعمل المرأة المسلمة، مع حثها على السفور والتبرج وغير ذلك من الأمور التي تعمل على عدم استقرار الأسرة المسلمة وهدم بنيانها الاجتماعي، ومخالفة لله عز وجل وكفر بأوامره التي جاءت واضحة جلية في القرآن الكريم، والتي تدعو لصيانة المرأة باحتجابها عن الأجانب(٥).

---

١) فيليب حتى : لبنان فى التاريخ ، ص ٥٦٤-٥٦٥
٢) انظر بالتفصيل الفصل الثانى والثالث من هذا البحث .
٣) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٤
٤) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١١٦-١١٧
٥) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٥

ولم يلبث اليسوعيون أن حذوا حذو الأمريكيين فأسسوا الجمعية الشرقية في عام ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، ضمت بعض النصارى العرب الى جانب المرسلين الأجانب ولكن لم تنجح هي الأخرى بجذب أي عضو مسلم فيها (١).

وكان من الطبيعي أن ينتهي دور هاتين الجمعيتين، وذلك بسبب أهدافهما التي تجلت في إثارة النعرة القومية لدى المسلمين الى جانب الأهداف الاجتماعية والتي تتمثل في اهتزاز القواعد الاسلامية التي يقوم عليها البناء الأسري وإبعاد المسلمين عن دينهم الحنيف الذي يمنحهم القوة والمنعة ويقف سداً منيعاً في وجه تقدم النصارى الى قلب بلاد المسلمين.

ولهذا ركز المنصرون واليهود وأعضاء المحافل الماسونية نشاطهم لتحقيق الأهداف من خلال جمعية تضم عناصر إسلامية، الى جانب أعضائها النصارى لتنتشر أفكارها بين المسلمين، فظهرت الجمعية العلمية السورية.

الجمعية العلمية السورية

تأسست الجمعية العلمية السورية عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م ، وكان أعضاء هذه الجمعية من العرب، فلم تضم أحداً من النصارى الأجانب على الاطلاق، الا أنها ضمت عدداً من العرب المسلمين ، ممن ينتمون الى المحافل الماسونية (٢)، من بينهم محمد أرسلان العالم الدرزي الذي ظل رئيساً لها لعدة سنوات، وحسين بيهم، أحد أبناء البستاني (٣)، وابراهيم اليازجي ، وقد ألقى قصيدة في يوم افتتاحها السري دعا فيها العناصر العربية للتمرد على العثمانيين.

وهكذا يتضح هدف تلك الجمعية، والذي ركز عليه الأعضاء في عملهم، وهو إثارة النعرة القومية العربية، وهو الهدف الذي لا يحيدون عنه في جمعياتهم السابقة والتي أقامها المنصرون الأجانب لغاية في نفوسهم نتيجتها تفتيت وحدة الصف الاسلامي، ولهذا اشترط مؤسسو الجمعية

---

١) محمود حسن صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ٩٢

٢) محمود منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ٩٣. وزكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٥-٢٢٦

٣) جورج انطونيس : يقظة العرب ، ص ١١٩

العلمية السورية ألاّ يدخلها منصرون، في الوقت الذي وافقوا فيه على تقديم التسهيلات للجمعية والتستر وراء النصارى العرب الأعضاء في تلك الجمعية(١).

وفي عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م أصدر الآباء اليسوعيون في سورية صحيفة كاثوليكية إخبارية أسبوعية أطلق عليها اسم «البشير» بمساعدة الأب امبروسيوس مونو. ولقد اتخذت هذه الصحيفة من كلمات المسيح عليه السلام "تعرفون الحق والحق يحرركم" شعاراً لها(٢).

وكان لا يطالع هذه الصحيفة سوى الكاثوليك في بداية الأمر، فلما تولى الأب سليمان غانم اللبناني اليسوعي إدارة الصحيفة، وخليل البدوي رئيس تحريرها، أدخلا عليها روحاً جديدة وأفكاراً قومية، فوسعا بذلك نطاق الأبحاث التي تنشر فيها، وعملا على تصحيح أسلوبها اللغوي المكتوب باللغة العربية وكانت عباراتها من قبل ركيكة يملها القارىء، فصار يطالعها الكاثوليك وغيرهم. وتعتبر البشير داعية لمصالح الفرنسيين الكاثوليك في بلاد الشام.

ورداً على صحيفة البشير الدينية النصرانية، أنشأ المسلمون عن طريق جمعية الفنون في بيروت، صحيفة مناهضة للبشير، هي صحيفة ثمرات الفنون والتي تعتبر من أولى الصحف الاسلامية في سوريا، وثانيهما في الدولة العثمانية بعد الجوائب التي كانت تصدر في اسطنبول ، ولم يطل عمر هذه الصحيفة، وانتقل اسمها ومطبعتها الى صاحب الامتياز الذي جعل همه خدمة الأمة الاسلامية والجامعة العثمانية، وانضم اليه جماعة من الكتاب العظام وأفاضل المحررين والمترجمين أمثال الشيخ يوسف الأسير الأزهري، والشيخ ابراهيم الأحدب، واسماعيل ذهني بك، وسامي قصيري، وسليم بن عباس شلفون، واسكندر بن فرج الله طراد، والشيخ أحمد حسن طبارة، والحاج محمد محمود الحبال، وغيرهم. وكان للمسلمين ثقة كبيرة في هذه الصحيفة. وقد كتبت بعض المقالات الشديدة اللهجة عن مساوىء الحكم في الدولة العثمانية، وعن الولاة، مما جعل الحكومة العثمانية تفرض عليها ضريبة قدرها بارة واحدة عن كل مقالة سياسية.

---

١) زكريا بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٦ ؛ سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربي ، ص ١٤٤

٢) مجلة البشير: شريط ميكروفيلم رقم ١٢٣، (الجامعة الأردنية ، عمان)، ص ١

وفي عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م أصدر خليل سركيس صحيفة لسان الحال ، في فترة نالت فيها الصحافة قسطاً كبيراً من الحرية، وكانت نصف أسبوعية، ثم صارت تصدر ثلاث مرات أسبوعياً، ثم أربع مرات، حتى تمكنت من الصدور في عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م بشكل يومي. وكانت هذه الصحيفة تسعى لاجتذاب الناس الى الثقافة العامة على اختلاف أنواعها، والى الحياة القومية والأدب القومي، وذلك لإثارة الشعب العربي بكافة طوائفة على العثمانيين بدعوى أنه ليس من رابطة قومية أو لغوية بينه وبين حكامه ، وهذا هو أهم ما يسعى إليه النصارى ومن يؤازرهم من الدول النصرانية الاستعمارية ليتخلصوا من الحكم الإسلامي . وللبروتستانت نشاطهم الكبير في هذا المجال، حيث قام القساوسة الأمريكان في بيروت عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م بإصدار نشرة شهرية دينية مصورة تتكون من أربع صفحات متوسطة الحجم وأطلقوا عليها أسم «كوكب الصبح المنير» وعملوا على توزيعها مجاناً على الطلبة الذين يدرسون في مدارسهم البروتستانتية(١).

كما عاود النصارى الكاثوليك نشاطهم في بلاد الشام خصوصاً بعد أن ساندهم التدخل الفرنسي الذي جاء في أعقاب الحرب الأهلية عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م ، فعادت الجمعية العلمية السورية تزاول نشاطها من جديد في الدعوة الى القومية، وتهاجم استمرار الارتباط بدولة الخلافة الاسلامية، وتكونت جمعيات أخرى نصرانية في بيروت ودمشق ذات هدف ديني وهو نشر المبادىء النصرانية، الى جانب جمعيات عديدة تدرب المدرسين على الخطابة حتى يمكن توظيفهم لأهداف الدعوة الى القومية في كل ربوع الشام (٢). ومن أخطر هذه الجمعيات جميعاً، جمعية بيروت السرية التي أسسها خمسة من خريجي الكلية البروتستانتية عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٥م ، حيث وجهت نشاطها الى الدعوة للقومية ومناهضة فكرة الجامعة الإسلامية. وقد استطاعت هذه الجمعية أن تضم اثنين وعشرين عضوا من الطوائف المختلفة، وعدداً من اليهود، ولقد عرف من ضمن أعضائها يعقوب صروف وابراهيم اليازجي وفارس نمر وابراهيم الحوراني وشاهين مكاريوس والياس حبالين، وهؤلاء جميعاً أعلنوا انضمامهم الى الجمعية الماسونية فيما بعد . وقد دأبت هذه الجمعية على توزيع المنشورات السرية الداعية الى الثورة على العثمانيين وإقامة نظام ذاتي لسوريا ولبنان. ولم تقتصر منشوراتها على الدعوة للانفصال عن دولة الخلافة فقط ، ولكنها أعربت عن رغبتها في أن لا تقوم أية حكومة إسلامية، بينما فضلت وبكل صراحة

---

١) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى ، ص١٣٤-١٣٥
٢) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٢٩

الخضوع لحكم دولة نصرانية أجنبية، فاقترح المارونيون حكم فرنسا في حين اقترح البروتستانت بريطانيا أو أمريكا. ومن الملفت للنظر أن مدحت باشا قام بدعم هذا التيار القومي الماسوني والمعادي لفكرة الجامعة الاسلامية كما سعى في طريق تحقيق أهداف الجمعيات النصرانية الماسونية التي تخطط لتقسيم الدولة العثمانية واستبدال القوانين المستمدة من الشريعة الاسلامية بأخرى غربية (١) ، ويعتبر الدستور الذي وضعه مدحت باشا في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م في بداية عهد السلطان عبد الحميد الثاني من أهم الخطوات التي سارت الى علمنة الدولة العثمانية وتمزيق ولاياتها .

وهكذا نرى كيف قامت الدول الأجنبية بنشر الدعوات الهدامة ضد الدولة العثمانية، وأهمها الدعوة الى القومية العربية عن طريق النشاط الأدبي من صحف ومجلات وكتب. وكذلك النشاط السياسي الذي تمثل في إنشاء الجمعيات، وقد قمنا بإيضاح موقف الدولة العثمانية من الفتن التي قامت في لبنان في الفصل الرابع من هذه الدراســـة.

وفيما يلي نستعرض السمات الرئيسية لتلك الندوات أو الجمعيات التي ظهرت في بلاد الشام وبلغ عددها إثنتي عشرة جمعية :

١) أنها كانت قصيرة العمر، حيث تنشط زمناً محدداً، ثم تقوم في وجهها العراقيل فتحول دون تطورها واتساع آفاقها. ويتوقف طول عمر الجمعية، على مدى رضى السلطة العثمانية عنها، ويعتبر ذلك شرط أساسي لا تتوافر لها الحياة بدونه، فاذا سر منها الحاكم نشطها، ودعا الناس للدخول فيها، واذا ساءه منها أمر ضيق عليها الخناق. وقد جاء في كتاب عبرة وذكرى لسليمان البستاني إشارة الى أحد الولاة أنه نزل دمشق في عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م فأخذ بيد جميعة «زهرة الآداب» التي ألفها البستاني والتي ضمت أعضاء من مختلف الطوائف، وسعي لدى الباب العالي في الحصول لها على الترخيص الضروري(٢)

٢) كان أعضاء تلك الجمعيات يتداولون البحث في القضايا الاجتماعية والسياسية في مجالسهم الخاصة، ويقارنون بين حالة بلادهم والبلدان

---

١) زكريا سليمان بيومى : المرجع السابق ، ص ٢٣٠-٢٣١

٢) جبور عبد النور : الندوات الأدبية والنزعات التحررية العربية فى القرن التاسع عشر الميلادى (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية العدد ٣، مارس ١٩٥٤م ، رقم الوثيقة ، ١٨٧٩٤) ، ص ٢٧

الراقية، ويوازنون بين النظم المتبعة في الدولة العثمانية والدساتير التي تنظم الحكومات الأوروبية والأمريكية بما فيها من الدعوة الى الحرية والإلحاد، فينتهون من كل هذا الى محصل خطر على الدولة العثمانية، وإثارة الرأي العام ضدها.

٣) نشر الأفكار التحررية والثورية، والدعوة الى القومية في تلك الندوات والجمعيات، ومنها انبعثت الدعوات الى الحكم الدستوري والمطالبة بالإصلاح في إدارات الدولة، ثم للتحريض ضدها بشكل سافر .

دور الصحافة في نشر الدعوات الهدامة:

كانت الدولة العثمانية قبيل عصر السلطان عبد الحميد الثاني متساهلة. إلا أنه إزاء ازدياد النشاط الأدبي والحرية الصحفية التي تجاوزت الحدود الممنوحة لها، أصدرت السلطة العثمانية سلسلة من القوانين تحد من تلك الحرية، وتنظم الأعمال الصحفية والأدبية بصورة تتفق وسياسة الدولة واتجاهاتها، فأصدرت في شعبان من عام ١٢٨١هـ/١٨٦٥م قانوناً من ٣٢ مادة من شأنها تشديد الرقابة على الصحف برئاسة الصدر الأعظم فؤاد باشا. ورغم صدور هذا القانون فقد كثرت الصحف في لبنان، حيث اشترك فيها عدد كبير من الكتاب العرب ومنهم النصارى، وأخذوا ينادون من خلال تلك الصحف الى القومية العربية. وسلكوا في ذلك عدة طرق منها إعادة التعامل باللغة العربية رسمياً، ومهاجمة الحكومة العثمانية واتهامها بالفشل في تطبيق الاصلاحات والنظم التي تنشرها. واتهامها بسلب الخلافة الاسلامية منهم، وأنهم قد طوقوا العالم الاسلامي بسياج منيع فصل بينهم وبين الحضارة الحديثة المجاورة لهم في أوروبا.

وإزاء هذه التجاوزات في جهود المثقفين العرب وخصوصاً النصارى منهم، فقد تصدت الدولة العثمانية لها، فأصدر الباب العالي إعلاناً رسمياً في عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م جاء فيه أنه من حق الباب العالي ان يتصرف بطريق إداري ومستقل عن سلطة القانون تصرفاً يجريه على الصحافة المتداولة وضد الصحف التي ترفض المبادىء المتعارف عليها والتي هي شرط جوهري لصحافة وطنية ولكن مع الأسف نجد أن قسماً من الصحافة المحلية ترفض أن تنصاع لأوامر الباب العالي وسمحت لنفسها أن تهاجم الأساس العام للدولة العثمانية، بدلا من أن تقف الى جانبها وتدافع عنها، بل والأدهى من ذلك أن وضعت بعض الصحف نفسها تحت تصرف الدول الأجنبية، وتبنت الدفاع عن الأفكار المخربة واهتمت ببث الدعايات والافتراءات الباطلة ضد الدولة العثمانية.

وعلى العموم كان القانون المفروض على الصحافة الصادر في عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م في عهد السلطان عبد العزيز قد جعل الصحفيين يتمتعون بنفوذ طيب في هذا العصر. ورغم ذلك فقد انتقدت الصحف أعمال الحكومة وموظفيها حتى أن السلطان نفسه لم يسلم منها(١). بل أن جريدة الجوائب في اسطنبول وصحف الجنان والجنة والبشير والتقدم وثمرات الفنون في بيروت أخذت تنشر مقالات موسعة عن نقاط الضعف في الدولة العثمانية ، بل وأنها كتبت بصراحة عن مقتل الوزراء في داخل الخلافة، وحادثة خلع عبد العزيز ومراد(٢).

وبعد هذا التجاوز للنشاط الصحفي، كان لا بد من تدخل السلطان عبد الحميد الثاني ، فأصدر أوامره الى الصدر الأعظم مدحت باشا بإلغاء كل الصحف التي تصدر عن أحزاب داخلية أو طائفية في البلاد العثمانية جميعها، ثم بعث رسالة أخرى الى الصدر الأعظم يقترح عليه أن يمنع الصحافة من تجاوز الحريات التي تدعى أنها حصلت عليها عن طريق الدستور، وأن تمتنع عن نشر المواد الخطرة كما أكد السلطان عبد الحميد في رسالة أخرى بتاريخ ١٧ محرم ١٢٩٤هـ/٢ فبراير(شباط) ١٨٧٧م الى الصدر الأعظم مدحت باشا إرادته الأكيدة بأن تمتنع الصحف مستقبلا من أن تتبع سلوكاً مضاداً لإرادته ومقاصد جلالته. ولقد كانت الرقابة على الصحف في عهد السلطان عبد الحميد شاملة أكثر منها في عهد السلطان عبد العزيز، ففي البداية كانت الرقابة على الصحف ثم أصبحت على جميع المطبوعات وكان التفتيش على الكتب منصوصاً عليه في قانون التعليم العثماني الصادرة في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وكان الغرض منه حماية التعليم من أي مخالف للأخلاق والنظام السياسي. وقد نصت المادة الثانية عشر من الدستور الذي أعلنه السلطان عبد الحميد الثاني في السابع من ذي الحجة من عام ١٢٩٣هـ/نوفمبر ١٨٧٦م على الحرية الصحفية، وأكد السلطان على ذلك في خطاب العرش الذي ألقاه في ربيع الأول من عام ١٢٩٤هـ/مارس (آذار) ١٨٧٧م ورجع ليكرر ذلك في خطابه الذي ألقاه في ٧ ذي الحجة من عام ١٢٩٤هـ/١٣ديسمبر ١٨٧٧م. وبالرغم من المراقبة الشديدة فقد تمكنت بعض الصحف من طباعة صحفها بشكل سري، كما تم توزيع الإعلانات السرية الخطية في سوريا عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م بشكل سري أيضاً.

---

١) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق ، ص ١٣٥-١٣٧

٢) مجموعة الوثائق التركية : دار الملك عبدالعزيز ، بدون رقم ملخص ما جاء فى استجواب التحقيق فى حادثة مقتل السلطان عبد العزيز ، بدون رقم ، بدون تاريخ

وعندما قامت الحرب الروسية العثمانية، أصدر الباب العالي إعلاناً في ١١ جمادى الأول عام ١٢٩٤هـ/٢ مارس(آذار) ١٨٧٧م يجعل اسطنبول والنواحي التي تحكمها تحت الادارة العرفية بموجب نص المادة (١١٣) من القانون الأساسي مما عطل نظام المطبوعات، واستمر هذا النظام سارياً حتى بعد انتهاء الحرب.

ولقد شهدت بيروت - نتيجة لضغط السلطات العثمانية على حرية الصحافة - ردة فعل للموقف السياسي اتخذ شكل دعوة سرية عنيفة للثورة على العثمانيين، وذلك على هيئة مناشير كتبت باليد وبدون توقيع، علقت على جدران المدينة ، تندد بالظلم والفساد وتدعو السوريين للثورة والاستقلال. فكانت تلك النداءات موجهة الى أبناء الوطن السوري حيث تقول : «يا أبناء سوريا، ويا أهل الوطن». وتذكر بالنخوة العربية، والحمية السورية وهذا نداء سافر وصريح للقومية العربية ولنبذ حكم العثمانيين(١). ولهذا تم في عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م إضافة مواد قوية جديدة الى قانون الصحافة الصادرة في عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م لتكون مانعاً لأية منشورات تحض على الأفكار التحررية والقومية من صحف أو كتب أو سواها. فأنشئت لجنة خاصة لمراقبة المطبوعات والمطابع والكتب تسمى «مجلس المعارف الأعلى» و «مجلس المراقبة والتفتيش». وكان يتم تعيين مفتشي المطابع والكتب من قبل وزارة التعليم العام. أما الكتب التي تصدر في الخارج، فكان يتم مراقبتها والتفتيش عليها عن طريق الجمارك وفي مكاتب البريد بواسطة موظفين تعينهم وزارة التعليم العمومية، وهناك قسم من موظفي إدارة الجمارك والبريد، كما توجد دائرة ثالثة لمراقبة المسارح وما يعرض عليها من تمثيليات ومسرحيات. وهكذا استمرت الرقابة مفروضة على الصحافة بكل شدة فما تكاد تصدر صحيفة الا وسرعان ما ينطفىء نورها في ظل مراقبة شديدة، الا أنه رغم تلك الشدة، فقد تبلورت فكرة القومية العربية في أذهان الكثير من الشباب العرب، ثم تحولت الى حركة ثورية عرفت بجمعية الاتحاد والترقي، وقد اشتدت قوة هذه الحركات بتدعيم من الدول الأجنبية ذات الأطماع الاستعمارية في ممتلكات الدولة العثمانية(٢). كما اكتشفت نشرات مطبوعة بواسطة مدرسين أمريكان في مدرسة للارسالية الأمريكانية، فأدى ذلك الى زيادة الرقابة. ومن أمثلة الرقابة على الكتب في المدارس الأجنبية أن طلب حاكم بيروت في عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م من رئيس الكلية السورية البروتستانتية ، التفتيش على جميع الكتب والمناهج بموجب قانون التعليم.

---

١) وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية والسياسية فى جبل لبنان،ص ١١١
٢) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى ، ص ١٣٩-١٤٣

ومما يؤسف له أن الحكم العثماني كان في ذلك الوقت قد بلغ مرحلة لا يستطيع معها مواجهة الأحداث الجديدة والتغيير الفكري والحضاري في بلاد الشام، والمواقف المعادية للحكم العثماني، والذي كان نتيجة حتمية لنشاط الارساليات الأجنبية المختلفة في بلاد الشام وغيرها، حيث كان فساد الحكم العثماني قد بلغ مداه، فالرشوة وشراء المناصب والضرائب الفادحة، وغير ذلك من أساليب الظلم، التي لا يمكن السكوت عليها، في وقت تزايدت فيه الحركات التحررية ،والتطورات الدستورية ، والثورات القومية في مختلف أنحاء أوروبا ، والتي تم التعرف عليها عن طريق المناهج الدراسية المختلفة في شتى مراحل التعليم التابع للارساليات التنصيرية في بلاد الشام.

ولكن هذه الأخطار والمشاكل الداخلية والخارجية الكبيرة والقاسية في نفس الوقت، جعلت السلطان عبد الحميد الثاني يقوم بالتصدى لتلك الأخطار فرأى الاحتماء بمتانة الاسلام على أنه السبيل الوحيد للتصدى للحملات الصليبية الخبيثة. ولسنا في هذه الدراسة في مجال عرض الإصلاحات التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني لأنه خارج عن نطاق هذا البحث (١). ولكن نتطرق بالبحث الى دعوة السلطان عبد الحميد الثاني الى الجامعة الاسلامية والتي اعتبرت مواجهة لدعوة القومية العربية التي أراد بها الاستعمار القضاء على الوحدة الاسلامية ، وهاهو الكاتب الصهيوني كادمي كوهين يؤكد هذه الحقيقة في كتابه «دولة اسرائيل» ص٤١-٤٢ حيث يقول: «إن الوحدة العربية تصبح قادرة على مقاومة الوحدة الاسلامية اذا ما نظرت سياسياً. فإيقاظ الشعور القومي العربي هو الذي يهيمن على المسألة وينبغي أن لا يغرب عن بالنا أن تألق نجاحات الاسلام هو الذي ولد الايمان الجديد عند العرب بتشكيل الأمة الاسلامية. ان القومية الاسلامية تتفوق على الفكرة العائلية وعلى العصبية العشائرية أو القبلية التي كانت معروفة حتى الآن فاذا لم يتراجع الغرب أمام تلك الديانة الجديدة، واذا ما أقر وأكد على وجود قومية عربية تمتد من البحر الأبيض المتوسط الى بلاد فارس تختلف في جوهر تحديدها عن التتر والهندوس والبربر فانه يحرر بذلك قوة هائلة ، اذا ما تأطرت بشكل مناسب استطاعت أن تلعب دوراً في العالم المتمدن تؤهلها له أصالتها الرفيعة»(٢).

---

١) من أراد التوسع فى إصلاحات عبد الحميد يرجع إلى كتاب : عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها جـ ٣ ، ص ١١٥٧-١٢٠٤

٢) رفيق النتشة : السلطان عبدالحميد الثانى وفلسطين ، ص ١٤٢-١٤٣

ولذلك تلقف السلطان عبدالحميد الثاني فكرة الجامعة الاسلامية بعد أن هيأ لها الأذهان كل من نامق كمال في الوسط التركي الصرف وجمال الدين الأفغاني في نطاق العالمين العربي والاسلامي ، وأخذ السلطان على عاتقه تنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية بشكل عملي، لأنه يعد أقدر من هذين الداعيتين على زعامتها وقيادتها، بصفته عاهل أكبر دولة اسلامية في العالم وخليفة للمسلمين (١).

وكان الأوربيون قد أحكموا قبضتهم على أغلب الشعوب الإسلامية، فسيطر الفرنسيون والبريطانيون على بلاد الشام من خلال الارساليات التنصيرية والمحافل الماسونية ، كما نجحوا في التسلل الى نظام الحكم العثماني ومؤسساته، لدرجة أن شعوراً باليأس وفقدان الأمل في المستقبل عم المجتمع العثماني في الأناضول بأسره. وقد انتشرت النبوءات بأن نهاية سلطة العثمانيين وشيكة الوقوع، مما حدا بالسلطان عبد الحميد الثاني ، المناداة بفكرة الجامعة الاسلامية حيث رأى في الاسلام القوة الوحيدة التي تمكنه من ذلك، ويبدو ذلك في قوله: «ان الاسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء ونحن أمة حية قوية ولكن شرط أن نصدق في ديننا العظيم».

ولقد عرف عن السلطان عبد الحميد أنه كان نعم القدوة الطيبة التي توحي بالأمل لنجاح الفكرة، فكان يتمتع بسمعة طيبة لدى رعاياه، فهو لا يميل الى التبذير ولا يشرب الخمر، ويحافظ على أركان الاسلام وأولها الصلاة، وقد استطاع أن يفرض هذه الأمور الطيبة على المحيطين به في القصر، وأن يمنع كافة العادات السيئة التي تسربت الى القصر قبل توليه السلطة(٢). فرأى في الجامعة الاسلامية سياجاً يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب أمام أطماع روسيا، والنمسا، والمجر، وفرنسا، وبريطانيا، وكان السلطان يعلم تماماً أن إيطاليا تريد الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بني غازي كغنيمة من ولايات الدولة العثمانية على غرار ما فعلته الدول الأجنبية الكبرى (٣). وكانت الدولة العثمانية مهددة بنظرية جلادستون زعيم جماعة سمت نفسها الأحرار في انجلترا وهذه

---

١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٣ ، ص ١١٩٩

٢) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٤٠

٣) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، جـ ٣ ، ص ١١٩٩ ، أنظر أيضاً نفس المرجع ،جـ ٢، ص ٨٥٩

النظرية تنادي بوجوب طرد العثمانيين من أوروبا، وتؤيد الشعوب البلقانية النصرانية في نضالها للتحرر من الحكم الاسلامي العثماني، وجلادستون هذا صاحب مذهب إنجيلي يفيض تعصباً ضد الاسلام. واعتقد أو تمنى بقرب نهاية دولتهم ، وأن مصلحة أوروبا والسلام العالمي معاً يتطلب سرعة العمل على انحلالها وتقسيم ممتلكاتها بين الدول النصرانية.

ولقد ظلت آراؤه عالقة بالأذهان من مواطنين وساسة سواء في حياته أو بعد موته. وكان مؤتمر برلين الأوروبي الذي عقد في عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م قد فرق الأقاليم العثمانية في أوروبا إربا إربا وتقاسمتها الدول الكبرى. واعتبر هذا المؤتمر بمثابة بداية لانهيار الدولة العثمانية التي سقطت في ١٦ رجب ١٣٤١هـ الموافق ٣ مارس ١٩٢٣م.

وبذلك جاءت فكرة الجامعة الاسلامية متأخرة، ولو أن السلطان عبد الحميد علق عليها أعذب الآمال في إنقاذ الدولة وإحيائها من جديد، ومن ناحية أخرى رأت معظم الشعوب الاسلامية أن مصلحتها في الوقوف وراء أقوى وأكبر دولة اسلامية، والتمسك بحركة الجامعة الاسلامية، أو على الأقل الترحيب بها والتطلع اليها وتأييدها (١).

ومن أجل ذلك واصل السلطان عبد الحميد تدعيمه لفكرته فعمل على إحياء لقب الخلافة وأحاطه بكل مظاهر الهيبة والوقار ثم خصص نصيباً واضحاً من ميزانية الدولة لبناء المساجد في البلاد العربية ودعم المدارس الدينية وبناء العديد منها وجعلها على درجة تستطيع بها منافسة المدارس الأخرى التنصيرية المنتشرة في أملاك الدولة العثمانية وخاصة في بلاد الشام. ثم عمل على زيادة مخصصات وإعانات العلماء، وأضاف الى المناهج الدراسية بعض العلوم الدينية الاسلامية واللغة العربية الى المدارس العلمانية التي أقامها الأجانب، وتتبع الارساليات الأجنبية التنصيرية واهتم بالمناسبات الدينية الاسلامية، وباللغة العربية وقرب إليه العديد من علمائها العرب، وأوكل إليهم وظائف هامة في الدولة العلية ومن أبرزهم الشيخ أبو الهدى الصياد وعزت باشا العابد. واستخدم السلطان عبدالحميد حقه في تعيين موظفين دينيين في الأملاك العثمانية المحتلة من قبل الدول الأجنبية ، مما يثبت حرصه على دوام صلته بالشعوب الاسلامية

---

١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، جـ ٣ ، ص ١٢٠٠

أكثر من حرصه بالارتباط بشخص الحكام، ويبدو ذلك أيضاً من تتبعه لأمور المسلمين الخاضعين لنفوذ أجنبي، واحتجاجه الدائم على كل ما يتعرضون له من قبل الدولة الأجنبية المحتلة. ولعل من أبرز ملامح التجاوب بين السلطان عبد الحميد والشعوب الاسلامية وخاصة العربية منها، تبرع المسلمين بنفقات خط سكة حديد الحجاز الذي أنشأه السلطان بين دمشق والمدينة المنورة بقصد دعم الترابط بين المسلمين وبين المنطقة المقدسة في الحجاز. مما يدل على نجاح فكرة الجامعة الاسلامية في أول عهدها.

ولقد ساند فكرة الجامعة الاسلامية كثير من العلماء حيث دعوا الى ضرورة التمسك بالإسلام والابتعاد عن الغرب الأوروبي وعدم الثقة في الدولة والتنبه لمخططاته العدائية(١). ومن دعاة الجامعة الاسلامية الذين ذاع صيتهم ، كل من جمال الدين الأفغاني ، وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم. وفيما يلي شرحاً موجزاً عن حركة جمال الدين الأفغاني.

جمال الدين الأفغاني(٢):

اعتبر جمال الدين من المؤيدين لفكرة الجامعة الاسلامية في الفترة الأولى من فترات ظهور هذه الدعوة، لما رآه من الاستعمار الغربي، حيث اجتاح الكثير من الأقطار العربية وأقطار العالم الاسلامي، فحاول الأفغاني أن يوقف هذا الزحف الاستعماري عن طريق تنظيم الحكومات الاسلامية القائمة وإدخال الأفكار والأنظمة الغربية التي كانت سر قوة الغرب، ثم توحيد صفوف المسلمين للوقوف صفاً واحداً في وجه المد الاستعماري الأوروبي المسعور والذي يمثل حركة صليبية نصرانية موجهة ضد الاسلام. وقد ظهرت في هذه المرحلة من حياة الأفغاني بعض التعبيرات

---

١) زكريا سليمان بيومي : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٤٢-٢٤٤

٢) ولد فى مدينة أسعد أباد من أعمال «كابل» عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م ويقال أن نسبه يرجع إلى الحسين بن على رضى الله عنهما ، درس علوم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الدينية والفلسفة فى كابل وقد أهلته هذه العلوم لأن ينال حظوة لدى الأمير «دوست محمد خان» والأمير أعظم خان وخلال عمله الإدارى اطلع على أبعاد الصراع البريطانى الروسى على بلاده ، فاكتسب بعداً جديداً فى الأمور السياسية ، وازداد هذا البعد من خلال جولاته التى قام بها فى كثير من البلاد الإسلامية حتى وصل إلى اسطنبول ومصر فانصهر مع فكرة الجامعة الإسلامية ، انظر زكريا سليمان بيومي، وعثمان أمين :عبقرية جمال الدين الأفغانى ، ص ٥٢-٥٣

في مقالات «العروة الوثقى» تحث على وحدة العقيدة الاسلامية مثل عبارات «غناء الاسلام عن القومية، لا جنسية للمسلمين الا في دينهم «وقوله.. واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها العربي بالتركي، والفارسي بالهندي والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية حتى أن الرجل منهم ليألم لما يصيب أخاه من عاديات الدهر، وإن تناءت دياره وتقاصت أقطاره، هذه صلة من أمتن الصلات ساقها الله إليكم وفيها عزتكم ومنعتكم وسلطانكم وسيادتكم فلا توهنوها» (١).

على أن جمال الدين الأفغاني عرف بالدعوة الى الجامعة الاسلامية التي ترمي الى اتحاد جميع الشعوب التي تعيش في كنف الاسلام لكي يتيسر لها التخلص من سيطرة الأجنبي. وقد قال الأفغاني بهذا الصدد «إن الدول الغربية تنتحل الأعذار في هجومها وعدوانها على البلاد الاسلامية وإذلالها وإكراهها، إن الممالك الاسلامية هي من الانحطاط والهوان بحيث لا تستطيع أن تكون قوامة على شئون نفسها بنفسها، في حين أن تلك الدول عينها لا تكف عن التذرع بألوان الذرائع، حتى بالحرب والحديد والنار للقضاء على كل حركة من حركات النهضة والإصلاح في البلاد الاسلامية. ومن ثم يجب على العالم الاسلامي أن يتحد في حلف دفاعي كبير ليستطيع بذلك أن يصون نفسه من الفناء». غير أن جمال الدين الأفغاني لم يكن يعني بالجامعة الاسلامية إحلال قومية الدين محل قومية القطر (أو رابطة الدين محل رابطة اللغة). وإنما كان يرغب في أن تتحد جميع الأقطار الاسلامية مع استقلال كل منها عن الآخر، لتحقيق هدف واحد، هو التحرير السياسي، ومن أجل النهوض بالوطن الأفغاني أو المصري أو التركي أو الفارسي. وكان الأفغاني يعمل على نهضة الاسلام الذي يتغلغل في الحياة السياسية والاجتماعية للأقطار الاسلامية المختلفة (٢)

يقول جمال الدين الأفغاني: «لا ألتمس بقولي هذا في الدعوة الى الوحدة أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان

---

١) محمود حسين صالح منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ١٠٤-١٠٥

٢) عثمان أمين : عبقرية جمال الدين الأفغانى ، (مجلة العربى ، العدد ٧٩ ، صفر عام ١٣٨٥هـ/ يونيو (حزيران) ١٩٦٥م) ، ص ٥٢-٥٨ . وسليمان الشواسي : الجامعة الإسلامية في نظر كل من جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد الثاني ، (المجلة التاريخية للدراسات العثمانية والمورسكية ، العدد الثالث ، ديسمبر ١٩٩١م) ، ص ١١١.

عسيراً، ولكن أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع، فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه»(١). والأفغاني بهذه الرؤية يصطدم اصطداماً مباشراً مع السلطان عبد الحميد لدرجة تجعل السلطان يتخوف من الأفغاني ويحسب له ألف حساب، حدث أن الأفغاني اقترح على السلطان عبد الحميد تحويل ولايات الدولة العثمانية الى خديويات على غرار خديوية مصر حيث تبقى كلها خاضعة للخلافة، ويأتمر كل خديوي بأمر السلطان (٢)، وقد استاء السلطان عبد الحميد من هذا العرض واعتبره خطوة للقضاء على حكم آل عثمان في العالم الاسلامي.

ثم تحول الأفغاني وبدأ يردد فكرة القومية فيقول: «لا سبيل الى تمييز أمة عن أخرى بلغتها، فالأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب»، ويتطرق الأفغاني الى قوله بأن «المسلم أو النصراني أو اليهودي في مصر والشام والعراق يحافظ كل منهم على نسبته العربية، فيقول عربي ثم يذكر جامعته الدينية والأغرب أن التركي والجركسي والأرناؤوطي وغيرهم من العناصر يستعرب متى وجد أو سكن في بلاد العرب بأقرب الأوقات ويمتزج في المجموعة حتى يقال أنه (عربي قح) ، ولقد أخذ الأفغاني يردد عبارة (جامعة اللسان) وأنه « لا جامعة لقوم لا لسان لهم.. وأن العرب ما نجحوا بفتوحاتهم بشكل الدين الظاهري فقط، بل بفهم أحكامه والعمل بآدابه، وذلك ما تم ولا يتم الا باللسان وهو أهم الأركان، وهو من أكبر الجوامع التي تجمع الشتات وتنزل من الأمه منزلة أكبر المفاخر، فكم رأينا من دول اغتصب ملكها الغير فحافظت على لسانها محكومة، وترقبت الفرصة، ونهضت بعد دهر فردت ملكها وجمعت من ينطق بلسانها اليها، والعامل في ذلك انما هو اللسان قبل كل شيء سواه، ولو فقدوا لسانهم لفقدوا تاريخهم ونسوا مجدهم، وظلوا في الاستعباد الى ما شاء الله» (٣).

وبشكل عام فإن تصور جمال الدين للجامعة الاسلامية قد تأثر بعاملين رئيسيين أولهما اشتراكه في المحافل الماسونية والثاني هو الواقع الفعلي الذي أصبحت عليه حال الأقطار الاسلامية بعد أن تقاسمتها الدول

---

١) محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث ، ص ٧٩
٢) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربي ، ص ٩٢
٣) محمود منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ١٠٧-١٠٨

الاستعمارية وبخاصة إنجلترا وفرنسا والسيطرة على أغلبها، ولهذا بدت رؤيته لهذه الجامعة وحدة سياسية تقوم على تعاون الحكام المسلمين لا على الشعوب، يكون سلطانهم القرآن الكريم ودرجة وحدتهم الدين على أن يحتفظ كل وطن اسلامي بملامحه القومية، وهو ما ارتكز عليه البعض في أن يلقب جمال الدين بأبي القومية ويعتبر هذا الاتجاه مناقضاً لدعوة الجامعة الاسلامية في نظر أتباع الفكر الاسلامي حيث لا يمكن قبول وحدة إسلامية في أطر قومية، كما أن ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعله يصطدم بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي غضب عليه وطرده خارج البلاد (١).

ولكن رابطة العقيدة الإسلامية هي الأقوى والأبقى لكل من جمعتهم هذه العقيدة. والأمة العربية، لا تفخر بكونها عربية، قبل كونها مسلمة ، فالإسلام هو الذي أخرجها من ظلمات الجاهلية وعبادة غير الله، الى نور الاسلام وعبادة الله الواحد الأعلى على العباد جميعاً، فلماذا تفخر هذه الأمة بالعروبة قبل الإسلام ؟ لقد كانت هذه الأمة تتيه في سبل التأخر والجريمة من قتل وحروب، وظلم للعبيد، ولم يعرف لها تاريخ مشرف إلا بعد اعتناق هذه الأمة لشريعة الإسلام الخالدة. أما اذا كان اليهودي والنصراني وغيره يعترف بعروبته قبل ديانته، فهذا لا ينطبق على المسلم ، وإنني لأتساءل هنا، هل يرتبط المسلم بجاره اليهودي أو النصراني - الذي تربطه معه رابطة اللسان (أي اللغة العربية) والقومية العربية - برباط أوثق من ارتباطه بالمسلم الباكستاني أو التركي الذي لا يعرف اللغة العربية؟؟..

لقد عرضت هذا السؤال على أكثر من ثلاثين شخصاً ممن عرفوا بالإعتدال والإسلام الصحيح، فكان الجواب أن المسلم يرتبط بأخيه المسلم أكثر، وهذا هو الواقع فعلا، وأيده الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قضى على منابع القومية والعصبية ، حيث قال : سلمان منا آل البيت، يقصد سلمان الفارسي ، وهو أقرب اليه من عمه أبي لهب المشرك الكافر الذي اتفق معه في القومية واختلف عنه في العقيدة.

إلا أن الأفغاني خالف هذه الحقيقة بقوله أن «لا جامعة لقوم لا لسان لهم، وأن العرب نجحوا في فتوحاتهم... ولم يتم ذلك الا باللسان.. الخ» . وفي الواقع أن المسلمين عندما نجحوا بفتوحاتهم الاسلامية، كانت جيوشهم تضم جميع الأجناس المسلمة من عرب وعجم وأحباش وروم ، وجاهدوا جميعاً في سبيل رفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولم

---

١) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين ، ص ٢٤٦-٢٤٧

يجمعهم سوى رابطة العقيدة الاسلامية ، تحت ظل القرآن الكريم ، وكان على المسلم أن يشعر بقضية أخيه المسلم في كل بقاع الأرض، فيتألم لألمه ويسعد لفرحه، واذا أصابته ملمة وقف الى جانبه، وأسرع لمساعدته بالمال والجهد والدعاء الذي يصدر من القلب .

وقد وجد من يعارض فكرة الجامعة الاسلامية بل ويهاجمها ويندد بدعاتها، عن طريق صحف المعارضة ، ولكنها لحسن الحظ لم تكن تعبر عن تيار شعبي في أي من البلاد الاسلامية، وكان أصحابها ومعظمهم من النصارى واليهود يحتمون بنفوذ الدول الأجنبية في بلاد الشام، حيث ساعدتهم هذه الدول بالأموال والمطابع للترويج لآرائهم .

ومما لا شك فيه أن الدول الأوروبية والمنظمات والجمعيات اليهودية قد تحالفت في ضرب فكرة الجامعة الاسلامية. ومع ذلك فقد حاولت بعض هذه القوى الاستفادة من هذه الفكرة وتوجيهها إلى ما يحقق أغراضها الخاصة، فحاول الانجليز مساندة تيار الجامعة الاسلامية واستخدامه في مقاومة التوسع الروسي، وفي نفس الوقت الاحتفاظ بولاء المسلمين في الهند عن طريق إبداء المساندة للدولة العثمانية ولخليفة المسلمين. كما سعى اليهود للتسلل من خلال زعامات ماسونية تتظاهر بتأييد الجامعة الإسلامية، والحفاظ على الاطار القومي للولايات العثمانية وعملوا من جهة أخرى على توجيه تيار العداء لدى الشعوب الإسلامية الى الشعوب الغربية النصرانية دون اليهود، على الرغم من دور العناصر والجمعيات اليهودية السرية في ضرب الاتجاه الاسلامي وتحطيم وحدة الدول الاسلامية.

ومن أهم الكتاب المعارضين لفكرة الجامعة الاسلامية نذكر منهم فرانسيس مراش الحلبي (١٢٥٢هـ-١٢٩٠هـ/١٨٣٦-١٨٧٣م) وهو نصراني كاثوليكي ، ورزق الله حسون (١٢٤١-١٢٩٧هـ/١٨٢٥-١٨٨٠م) أرمني، وجبرائيل دلال الحلبي(١٢٥٢-١٣١٠هـ/١٨٣٦-١٨٩٢م) وهو نصراني كاثوليكي وجميعهم من حلب ، وشلبي شميل(١٢٦٧-١٣٣٦هـ/١٨٥٠-١٩١٧م) وهو ملحد وعضو ماسوني ، ونجيب عازري ، وهو سوري تربى تربية فرنسية(١).

ويرصد بعض المؤرخين ظاهرة ارتباط الحركة القومية العربية بالحركة القومية التركية في المراحل الأولى من تطورهما، ويفسر البعض هذا الوفاق بأن دعاة الحرية في الحركتين قد التقوا على طريق مهاجمة

---

١) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، ص ٢٥٣-٢٥٦

السلطان عبد الحميد الثاني ووصفه بالاستبداد. إلا أن التفسير الحقيقي لهذا الوفاق غير الطبيعي، أنه رد فعل لنشاط حركة الجامعة الاسلامية التي أصابت المخططات الاستعمارية والاطماع اليهودية بالجمود المرحلي والارتباك الشديد. فليس من المقبول أو المستساغ التقاء دعاة القومية العربية الذين يهتفون للتخلص من حكم الدولة العثمانية ويؤكدون أحقية الجنس العربي في حكم ذاته وجذوره الحضارية العريقة، مع دعاة القومية التركية التي انجرف تيار كبير منها الى الدعوة لعثمنة الولايات العربية(١)

ولقد صورت أجهزة الاعلام الأوروبي للعالم السلطان عبد الحميد الثاني ، على أنه ذلك السلطان الأحمر ، الدكتاتور، الظالم الجاهل مصاص الدماء، عنوان الجهل والتخلف، وحمل ظلماً مسؤولية تدمير الدولة العثمانية. إلا أنه وجد من الكتاب الأجانب من نفى هذه الفكرة، فكتب جون هاسلب عن السلطان عبد الحميد يقول:«لقد استقبل مجيء السلطان عبد الحميد باحترام بالغ من الدول الكبرى، لجديته، وعدم انغماسه بالترف والملذات وتمضيته أكثر أوقاته في رفع شأن الدولة والقيام بالإصلاحات الأساسية، على الصعيد الاقتصادى والعسكري»(٢).

وعرف عن السلطان عبد الحميد رعايته لعلماء الإسلام، وتمسكه بأهداب الشريعة، وكان خير مدافع عن الاسلام، وتمثل ذلك في دعوته للجامعة الاسلامية، وقيامه بمد سكة حديد الحجاز الى جانب رفضه التخلي عن فلسطين لليهود والصهيونية العالمية. وكان هناك بالتأكيد مؤامرة دنيئة وراء خلعه من الحكم قامت بها الصهيونية والصليبية. وعرف عن السلطان عبد الحميد إخلاصه في عمله، وحرصه على الحصول على معلومات مفصلة عن كل صغيرة وكبيرة داخل الدولة وخارجها، محتفظاً لنفسه بحق اتخاذ القرارات حتى في توافه الأمور(٣). وطلب السلطان من سفرائه موافاته بتقارير عما تنشره الصحف ، وبما يقال في المجالس النيابية، وحفلات الأوبرا والتمثيليات التي قد تتعرض - ولو تلميحاً - للسلطان أو للدولة او للاسلام.

وفي عهده، تم مد جميع السكك الحديدية التي عرفها العالم العربي في العهد العثماني وأكثر خطوط التلغراف ، وفتح أكثر المدارس والمعاهد العالية في شتى أنحاء الدولة ، كما اهتم بزيادة نشاط الجامعات والكليات

---

١) زكريا سليمان بيومى : قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين، ص ٢٦٧
٢) رفيق النتشة : السلطان عبد الحميد الثانى وفلسطين ، ص ٤٩
٣) عبدالكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٤٨-٢٥٠

ونموها، وفي نفس الوقت، تزايد عدد المنتسبين الى المدارس والمعاهد الأوروبية وكثر المثقفون، كما ازداد الانبهار عند البعض منهم بالحضارة الغربية الوافدة وبالرفاهية على الطريقة الأوروبية. واهتمت الدولة بتحسين الزراعة وبأحوال الفلاحين، ولكن الصناعة لم تستطع منافسة البضائع الأوروبية فتدهورت. وازداد العجز التجاري وتراكمت الديون الأجنبية على الدولة. ولم تستطع إيجاد قوة كافية قادرة على حفظ الأمن الداخلي (١).

وقد واجه السلطان عبد الحميد الثاني القوى الأوروبية، وروسيا القيصرية التي كانت تطمع في الاستيلاء على دولته، ولم يكن يستطيع ردها الا بصلابة بعض وحدات جيشه أحياناً، وبصراع الدول بعضها مع بعض وتنافسها على اقتسام التركة أحياناً أخرى. وكانت تلك الدول بالمرصاد للسلطان عبد الحميد الثاني ، فما لبث أن تصدت له ألمانيا، بسبب دسائس ومكائد بسمارك الذي كان يرى تجزئة تركيا خدمة لمصالحه الخاصة، مما أسفر عن احتكاك دائم بين الدولتين القوتين المجاورتين لألمانيا وهما النمسا وروسيا. ورغم ذلك، فقد نظرت الدول الاستعمارية الى السلطان على أنه رجل شريف « لأنه لم يكن فاسقاً، ولا ظالماً، ولا قابلا للرشوة». وهكذا اندفعت الدول الأجنبية بنشاط مكثف في الدولة العثمانية، مستغلة الإرساليات التنصيرية المتسترة بالدين والخدمات الأخرى ، في إثارة الأقليات والطوائف المختلفة في بلاد الشام خاصة، وتوجيهها لخدمة سياساتها الاستعمارية.

ولم يكن السلطان عبد الحميد مرتاحاً الى المبعوثين والمرسلين الأجانب، بسبب المشاكل التي واجهته في الأقاليم ، ومن أهمها المشكلة الأرمنية. ولم يرجع السلطان عبد الحميد حركة التمرد الأرمنية لأوروبا وحدها، بل أيضاً لأمريكا، وبالأخص للمرسلين الأمريكيين الذين سبق لجده السلطان محمود أن سمح لهم بفتح المدارس والمعاهد في عدة أقاليم من الدولة العثمانية، وقيامها الى جانب بريطانيا بحماية المصالح البروتستانتية، تماماً كما فعلت فرنسا لحماية الأقلية الكاثوليكية ، وروسيا لحماية الأقلية الأورثوذكسية(٢).

فحاول السلطان عبد الحميد الثاني أن يعيد للسلطنة نفوذها القديم في عصر اتجه فيه العالم الى إشراك الشعب بتحمل المسئولية. وازداد عدد

---

١) عبد الكريم غرايبة : تاريخ العربت الحديث ، ص ٢٥١
٢) رفيق النتشة : السلطان عبد الحميد الثانى وفلسطين ، ص ٥٨

المتعلمين الذين غلبت على تفكيرهم السياسي أفكار أوروبا الغربية في الدستور والديموقراطية. وتعاون مع السلطان عدد كبير من الساسة الذين شغلوا مناصب الصدارة أو الوزارة ولكنهم كانوا يتوقون الى إعادة السلطة الى مجلس الوزراء وتقليص سلطة «المابين ويلدز»(١). واعتمد أكثرهم على الغرب لتحسين الأوضاع في بلادهم وللضغط على السلطان والحد من تدخله (٢). وهذا في حد ذاته يؤدي الى تدخل الغرب في الشئون الداخلية للدولة العثمانية. وقد كان مدحت باشا ورفاقه ممن اعتقد أن قيام الدستور سوف يعمل على حل جميع مشاكل الدولة، وتزول أسقامها التي تنخر في كيانها السياسي ، ولم يلبث السلطان عبد الحميد ، أن استجاب لهم، واحتفل العثمانيون بإعلان الدستور في ٦ ذي القعدة من عام ١٢٩٣هـ/٢٣ ديسمبر(كانون الأول) ١٨٧٦م أي بعد أربعة شهور من اعتلاء عبد الحميد العرش. وأصبح الصدر مدحت باشا هو العقل المفكر والمخطط والمسؤول عن إعداد الدستور واصداره وإجراء الانتخابات الأولى(٣). كما أمسى مدحت باشا أول ضحايا الدستور، فقد قرر السلطان بصفته الدستورية إعفاءه من منصبه، استناداً الى المادة (١١٣) من الدستور التي تخول الحكومة العثمانية إعلان الأحكام العسكرية عند حدوث أو توقع حدوث اضطرابات، وتمنح السلطان دون غيره «الحق في أن يطرد من الأراضي العثمانية الأشخاص الذين يعتبرون خطراً على أمن الدولة بناء على معلومات موثوق بها تجمعها ادارة الشرطة(٤). فكان مدحت أول رئيس وزراء عثماني يعزل بموجب أحكام الدستور الذي عرف باسم دستور مدحت. ولقد اشتركت مجموعة من المفكرين مع مدحت باشا في صياغة أحكام الدستور، وسميت

---

١) يلدز : معناها النجم وهو الاسم الذى أطلق على مجموعة القصور التى بدأ بناؤها فى عهد السلطان عبد العزيز على هضبة كبيرة تعلو قصر تشيرات من الغرب وتطل وتشرف على البوسفور. وتضم الهضبة غابات كثيفة وحدائق تخترقها أودية وجداول وتضم بحيرات وبرك. وأشهر الحدائق الداخلية التى يفصلها عن غيرها سور عال أشبه بأسوار الحصون. وشيد السلطان داخل هذا السور عدداً من القصور الصغيرة أهمها قصر المابين الصغير الذى كان سكناً للسلطان وضم مشغلا كبيراً للنجارة مارس فيه السلطان هوايته ، وصنع فيه عدداً من الخزائن وقطع الأثاث الآخرى المتقنة الجميلة. وأقيم فى الحدائق الخارجية عدد من القصور أهمها المابين الكبير قرب مدخل يلدز الخارجي والذى استخدمت قاعاته لاجتماعات الوزراء والسفراء

٢) عبد الكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٤٨-٢٤٩

٣) محمود منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ١٠٠

٤) عبد الكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٤٩.

هذه الاصلاحات بالمشروطية، أي مشروطية الحكم على حد تعبير العثمانيين(١).

وعلى كل حال فان عهد الحياة الدستورية لم يطل ، لأن السلطان عبد الحميد لم يأخذ بالدستور إيماناً به، وإنما أراد أن يفسد خطة التدخل الدولي في البلاد. ولقد أطاح السلطان عبد الحميد بالدستور في ربيع الأول عام ١٢٩٤هـ/مارس(آذار) ١٨٧٧م عندما أعلنت روسيا الحرب على الدوله، وتقدمت الجيوش الروسية الى ضواحي اسطنبول(٢). وأسفر ذلك عن هزيمة عثمانية كبيرة كانت مبرراً لفض الدورة البرلمانية وتعليق الجلسات التي كان السلطان قد افتتحها بنفسه في الدورة الأولى في قصر «ضولمـه بهجـه». وتم بعد ذلك عقد صلح مهين تلاه قرار سلطاني صدر بموجب أحكام الدستور يقضي على البرلمان وتعليق بعض أحكام الدستور. وبدا منطقياً أن يستنتج وزير الولايات المتحدة المفوض في اسطنبول بأن قيصر روسيا فرض على السلطان هذه الأمور، وبدا السلطان عبد الحميد دستوري الاتجاه ولكن الأحداث كانت أقوى منه فأملت عليه ما فعل. ووعد بأن الدستور قائم وسيعاد العمل بأحكامه في أقرب فرصة ممكنة. ولكن هذه الفرصة لم تحن الا بعد ثلاثين سنة(٣).

مواقف مشرفة للسلطان عبدالحميد الثاني:

من أهم ما عرف للسلطان عبد الحميد الثاني ، موقف مشرف له أعمق الأثر في الدولة العثمانية عامة بل والعالم العربي خاصة وقضية فلسطين بوجه أدق، وهو موقفه تجاه الأطماع الصهيونية العالمية في فلسطين، ذلك الموقف الذي تجلى في أكثر من مناسبة ، وبدأت عندما ساءت أحوال اليهود في روسيا(٤) على إثر اغتيال قيصر روسيا عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م فطلبت جمعية محبي صهيون في جمادى الآخرة عام ١٣٠٠هـ/ أبريل(نيسان) ١٨٨٢م من القنصل العثماني العام في «أوديسا» منح المهاجرين اليهود سمات دخول

---

١) عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها جـ ٤ ، ص ١٧٧٠

٢) زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٣٢-٢٣٣. ومحمود منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ١٠٠-١٠١

٣) عبدالكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٥٠

٤) محمود منسى : تاريخ الشرق العربى الحديث ، ص ١١٨

الى الدولة العثمانية بغرض الاستيطان في فلسطين، وقد لفت انتباه القنصل العثماني زيادة عدد المهاجرين ، فأبرق الى الباب العالي سائلا تعليماته حول الموضوع، وجاء رد الحكومة في ١٩ جمادى الآخرة عام ١٣٠٠هـ/٢٨ ابريل(نيسان) ١٨٨٢م بعدم السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين، وأن بإمكانهم الاستيطان في ولايات الدولة الأخرى، شريطة أن يكونوا رعايا عثمانيين، وأن تطبق بحقهم القوانين العثمانية.

وعندما قام سفير الولايات المتحدة في اسطنبول بالتوسط لليهود وأجرى محادثة مع ناظر الخارجية العثمانية في ٥ شعبان عام ١٣٠٠هـ/١٢ يونيه(حزيران) عام ١٨٨٢م أجاب الأخير أن الموضوع لا يزال تحت نظر السلطان عبد الحميد الثاني وأن مجلس الوزراء العثماني يسمح لليهود بالاستيطان في أي مكان من الدولة باستثناء فلسطين. فبإمكان اليهود الإقامة حول حلب، وما بين النهرين في جماعات من ٢٠٠-٢٥٠عائلة (١).

ومع ذلك ففي ٢٢ شعبان من عام ١٣٠٠هـ/٢٩يونيه(حزيران) ١٨٨٢م أبحر بعض هؤلاء اليهود المتجمعين من اسطنبول في طريقهم الى يافا وفي اليوم نفسه تلقى متصرف القدس برقية من حكومته تأمره بألا يسمح لأي يهودي من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن تطأ قدماه أرض فلسطين ، كما اتخذت إجراءات المنع ذاتها في اللاذقيه وبيروت وحيفا. وبعد ستة أشهر أخطرت البعثات الدبلوماسية لدى الباب العالي رسمياً بقرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان واستقرار اليهود الروس في فلسطين.

وفي عام ١٣٠١هـ/١٨٨٤م أصدرت الحكومة العثمانية تعليمات أخرى من أجل السماح لليهود بدخول فلسطين على ألا تزيد إقامتهم على ثلاثين يوماً، وعندما احتجت معظم الدول الأوروبية في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م على هذه القيود أطال الباب العالي الفترة المسموح بها للزوار اليهود بالإقامة في فلسطين الى ثلاثة شهور.

وهكذا كان قرار الباب العالي في عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م أول قرار جدي تفرضه الدولة لوضع حد لتيار الهجرة اليهودية الذي أخذ يتدفق على فلسطين، وجاء ذلك بعد أن تحقق الباب العالي من الخطر الذي يكمن وراء استيطان اليهود بأعداد كبيرة في الأماكن المقدسة.

---

١) عبد العزيز محمد عوض : مقدمة فى تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤، ص ٤٨

ومما ساعد في إصرار الحكومة العثمانية على اتخاذها هذا الاجراء ، ما انتشر من أخبار تفيد بأن اليهود في أنحاء العالم بدأوا يدعمون جماعاتهم في القدس وما جاورها بهدف إقامة مملكة يهودية في المدينة المقدسة. الى جانب ما ساور السلطان عبد الحميد الثاني من الشكوك بسبب هجرة اليهود الواسعة الى فلسطين في غضون السنوات التي سبقت منع الهجرة.

ولكن الحكومة العثمانية، ما لبثت أن تراجعت أمام ضغط بريطانيا عليها فأضطرت الى التصريح بأن التعليمات الجديدة لن تطبق الا بحق المهاجرين بأعداد كبيرة. ولو أن الدولة العثمانية على الرغم من ذلك بقيت متشبثه بقرار المنع، لأنها ظلت تخشى أن تؤدي الأعداد الكبيرة والمتزايدة من المستوطنين اليهود في فلسطين الى تمكين اليهود في المستقبل من الإدعاء بالحماية الأجنبية، ثم التصرف وفقاً لرغباتهم دون أن يكون للدولة سلطة عليهم (١)

ونظرا لضعف الحكومة العثمانية من جهة، وازدياد تآمر الدول الاستعمارية عليها من جهة ثانية، فقد كانت تلك القوانين والتشريعات تقابل بالمعارضة والمحاربة من تلك الدول التي كانت تعمل جاهدة على ترسيخ المشروع الصهيوني الاستعماري. وكثيراً ما كانت تتحدى الباب العالي في معارضتها لتلك السياسة العثمانية (٢).

وفي الواقع فإن الموجة الأولى من الهجرة اليهودية الى فلسطين بدأت قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية أي في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ولكن قبل ذلك قامت هيئات يهودية في الاستيلاء على الأراضي في فلسطين.. وإقامة مؤسسات اجتماعية واقتصادية فيها. وهكذا على سبيل المثال، استولت جمعية الإليانس الاسرائيلية على حوالي ٣٠٠٠ دونم من أراضي قرية يازور القريبة من يافا وأقامت عليها مستوطنة مكفية يسرائيل في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠هـ وفي عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م أقيمت مستوطنة بتيح تكفا (ملبس) وكان قد اشترى أرضها قنصل ألمانيا في يافا وتسارعت عملية إقامة المستوطنات اليهودية في سنوات الثمانين. وكتب أهرون كوهين في كتابه «اسرائيل والعالم العربي»: «ان بين عامي ١٢٩٩- ١٣٠١هـ/١٨٨٢- ١٨٨٤م وضعت الأسس لبناء المستوطنات الآتية : ديشون لتسيون ، زخرف يعقوب ،

---

١) عبدالعزيز عوض : مقدمة فى تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٠-٥١. ورفيق النتشة : السلطان عبد الحميد وفلسطين ، ص ١٧٢

٢) رفيق النتشة : المرجع السابق ، ص ١٦٨

روش يبنا، نيس تصيوتا، عكرون، يسودها معلا جديرة..»، ولم تتوقف عملية الإستيطان اليهودي الكولونيالي في سنوات التسعين ومابعدها. وحسب بعض المعطيات أقيمت ٣٢ مستوطنة زراعية يهودية على مساحة ٣٠٠ ألف دونم حتى عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.

وهكذا نرى أن موقف المعارضة الصريح لحكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي قام به اليهود، كان من أصعب وأخطر ما واجهته الدولة العثمانية ، ومن أخطر النتائج التي تمخضت عنها البعثات الأجنبية وأثرت على بلاد الشام وعلى جميع ولايات الدولة العثمانية، تمثلت في موقف اليهود، ودعم وتأييد جميع الدول الأجنبية لهم ، رغم صمود السلطان عبد الحميد طوال فترة حكمه، في مقاومة أطماع اليهود في فلسطين وغيرها من أقطار ولايات الدولة العثمانية (١). ونجحت الحركة الماسونية بمساعدة القوى الاستعمارية في تحقيق أهدافها وضرب الخلافة الاسلامية.

ويعتبر عداء الدول الأوروبية واليهود للعثمانيين - باعتبارهم خلفاء المسلمين ورمز وحدتهم وقوتهم - شيء تقليدي ، لأنهم يرون في الخلافه شبحاً مخيفاً يمثل خطراً داهماً على مخططاتهم في المنطقة الاسلامية كلها، فعمل اليهود بكل ما تفتق عنه ذهنهم الصهيوني الحاقد على الاسلام والمسلمين، حتى أن بعضهم كان يعتنق الاسلام في الظاهر ويحمل اسماً إسلامياً ليخدع به المسلمين ويصل به الى أعلى المناصب في الدولة، الى جانب الدعاية الكاذبة ضد الدولة العثمانية في جميع أنحاء أوروبا ودعوتها بالرجل المريض الذي لا يرجى شفاؤه وبهذا تمكنت العناصر اليهودية من تخريب وتدمير صرح الخلافة الاسلامية لتستبدله بما يروق لها من العناصر الموالية لها، والتي تحقق أهدافها المستقبلية في بلاد الشام وبلاد المسلمين عامة.

المهم أنه عندما أفلت الزمام من يد السلطان عبد الحميد الثاني وانتهى عهده، بدأ عهد جديد من عهود الطغيان هو عهد تركيا الفتاة الذي انتهى بانتهاء الدولة العثمانية، ووقوع البلاد العربية في قبضة الاستعمار والصهيونية. وكان لتولى جمعية الاتحاد والترقي أبعد الأثر على الدولة العثمانية ، حينما كانت تسعى الى تتريك الشعوب العثمانية، وتم ذلك عن طريق الارهاب وارتكاب أنواع من المظالم فاقت كل حد، مما ساعد في

---

١) سعيد الغامدى : موقف المعارضة فى المشرق العربى ، ص ٢٠١ ؛ وزكريا سليمان بيومى ، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، ص ٢٧٢

تحريك القضية العربية من مجرد دعوة الى إصلاح اللامركزية في أنظار الدولة العثمانية الموحدة الى حركة سياسية ترمي الى استقلال البلاد ثم الى ثورة مسلحة ضد العثمانيين(١).

ومن الآثار الهامة التي نشأت عن دخول الارساليات الأجنبية الى بلاد الشام أن شهد القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، عصراً للأطماع الأوروبية المفضوحة في الدولة العثمانية، حيث تدخلت في شئون البلاد تحت أقنعة متعددة ، مما أدى الى سقوط الخلافة العثمانية ، وهذا أدى الى آثار عديدة سيئة في العالم الاسلامي. وكان أولها نمو وازدياد حركة التنصير في البلاد الاسلامية عامة ، وبلاد الشام خاصة. ولقد وجد في أحد أديرة لبنان بطريق الصدفة في عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م أن الوصايا العشر منشورة باللغة الفرنسية ، «من الدولة الأم فرنسا الى أبنائها النصارى... »، وفيه دعوة للسيطرة على رئاسة الجمهورية والجيش والسياسة ودور النشر والنقابات والتقرب الى ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الشخصية ومنع الجنسية اللبنانية عن المسلمين، (مع العلم بأن النصارى أقلية بالنسبه للمسلمين في لبنان) وقد تحقق لفرنسا ما أرادت لجبل لبنان، وأصبح الحاكم نصرانياً فعلا بعد ذلك ، لأن لفرنسا دوافعها الحقيقة في لبنان، الى جانب الأطماع الأوروبية في بلاد الشام ، وبلاد المسلمين عامـة(٢).

وتعتبر الدوافع الحقيقية لتلك الدول هي رعاية مصالحها داخل أملاك الدولة العثمانية وضرب الخلافة الاسلامية التي ترعبهم - على ضعفها - والتي يمثل وجودها خطراً كبيراً على مصالح الدول الكبري آنذاك ومصدر الخطر عليها، وأن ضعف الدولة العثمانية قد أغرى بعض الدول الأوروبية المتنافسة على اقتسام أملاكها فيما بينهم ، لتحقيق مطامعهم الخاصة على حساب البعض الآخر (٣).

ويجب على كل مسلم ألاّ يغيب عن ذهنه لحظة واحدة أن الاستعمار الأوروبي للشرق كان من روح صليبية معادية أشد العداء للاسلام والمسلمين، وأن تعاوناً صليبياً شاملا قد تم بين الدول النصرانية لتمكينها

---

١) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية ، دراسة للقضية العربية فى خمسين عاماً ١٨٧٥-١٩٢٥م (الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التوفيق للطباعة ، والجمع الآلى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ٢٠٩

٢) محمد محمود خضر : الصليبية والاستشراق ، ص ١٨

٣) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية ، ٢٠٥-٢٠٨

من استعمار الشرق الاسلامي كله وسلب حريته وثروته، وتمكين دول أوروبية صغيرة من استعمار دول إسلامية كبيرة والقضاء على عقيدة المسلمين.

قال مستر جلادستون الانجليزي الحاقد: «يجب إعدام القرآن» وجاء عنه أن «العالم النصراني على اختلاف أممه وشعوبه عرقاً وجنسية ، هو عدو قاس مناهض للشرق على العموم وللاسلام على الخصوص، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً على دك الممالك الاسلامية ما استطاعت الى ذلك سبيلا. والروح الصليبية كامنة في صدور النصارى كُمُون النار في الرماد وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم. كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقراً في عناصرها متغلغلا في أحشائها متمشياً في كل عرق من عروقها، وهي أبداً ناظرة الى الاسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الديني الممقوت، وجميع هذه الشعوب النصرانية مجمعة ومتفقة على عداء الاسلام، وسحق المسلمين». إنه العداء الديني ليس في ذلك شك، ولقد أخفى الغربيون ذلك حتى لا تشعر الدولة الاسلامية عما يحاك ضدها في الظلام، ولا يحس المسلمون بالخطر الذي يتهددهم فيتحدوا ويتعاونوا لمقابلة هذا العدوان، والغرب حريص على أن يبذر بين الدول الاسلامية بذور الشقاق، حتى يتمكن من استذلالها واستعمارها الواحدة تلو الأخرى (١).

ومن الثابت تاريخياً أنه لم تسلم من الاستعمار أية دولة إسلامية ، ولكنه لم يمتد لأية دولة نصرانية، مما يدل دلالة واضحه على أعمال المخطط الخبيثه للسيطرة على بلاد المسلمين، والقضاء على عقيدتهم ، حتى لا يتحدوا ويقفوا يوما ضد مطامعهم. ولقد سعي الصليبيون لزرع إسرائيل في قلب العالم العربي والاسلامي عبر تخطيط طويل صنعته الحركة الصليبية، لتهب هذه المنطقة الى إسرائيل ، ليس فقط من أجل اليهود، بل من أجل الصليبيين أنفسهم وتحقيقاً لأطماعهم ضد المسلمين، وذلك بخلق الأشواك في طريقهم تحول دون استقرارهم وتقدمهم (٢).

والغريب أن اليهود ينكرون فضل الدول الاستعمارية عليهم وفضل النصارى في مساعدتهم وخصوصاً الانجليز منهم، فيقول وايزمان في مذكراته بصلف وكبرياء: «نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا بفلسطين ، وقد انتدبنا الانجليز لحكمها، واستعنا في هذا بعصبة الأمم، فنحن الذين

---

١) أحمد شلبى : الحروب الصليبية ، ص ١٤٣-١٤٥
٢) أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص ١٥٤

سلمنا فلسطين للانجليز مؤقتاً، وليس الانجليز هم الذين وهبوها لنا(١).

لقد كانت الدول العربية بالأمس تواجه احتلالا صليبياً، بريطانياً وفرنسياً موقوتاً مهما طال مداه، ولكنها اليوم تواجه قوة فرضت عليها بحد السلاح لتهيء وطناً في قلب العالم العربي لملايين اليهود الذين ظلوا هائمين على وجوههم زهاء ألفي عام، وهذا وضع لم يشهده الشرق العربي منذ أن حرر صلاح الدين بيت المقدس وقضى على آخر الدويلات الصليبية في العصور الوسطى، ليعيد الى المنطقة العربية والاسلامية وحدتها (٢).

وماذا بعد !! هل كفت الدول الأجنبية والصهيونية العالمية عن الكيد للعالم الاسلامي؟ والجواب ، لا ... لا يمكن أن يكون هذا ، وفي قوله تعالى ما يكشف خبايا أنفسهم. قال تعالى: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» (٣). ويعترف أحدهم، فيقول المنصر الألماني هانز: «لم يحدث أن اتفقت الكنائس واتحدت إلا في هذا العصر الذي اتخذ فيه الجميع خطة تنصير المسلمين أقنوماً رابعاً يضاف الى الأقانيم الثلاثة التي تقوم عليها عقيدتنا نحن المسيحين» (النصارى) .وتتمثل قمة الحقد الصليبي الذي لا ينتهي عند حد، في رغبتهم للوصول الى أهم مقدسات المسلمين وسحق العقيدة الاسلامية، في قول أحد منصريهم ممن يملأ السواد قلبه على الاسلام والمسلمين : «لن يتوقف سعينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في مكه! ويقام قداس الأحد في المدينة !!.

الله أكبر، الله أكبر أين المسلمون، هل يطيق المسلمون أن يقرأوا مثل هذه السموم وإلى أي مدى يستطيعون الصبر، ان الطيبة والبساطة في المسلمين لا تبرر سكوتهم على أمثال هذا الحقد وتلك الكراهية العمياء لأن اعداءنا قد علموا مواطن ضعفنا. يقول أحدهم ويدعى جون آدامز: « ان في المسلمين طيبة وبساطة فاذا رغبت في امتلاكهم والسيطرة عليهم ، فاختر لهم من اللغة أعذب الكلمات واظهر أمامهم في صورة الضحية المتلهفة الى الحماية والنجاة..» (٤).

---

١) أحمد شلبى : الحروب الصليبية ، ص ١٦٢
٢) محمد الخير عبد القادر : نكبة الأمة العربية ، ص ٢١٤-٢١٥
٣) سورة البقرة ، آية ١٢٠
٤) عبدالودود شلبى : حقائق ووثائق، عن الحركات التنصيرية فى العالم الإسلامى ، ص ٥-١٧

ولكن هل توقف الحقد الصليبي على عرين الاسلام ؟ أم ظل متمادياً أكثر مما كان ؟؟ ستعرفون الإجابة على تساؤلنا فقط بإمعان النظر في أحوال أكبر عدوين لدودين في القرن الرابع عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، حيث يتفقان في هدف واحد مشترك وهو ضرب المسلمين، فقد نشرت مجلة الشئون الخارجية Foreign Affairs , 1985 (الأمريكية) في عام ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م مقالا خطيراً كتبه ريتشارد نيسكون رئيس الولايات المتحدة السابق جاء فيه Russia and America should join hands to fight the rising tide of Islamic Fundamentalism . ومعنى تلك العبارة: «روسيا وأمريكا يجب أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الصحوة الاسلامية»(١).

اذا كان هذا من الآثار المترتبة على قدوم الإرساليات الأجنبية الى بلاد الشام في القرن الماضي، بالعمل الدؤوب على تمزيق العالم الاسلامي وزعزعة القيم الاسلامية عندما أنبلج عنها الصبح بعد قرن كامل من الظلام الدامس، والحقائق تتضح أمام المسلمين كل يوم وتحت ضوء الشمس.

جاء في جريدة الفتح التي أنشئت في عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م أن أحد المسلمين الغيورين من بلاد الشام قد طلب الى صاحب الفتح الشيخ محب الدين الخطيب أن يلخص مقالا نشرته جريدة القبس الدمشقية الشهرية، قال الكاتب : ان اضرار التنصير في بلادنا لا تحصى، فعلاوة على تفريقه النصارى أنفسهم الى كاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس وسريان الخ.. وكل فريق يكره الآخر ويطلب له الانقراض، فانه الى جانب ذلك يعمل على فتح باب العداء بين النصارى والمسلمين بما يقوم به أفراد المنصرين.

ثم قال : كان لي في المدرسة بضعة أصحاب من قريتي «الحفر وصدد» الواقعتين بين دمشق وحمص، وبعد مرور ثلاث سنوات على مغادرتنا المدرسة قُدّر لي مشاهدة أحدهم، وبعد السلام سألته عن عمله فأجاب: مبشراً (منصراً) بالدين البروتستانتي. وهنا سقط الرجل من عيني لارتياده مورد رزق يقوم على شقاء الوطن، وسألته: وكم راتبك الشهري؟ أجاب ثماني ريالات عثمانية، وأين تقوم بعملك (العمل التنصيري)؟ أجاب في دمشق. فهزتني دهشة عظيمة وأجبته أفي دمشق قلب الحكومة العربية الاسلامية وعاصمة الخلافة الأموية، وأعظم مركز اسلامي لبث الدعاية، تؤمل أن ترى أنصاراً؟

---

١) أحمد شلبى : الحروب الصليبية بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن ، ص ٢٠

وهل توفقت لاستمالة أحد! فأجاب كلا، وانما قريباً سأوفق. تركته وأنا أفكر في جنون من يرسلونه للتنصير في دمشق أيفكر جماعة المنصرين أنه من السهل أن يقنع المسلم بأن الأب والابن والروح القدس هم ثلاثة آلهة متحدون في واحد، بينما معظم النصارى أنفسهم لا يعتقدون بهذه القضية، (وهم بحاجة لمن يبشرهم بالدين الحق). اذن ليس للمنصرين سوى طريقة واحدة هي المال. والمال يسدل على بصائر ضعاف المبادئ ، حجاباً ضعيفاً يعميهم عن رؤية الحق. وليت المنصرين علموا أن الدين الذي يتاجرون باسمه ، يتبرأ منهم ومن أنصاره الذين يقبلون عليه لا رغبة في فضائله، بل طمعاً بالمال ينالونه باتباعه، والرجل الحقيقي هو من دان بأحد الأديان حباً بفضائله لا سعياً وراء الكسب.

ويقول محرر الفتح وقد فاتحت صديقاً لي بأمر المنصر«الحفرى» فأخبرني أن أحدهم بصق في وجهه عندما دعاه للنصرانية. فانبسطت أسارير وجهي وقلت: قد نال بعض جزائه(١). ويعتبر هذا الرد من المسلم الذي بصق في وجه النصراني الذي يعرض عليه النصرانية، هو من قبيل ردود الفعل العامة من قبل المسلمين في بلاد الشام تجاه جماعة المنصرين.

جاء في مجلة الدعوة تقرير عن النشاط التنصيري في الشرق الأوسط بعثته اليها الندوة العالمية للشباب الاسلامي بالرياض، وقد أعدت هذا التقرير المؤسسة الاسلامية في ليستر بإنجلترا. وإليكم بعض ما جاء في هذا التقرير الخطير:

١- لصعوبة دخول المنصرين بصيغتهم العقائدية الى دول الخليج فان المؤسسات التنصيرية بدأت بتنفيذ خطة لادخالهم، وذلك عن طريق العمل في الوظائف المهنية مثل الطب والهندسة وغيرها، والى جانب أعمالهم المهنية يقوم هؤلاء بمهمة التنصير بين المسلمين دون الظهور في زي المنصرين.

٢- صدرت في امريكاحديثاً مجلة تنصيرية تهدف الى نشر النصرانية بين الشباب الناشىء وتطبع ٣٠ الف نسخة، ويقولون إن قرّاءهم قد بلغوا ٢٥٠ ألفاً في دول الشرق الأوسط!!

---

١) محب الدين الخطيب : مصيبة الشرق بالمبشرين (جريدة الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٦١ ، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) ، ص ٢٦٢

٣- توجد لدى الجمعيات التنصيرية في الشرق الأوسط أجهزة (فيديو) بعدد أكبر مما هو عند الجمعيات التنصيرية الأخرى في العالم وقد قررت جمعية M.E.C.O. Media التنصيرية استقدام الأيدي الفنية من مختلف أنحاء العالم للجمعيات التنصيرية حتى تتمكن من استعمال الفيديو بصورة أفضل، في أعمال التنصير ، كما تم إنشاء لجنة دائمة مكونة من مجموعة من المستشارين لهذا الغرض(١).

٤- اجتمع ٥٠ من القادة المنصرين وأكثرهم من دول الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا لتبادل الآراء والتشاور فيما بينهم حول الوجود النصراني في الشرق الأوسط وقد أنشأت جمعية الكنائس ببيروت مع مؤتمر الكنائس الأوروبية لجنة مشتركة للعمل وعقدت اللجنة أول جلسة لها في شهر فبراير١٩٨٣م.

٥- قررت جمعية Middle East Out-Reach استقدام الموظفين لأربعين وظيفة خاصة وهي وظائف مدرسين لمصر وممرضات للسودان وأطباء وممرضات للوظائف الحكومية مع اغرائهم بفرصة العمل خارج الدوام في الدول الخليجية، كما تم افتتاح كنيسة جديدة يوم ٢٢ جمادى الأول عام ١٤٠٤هـ/٢٥ فبراير(شباط) ١٩٨٣م على بعد ٨ كم من وسط مدينة أبوظبي!!

٦- يقوم رجال الكنائس بإعداد مقرر دراسي لتدريب المنصرين للعمل بين مسلمي آسيا ويكون التدريب لمدة ٣ شهور في (المعهد العالمي الصيفي للدراسات الاسلامية) ويقوم بالتعاون المشترك بين الكاثوليكية والبروتستانتية.

٧- يذاع الآن من لبنان برنامج صوت الأمل حوالي ٢٤ ساعة برغم الصعوبات التي تواجهها بسبب الغزو الاسرائيلي! كما يستطيع ٦٠ مليون شخص في العالم العربي على الاقل الاستماع الى تعليمات الأناجيل من اذاعة مونت كارلو ومن قبرص يومياً من قبل جمعية Middle East Lutherian Ministry

٨ - تقوم جمعية Middle East Media في لبنان بإعداد مقررات دراسية

---

١) عبد القادر طاش : مؤسسات الدعوة الإسلامية فى مواجهة التنصير ، (مجلة الدعوة ، عدد ١٢٧ ، بتاريخ ١٤٠٤/٤/٢٧هـ) ، ص ١٩

بالمراسلة للمسلمين خاصة ، وتدّعى جمعية لوتريان منسترى للشرق الأوسط بأنها سجلت أسماء عشرة آلاف شخص يريدون دراسة برنامج الدراسة النصرانية بالمراسلــة (١).

ولكن لم تكتف الدول الأجنبية عن القيام بوسائلها المختلفة لنشر النصرانية في بلاد الشام، كما تحاول في غيرها من بلاد المسلمين، حيث أن الشرق مملوء بالمنصرين الذين يستمدون الخطط والتعليمات الخبيثة من المراكز الرئيسية في عواصم أوروبا، وليست هذه التعليمات الا نتيجة بحوث هامة وبراعة فائقة في فروع العقائد لإلقاء بذور التعصب بين أبناء الوطن الواحد، كي يهيض جناحهم ويبقوا عبيداً للعتاة الظالمين.

ان المنصرين الذين يعتدون على الدين الاسلامي إنما يمهدون السبل للاستعمار ويعبثون بالأمن العام، ومثل هؤلاء يجب أن تنظر اليهم الحكومة نظرتها للصوص الطرق والقتلة الآثمين (٢).

وأخيراً نرى أن نطلق هذا النداء للعالم الاسلامي أجمع - والمسلمون هم الهدف الرئيسي للمنصرين، الذي سبق وأطلقه الداعيه الاسلامي الكبير، محب الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح في أوائل هذا القرن : يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. يامن خاطبهم الله في كتابه العزيز بقوله «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» (٣). يا من أجابوا دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين ، وما ينطق عن الهوى ، قال تعالى «إن هو إلا وحي يوحى»(٤). إليكم نبث خالص النصيحة ونحذركم مما حذركم منه رب العالمين بقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين» (٥). ذلك الفريق، أولئك القوم الذين لا أخلاق لهم، الذين هم مأجورون لنشر دعايتهم التي يرمون من ورائها خدمة الاستعمار ومحاربة دين خير البرية دين الاسلام. نحذركم أن يضلوكم. قاطعوا مجتمعاتهم، انهوا الناس عن الاقتراب منهم، حذروا من

---

١) عبدالقادر طاش : مؤسسات الدعوة الإسلامية ، ص ١٩
٢) محب الدين الخطيب : التبشير عمل استعمارى ، (جريدة الفتح ، العدد ٥١ ، السنة الأولى ، غرة محرم ١٣٤٦هـ/ ٣٠ يونيو ١٩٢٧م) ، ص ٨
٣) سورة آل عمران ، آية ١١٠
٤) سورة النجم ، آية ٤
٥) سورة آل عمران ، آية ١٠٠

وضع أطفال المسلمين في مدارسهم لئلا يقعوا في حبائلهم الخاسرة «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»(١).

ابتعدوا عن مجامع التنصير، فانها معاهدهم لنشر النصرانية، وأشراك التكفير. وقوموا بواجب النصح نحو اخوانكم، وأذكوا نار الحماسة في نفوسكم، واستشعروا عظيم المسئولية عند ربكم. ألا لا يخدعكم القوم وهم الأجراء، ولا يلفتوكم عن دينكم وهم في شك من دينهم بالجدل والمراء ، وهاهم قد انتشروا بينكم انتشار الوباء وتفرغوا لإتقان الحيل في اصطياد الضعفاء (٢).

وبهذا يكون لزاماً على المسلمين - سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات أو حكومات - التفكير الجدي والتحرك العملي لمواجهة الهجمة التنصيرية التي تتوالى بعثاتها الى العالم الاسلامي. بحيث هددت المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم من قبل مؤسسات تنصيرية كبرى ذات أهداف واضحة ومخططات مدروسة وامكانيات مادية وبشرية واسعة. واذا لم يتحرك المسلمون بجدية وفعالية بعيداً عن الخطب الحماسية والعاطفية، وخوض المؤتمرات الكلاميه فان أجيالهم الحاضرة والقادمة معرضة تعرضاً فعلياً لتيارات رهيبة من الغزو العقدي والاستعمار الفكري. ليس فقط في بلاد الشام وحدها، ولكن تلك البعثات التنصيرية قد تجاوز هدفها الاستغلالي وحب السيطرة الى محاولة الوصول الى أغلى المقدسات الاسلامية وأعزها على نفوس المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، بعد أن دنست أرض ثالث الحرمين الشريفين - بيت المقدس.

---

١) سورة البقرة ، آية ٢١٧

٢) محب الدين الخطيب : نداء إلى إخواننا المسلمين للتحذير من مكايد المبشرين ، سماسرة الاستعمار والتنصير ، (جريدة الفتح ، العدد ١٠٧ ، تاريخ ١٦ صفر ١٣٤٧ هـ/ أغسطس ١٩٢٨م) ، ص ٤

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

باستعراضنا لنشاط الإرساليات الأجنبية المختلفة الى بلاد الشام نجد أنها تنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية هي كالتالي:

١- الارساليات الكاثوليكية وتدعمها كل من فرنسا والنمسا وايطاليا.
٢- الارساليات البروتستانتية وتدعمها كل من بريطانيا وأمريكا وألمانيا.
٣- الارساليات الأرثوذكسية وتدعمها روسيا.

وهذه الارساليات تتكون في الغالب من عنصرين هامين هما: المستشرقون والمنصرون ، وكان لهما دورهما البارز في تنشيط حركة الارساليات الأجنبية وذلك عبر قنوات ملتوية تهدف لمساعدتها في تحقيق أهدافها التنصيرية والاستعمارية.

فمن خلال تتبعنا للوثائق والمصادر المختلفة والتي تم الاعتماد عليها في هذا الموضوع تبين لنا بوضوح مدى الحقد الصليبي واليهودي على عقيدة الاسلام، ونبي المسلمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبينت أيضاً مدى اهتمام الغرب واستعداده لبذل ما لديه من القوة المادية والمعنوية لهذا الغرض .

كما أنه باستعراضنا لأحوال بلاد الشام خلال تلك الفترة، رأينا مدى تدهور الحالة السياسية وكثرة المنازعات والفتن بين ولاتها، مما شجع الدول الأجنبية على الدخول الى تلك البلاد، لاستغلالها سياسياً واقتصادياً. فقامت تلك الدول بدعم إرسالياتها الى لبنان وفلسطين وسوريا والأردن بشكل مكثف. فكان تركيزها على لبنان وفلسطين، وبالأخص على الأماكن المقدسة، أكثر من سوريا. أما الأردن ، فقد بدأت فيها الإرساليات مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وقد سعت فرنسا الى إقامة دولة مارونية في جبل لبنان كما سعت بريطانيا الى إقامة دولة درزية في جبل الدروز، علماً بأن العمل التنصيري في بلاد الشام بدأ نشاطه قبل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وجندت الكنائس المختلفة منصريها على مر القرون للقيام بهذا العمل.

ولقد كان للدول الأجنبية دوافع وأهداف شريرة تسعى لتحقيقها من وراء إرسال بعثاتها الى بلاد الشام خاصة، وبلاد المسلمين عامة ،ومنها ما كان دينياً وسياسياً واقتصادياً. فقد اتضح لنا من خلال الدراسة أن أهداف الدول الأجنبية تجاه الدين الإسلامي واحدة لا تتغير لأن الهدف الأعظم لتلك الدول النصرانية جميعاً هو هدم الدين الاسلامي.

أما بالنسبة للأهداف السياسية والاقتصادية فجاءت متفرقة حسب مصلحة كل دولة على حده، لأن كل دولة كانت تحاول الحصول على أكبر قسم من الغنيمة، بعد القضاء على الدولة العثمانية. إلا أن أموراً هامة اتضحت لنا من هذه الدراسة، مثل التنافس الشديد بين كل من البعثات البروتستانتية وبين البعثات الكاثوليكية، وكذلك البعثات الأرثوذكسية، مع ملاحظة تأخر النشاط الروسي الأرثوذكسي في بلاد الشام عن نظيريه البروتستانتي والكاثوليكي. فوجد للبعثات البروتستانتية والكاثوليكية مؤسسات صحية وتعليمية خاصة بكل منها، ونظراً لافتقار الطائفة الأرثوذكسية لتلك المؤسسات المنافسة، كان يضطر اتباعها الى اللجوء للمؤسسات المنافسة له، مما أدى الى تحول الكثير من الأتباع الأرثوذكس عن مذهبهم الى المذهب البروتستانتي أو الكاثوليكي.

ومما يؤسف له أن نجد الكثير من المراجع التاريخية التي كتبت في تاريخ بلاد الشام لمؤرخين معظمهم من النصارى مما جعلهم يرفعون من قيمة المؤسسات التنصيرية. كما أنهم أرجعوا أسباب النهضة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي الى تلك المؤسسات التي افتتحها المنصرون الأجانب في البلاد، الى جانب اتهام هؤلاء المؤرخين للدولة العثمانية بكثير من التقصير. ولطالما تمنى الكثير من هؤلاء المؤرخين زوال الحكم العثماني لاستبداله بحكم دولة أجنبية لتنشر - كما يزعمون - الحضارة، ولجعل بلاد الشام قطعة من أوروبا.

والحقيقة الثانية التي لا تقبل الجدل أن الدول افتتحت مؤسساتها الخاصة من مستشفيات ومدارس وكليات لنشر النصرانية في بلاد الشام وعن طريق هذه الوسائل الخبيثة باسم الانسانية في ظاهرها مستغلة الأوضاع التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، وقد بدأت بالحصول على امتيازات متعددة في عصر قوة الدولة وشموخها، ومن ثم استغلتها أسوأ استغلال في أيام ضعفها وأفولها على الرغم من أن كلا من فرنسا وبريطانيا كانتا في صراع مستمر للسيطرة على المناطق المحيطة بالبحر المتوسط، لذلك كانت كل منهما تعارض

مشاريع الأخرى في المنطقة . ففي لبنان كانت فرنسا تؤيد الموارنة في الوقت الذي تؤيد فيه انجلترا الدروز. فلما اشتدت المنافسة بينهما، قامت الحرب الطائفية عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م فانعكست آثارها فيما بعد على منطقة بلاد الشام كلها.

وقد كانت التركيبة السكانية في بلاد الشام مساعدة لتلك الدول الأجنبية لتحقيق هذه الفرصة وأخذت في البداية بالمطالبة بحماية الأقليات غير المسلمة، مما أدى الى تقوية وضع الجماعات النصرانية في البلاد، فأثار ذلك غضب المحليين وخاصة حينما تجاوز النصارى حدودهم بتجاهلهم عادات المسلمين وعقيدتهم.

ولتحقيق أهدافها قامت الدول الأجنبية بتأسيس شبكة من القناصل في أنحاء البلاد فاتضحت المطامع الحقيقية وأسباب المنافسة الخبيثة لتلك الدول. وقد ازداد نفوذ أولئك القناصل داخل الدولة العثمانية وتدخلوا لدى الباب العالي لتحقيق أي مطلب من قبل دولهم، أو من قبل مرسليهم داخل أملاك الدولة العثمانية، وكانت تلك الدول تجد في حماية الأقليات النصرانية والطوائف التابعة لها مبرراً قوياً لتدخلها في الشئون الداخلية لبلاد الشام، وكذلك كانت تتدخل بحجة نشر الحضارة والمدنية في أماكن تواجد الأقليات.

الا أن المنصرين على اختلافهم كانوا يتبعون أساليب مختلفة من الدس والحيل والمغريات بين سكان البلاد من المسلمين وغيرهم ومحاولة تنصيرهم، فكانت كل طائفة تحاول أن تكسب أكبر عدد من الأتباع ليكون لها أكبر نصيب من السيطرة والقوة. ولذلك نرى أن الخلاف قد دب بين هذه البعثات الأجنبية وذلك حسب مطامع الدول التي تدعمهافي الحصول على أكبر قدر من المستعمرات في الدولة العثمانية بعد ذلك. ولذلك نلاحظ أن العمل التنصيري سار جنباً الى جنب مع الغزو السياسي والثقافي الأوروبي والذي تستر تحت ظل الغزو الديني التنصيري. ولقد كان انتشار البعثات التنصيرية واضحاً وتمثل ذلك في مدارسها ومستشفياتها ومؤسساتها المختلفة والتي غطت معظم مناطق البلاد.

واعتبرت البعثات الكاثوليكية من أوائل الارساليات الأجنبية الى بلاد الشام فلقد كان وصول الفرنسيسكان إليها عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م، عندما نزلوا القدس لأول مرة وأقاموا بها أول بعثاتهم، ثم انطلقوا بعد ذلك الى بيروت وحلب وطرابلس لبنان والناصرة وصيدا وباقي المدن والقرى الشامية.

وكانت هذه البعثات تقوم بنشاط محدود لنشر معتقداتهم النصرانية ثم أخذت في افتتاح المدارس الابتدائية في عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م ، وبدأتها بمدرسة عين ورقة الابتدائية، ولم يلبثوا حتى قاموا بتحويل الأديرة والكنائس الى مدارس نصرانية متخصصة، وما أن جاء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حتى انتشرت عشرات المدارس الابتدائية الكاثوليكية في طول البلاد وعرضها. وكخطوة ثانية كان لا بد لهم من إقامة المدارس الثانوية، فأقاموا مدرسة ثانوية في مدينة غزير وذلك في عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م بمساعدة الحكومة الفرنسية وبدعم مباشر منها لتكون قاعدة لها في بلاد الشام. ونظراً لأهمية مدرسة غزير ، فقد تم نقلها الى بيروت في عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م. وتطورت الى كلية كاثوليكية، وكانت بمثابة الأساس لجامعة القديس يوسف في بيروت، واعتبرت مركزاً للتصدي للنشاط البروتستانتي في لبنان.

وبعد افتتاح جامعة القديس يوسف بدأت التبرعات الكبيرة تنهال عليها من الدول الكاثوليكية، مما ساعد في افتتاح كلية الطب فيها عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م. ولقد كشف مؤسسو تلك الكلية عن أهدافها عندما قالوا بأنهم يريدون أن يجعلوا منها فكرة سياسية ومؤسسة دعائية لفرنسا في الشرق، الى جانب رغبتهم في نشر المذهب الكاثوليكي وذلك لتمكين فرنسا من نشر نفوذها على المنطقة ككل.

ولقد تبين لنا من خلال الوثائق التي تم الاعتماد عليها في بحثنا، أن الفرنسيين علقوا الآمال على كلية الطب ومدى تأثيرها في المجتمع السوري، وذلك عبر ما أشاروا إليه أن للأطباء في سورية قيمة جليلة ونفوذاً بارزاً، فاذا تعلموا في كليتهم وتشربوا حضارتهم ولغتهم كانوا عملاء لهم وسفراء دون جهد أو متابعة.

ولقد تركزت البعثة الكاثوليكية كذلك في فلسطين، مهد الصراع بين الطوائف المختلفة، لما فيها من الأماكن المقدسة الإسلامية والنصرانية، ولأسباب سياسية واقتصادية قمنا باستعراضها جميعاً خلال هذه الدراسة. وكان المرسلون يعدون أبناءهم بأرض فلسطين ووصفوها بأنها تفيض لبناً وعسلاً. فتركزت بذلك مئات البعثات الكاثوليكية تدعمها الحكومة الفرنسية، وتنهال عليها تبرعات الموسرين والأغنياء، وهي في صراع مرير مع البروتستانت الإنجليز، ثم الأرثوذكس.

وكانوا قد فكروا بتنصير اليهود وتوطينهم في فلسطين ، ليكون لهم دولة نصرانية كبرى تقضي على الدول الاسلامية في المنطقة كلها، وقد تمكن اليهود فعلا عن طريق تخطيطهم الخبيث وذهبهم الذي يعتبر سلاحهم الفتاك، من الضغط على فرنسا وبريطانيا، وحصلوا على وعد من بريطانيا بإقامة الوطن القومي المنشود في فلسطين وذلك بتأييد ودعم من فرنسا وبريطانيا وكذلك روسيا، حيث كانت روسيا أول دولة تعترف بدولة اليهود عندما تمكنوا من قيامها على أنقاض الدولة الفلسطينية التي كانت أغلبية سكانها من العرب المسلمين. مما يدل على السر الذي أخفته تلك الدول من وراء تأييدها السافر لليهود في المنطقة، ولو لم تكن مستفيدة لما قامت بهذا العمل الاجرامي وهو طرد شعب فلسطين من وطنه بقوة السلاح، وبكل ما توصل اليه العلم الحديث من أسلحة فتاكة، والذي استعملته ضد العزل من النساء والأطفال، لتأتي من المشردين من يهود العالم وتعمل لهم دولة في قلب بلاد المسلمين، وما ذلك إلا لأنها رأت فيهم الضعف والهوان، والبعد عن الدين الحنيف وتعاليمه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وتخاذل عن الجهاد في سبيل الله.

وكانت فرنسا قد اتبعت كل الوسائل لتحصل على هبات من الخارج سواء من اليهود أو من غيرهم لتقيم المؤسسات التعليمية والصحية في فلسطين لتحقيق هذا الهدف.

أما الإرساليات البروتستانتية فقد جاءت متأخرة عن الإرساليات الكاثوليكية، حيث كان أول قدومها الى بلاد الشام في عام ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م وهو تاريخ تأسيس المطبعة الأمريكية في مالطا. وبعد ذلك سار النشاط الأمريكي البروتستانتي بقوة وثبات وأثبت قدرته على التحدي والمجابهة تجاه الارساليات الكاثوليكية. فقاموا أولا بافتتاح مدرسة عبية التي تأسست في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م بحيث تكون في مكان بعيد عن مراقبة الحكومة العثمانية ، فيتمكنون من دراسة المنطقة بكل دقة لإنجاح عملهم التنصيري فيها.

وبالفعل تم تطوير عمل الارسالية الأمريكية البروتستانتية والذي توجته البعثة بافتتاح الكلية السورية الإنجيلية في بيروت في عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م ، ولقد اهتم البروتستانت بحضانة الأطفال والمدارس الإبتدائية، ومدارس الفتيات. مما يدل على بعد نظر وتفكير استعماري رهيب يقوم على تخطيط بعيد المدى. فهؤلاء الصغار يتم تلقينهم التعاليم النصرانية وهم عجينة لينة، فيصبح من الصعب إقناعهم بغيرها بعد ذلك. وكذلك فان دخول الفتيات مدارس الارساليات

الأجنبية يعد من أخطر ما توصل اليه الفكر التنصيري، حيث قصدوا منهم اقناع الفتيات بالتمرد على البيت وتقاليده من تمسك بالحجاب واعتبروه ضرباً من التأخر، وجعلوا المرأة الغربية النصرانية قدوة لها مع التركيز على كل ما ينهى عنه الدين الاسلامي، ويقدموه للمرأة المسلمه على أنه نوع من الحضارة والرقي.

وللأسف الشديد نجح هؤلاء الخبثاء الى ابعد حد، فقد خرجت المرأة في بلاد الشام عن عاداتها الاسلامية وأصبحت هناك المدارس المختلطة في جميع المراحل الدراسية، وجلست المرأة الى جانب الرجل في العمل، فانخلع بذلك ستر الحياء من وجهها، وأصبحت الأسر تعاني من المشكلات الكثيرة التي أرادها لها المنصرون.

ولقد توزعت المدارس الأمريكية والبريطانية والألمانية في جميع مناطق جبل لبنان وسوريا وفلسطين وفي الأردن (التي وصلت اليها البعثات التنصيرية متأخرة) بسبب الترابط الجغرافي الذي كان موجوداً من خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فكانت المؤسسات الأجنبية سواء كانت تعليمية أو طبية تلاقي إقبالا من بعض سكان هذه البلاد وذلك لعدة أسباب منها:-

١- انتشار الفقر بين السكان مما جعلهم يذهبون لمؤسسات المنصرين خصوصاً الطبية منها التي كانت تقدم خدماتها بالمجان.
٢- عدم قيام الدولة العثمانية بتقديم الخدمات العامة للمواطن.
٣- منح الامتيازات للدول الأجنبية والتي كانت وبالا على الدولة العثمانية بعد ذلك.
٤- كانت الدولة العثمانية تلزم ولاتها في البلاد العربية، ما عدا الحجاز، بجمع الضرائب والأتاوات من الأهالي والتجار وتوريدها الى خزينة الدولة في اسطنبول. فكان بعض الولاة يجمعون مبالغ أكثر مما يطلب منهم ويستبقون منها الكثير لمصالحهم الشخصية. وقد أثقل ذلك كاهل السكان بهذه الضرائب مع قلة الخدمات المقدمة اليهم.

ولذلك عملت الإرسالية الأمريكية بتعزيز مركزها في بلاد الشام، فقامت بأفتتاح كلية للطب والصيدلة تابعة للكلية السورية الإنجيلية في بيروت، والتي تمثل قمة النشاط البروتستانتي الأمريكي وهو المنافس الخطير للنشاط الكاثوليكي الفرنسي في البلاد، وجاء تدعيماً لنشاط بريطانيا وألمانيا لانشاء المؤسسات البروتسانتية.

والى جانب الارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية، وجدت الإرسالية الأرثوذكسية التي حاولت أن تلحق بالإرساليات المنافسة لها من كاثوليكية وبروتستانتية، ولكنها في الواقع لم تحقق النجاح المرجو لها. حتى اضطر الكثير من أبناء الطائفة الأرثوذكسية للالتحاق بمدارس ومستشفيات الكاثوليك أو البروتستانت الذين عملوا كل جهدهم لتحويلهم الى طوائفهم. مما دعا القنصل الروسي لتقديم إحتجاج لدى الباب العالي. ورغم ذلك نجد أن طائفة كبيرة من الأرثوذكس قد تحولت فعلا من الأرثوذكسية الى الكاثوليكية في عام ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م منها قبيلة العزيزات.

ولقد استطاعت الطائفة البروتستانتية أن تثبت وجودها على حساب الطائفتين السابقتين، واعترفت بها الدولة العثمانية كطائفة منفصلة بعد ذلك، وهي الطائفة الأجنبية الدخيلة التي تمثل قمة الارساليات التنصيرية الى بلاد الشام خاصة وبلاد المسلمين عامة. ولكن رغم اعتراف الدولة العثمانية بالمذهب البروتستانتي الوافد الا أن الكنائس الإغريقية والرومية لم تكن تخفي عداءها تجاه المنصرين الجدد، واجتهدت دائماً بكل ما تملك من قوة لإطفاء جذوة هذه العقيدة الوافدة الى بلاد الشام، فوجدت البعثات البروتستانتية كل عناء ومنافسة داخل كل قرية ومدينة من قبل العقائد المحلية، وكان لا يتم التحول الى البروتستانتية إلا بعد جهد كبير.

وكان تأثير العمل التنصيري بين المسلمين عميقاً بالنسبة للتشكيك في الدين والتشويه في العقيدة ومجال الفكر. ولكن الحالات التي تحول بها المسلمون الى النصرانية بشكل صريح نادرة جداً، واتسم الرد العفوي لدى المسلمين تجاه أي مسلم يعتنق النصرانية بالعنف الشديد وربما أدى الى قتل المرتد نفسه، إلا أن الواقع المرير الذي تعيشه بلاد الشام في الوقت الحاضر كان سببه المباشر هو التأثير النفسي والعقائدي والفكري للارساليات الأجنبية بصورة خاصة. فتقليد المسلمين للنصارى، أدى الى الانحلال في كيان الأسرة المسلمة التي كانت المثل الأعلى وموضع حسد الغرب، وتمثل ذلك في أمور كثيرة منها عدم الوفاء وعدم احترام الصغير للكبير، وكثر النزاع على عرض الحياة الدنيا الزائل، وتفشت الموبقات وشرب الخمر، والتكشف، ثم انتشرت الأندية المختلفة التي تشرف عليها الماسونية العالمية حيث يتم فيها الاختلاط المحرم. ففرقوا عن طريقها كلمة الأهل والوطن الواحد، وأصبحوا أعداء للدين الاسلامي من حيث لا يدرون، ولو أن شخصاً اتهم أحد هؤلاء ببعده عن الاسلام لثار وزمجر ورفض ذلك رفضاً تاماً، لأنه يعتبر انتماءه للمحافل الماسونية ضرباً من الحضارة التي حقق عن طريقها

السبق العلمي الذي يحاول المسلمون أن يلحقوا به، ولم يفهم هؤلاء أن الأجانب لم يتكلفوا هذا الجهد المتواصل منذ زمن بعيد لينشروا في بلاد المسلمين الحضارة والرقي.

وتبين لنا - من خلال استعراضنا لنشاط الإرساليات المختلفة - أن المنصرين لم يكتفوا بتشكيك المسلمين في دينهم لكنهم أرادوا القضاء على الاسلام تماماً والسيطرة على الأرض والمقدسات، وخنق الأنفاس في الصدور، وفرض النصرانية في بلاد المسلمين، ليصبح الدين النصراني هو الدين الوحيد في العالم، تمثله الدولة التي تنتصر في النهاية، والتي تعمل على فرض سيطرتها في كل مكان من العالم وتتدخل في الشئون الداخلية في أقصى بلاد العالم الاسلامي وغيرها، والسيطرة على منابع الثروات الطبيعية وتدمير كل قوة اسلامية مهما كان مكانها أو زمانها وبشتى الطرق، وبمختلف الدسائس التي تفتق عنها الذهن البشري الحاقد.

لذلك كله عمل المرسلون الأجانب من نصارى ويهود ومن عاونهم من نصارى أهل الشام، على ضرب الدولة الإسلامية العثمانية في مختلف الميادين، فبدأوا بالدعوة الى القومية العربية في محاولة لاستبدال حكم الدولة العثمانية بحكم نصراني قومي يستبدل في الوقت المناسب بحكم دولة أوروبية نصرانية، أو وضع حكام نصارى يحكمون باسم الغرب النصراني الذين من شأنهم جميعاً القضاء على رابطة العقيدة الاسلامية بين المسلمين بغرض الوقوف أمام اجتماع المسلمين في شتى بقاع الأرض تحت راية الاسلام. حتى لا ينتج عنه دولة اسلامية كبرى تناهض قوة النصارى وأطماعهم. فقامت القوى النصرانية والصهيونية العالمية عن طريق محافلها الماسونية المنتشرة في كل مكان - بعد أن ثقل عبء الديون على الدولة العثمانية - وأخذت بالضغط على السلاطين العثمانيين حتى تهيأت الفرصة أمام الدول الأجنبية لاغتصاب أملاك الدولة العثمانية أو تقسيمها فيما بينها. فعملت على محاربة السلطان عبد الحميد الثاني بكل قوتها، لأنه وقف في وجه أطماع الصهيونية العالمية والدول الأجنبية في فلسطين ولم يستسلم لتهديداتهم.

ولم تكتف الدول الأجنبية بضرب دولة الخلافة الإسلامية التي أرعبتهم، رغم ضعفها، بل عملت هذه الدول على اقتسام أملاك هذه الدولة وهو ما تطلعت إليه طويلا وعملت من أجله قروناً، وأنفقت في سبيله الذهب مدراراً وأرسلت في سبيله مرسلين عبروا البحار والمحيطات. نعم .. اقتسمت الدول الأجنبية بلاد الشام، مهد الخلافة القديم، ثم أهدت فلسطين بما فيها بيت المقدس قبلة

المسلمين الأولى الى شذاذ الآفاق من اليهود، حيث حاولت الدول الأوروبية التخلص منهم على مدى القرون الماضية، كما عانت منهم شعوبها بسبب تعاملهم بالربا والحصول على المال من أي طريق غير أخلاقي، ولما لهم من دور في نشر الرذيلة والزنى الفاحش في تلك المجتمعات.

هكذا نرى أن الإرساليات الأجنبية حققت بعض أهداف دولها في بلاد الشام، ولذلك لم تتوقف إرسالياتها بل استمرت في القرن الرابع عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي حتى شملت معظم الدول العربية والاسلامية.

فلينظر كل مسلم، ماذا بقي للدول الأجنبية من مطامع في الدول الاسلامية ، وليقدم الحل المناسب لما يرى من مشاكل المسلمين، وليقوم بالإصلاح ما استطاع. وليبدأ بنفسه قبل غيره، ليكون بذلك قدوة صالحة لغيره، وأول ما يبدأ به هو الرجوع الى الله ، والتمسك بالعقيدة الإسلامية والعمل بما يأمر به الشرع الاسلامي الحنيف، وإقامة الصف الإسلامي، ورفع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والعمل الجاد على توصيل هذا الدين لشتى أنحاء المعمورة كما يأمرنا الله سبحانه وتعالى.

- ثم العمل على إعداد النفس بكل ما توصل إليه العلم من سلاح فتاك وعلم نافع والدعوة العامة للجهاد المقدس والقضاء على معاقل الكفر المتمثلة في أعداء الله من اليهود وتحرير بيت المقدس من أيديهم، مما يرد للمسلمين عزهم ومجدهم التاريخي.

- لا بد من أخذ العظة والعبرة من التجارب التاريخية والإنسانية السابقة، وأن يلتزم المسلمون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وعندئذ لن يتخلى الله عن المسلمين أبداً وليثقوا بنصر الله تعالى ، قال الله تعالى في سورة الروم : «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم». وقال تعالى في سورة آل عمران : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون».

وفي الختام ، أسأل الله العظيم أن ينفع المسلمين بهذا الجهد المتواضع ، بالرجوع الى خفايا تاريخ أمتهم السابقة المليء بالعبر. سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

المَلاحِق

محاكم شرعية حلب

الوثيقة رقم ١/٦/١ صفحة ١/٢/١ سجل / ١٢٩

الموضوع : بيع وشراء دار كائنة في محلة باب اليهود

أقر بمجلس الشرع الشريف الخواجه الياس انطون ولد الخواجه جرجي عابده باشي ترجمان طائفة افرنج الانكليز المستأمنين بحلب، اقراراً صحيحاً شرعياً، بأنه قد باع بعقد شرعي صحيح نافذ إلى الأخوين الخواجة جبرة ترجمان طائفة افرنج الانكليز، ونصر الله، ترجمان طائفة افرنج النابولي (الطاليان) ولدي يوسف ... ، الدار الكائنة بزقاق محاذاة باب النصر بحلب التي ورثاها عن ابيها بمقدار (٢٠٠٠) القاف من القروش الجديدة السلطانية (ما عدا اربعة أذرع من حواف الدار الاربعة) عن مباعها. وقد قبض المبلغ بتمامه وكماله من الأخوين المشتريين واعترف بذلك اعترافاً تاماً بيعاً وشراءً برضى الطرفين حيث لم يبق للبائع المذكور حق ولا دعوى اصلاً وابداً.
ثم وهب البائع الياس انطون الأربعة أذرع الباقية إلى الأخوين المشتريين هبة صحيحة شرعية مقبولة من كل منهما تصديقاً وشفاهاً.

حرر في ١٥/ ربيع الآخر ١١٩٩هـ

الشاهد عبدالله افندي جابري زاده — الشاهد ابو بكر افندي كوراني — الشاهد بكر اغا ... — الشاهد محمد اغا ...

ملاحظة ١- المستأمنين : هم الأجانب من الدولة (...) ... ويمثلون الفئات الأجنبية.
٢- كان تعامل السكان المسيحيين مع الطوائف الأجنبية أكثر من المسلمين.
٣- الهبة كانت بحاجة إلى القبول من الطرفين الواهب وقابل الهبة لتكون هبة صحيحة.

١٧

وثيقة رقم ١ هذه الوثيقة مصورة من سجلات محفوظة لدى مديرية الوثائق التاريخية - دمشق

ARMÉE LIBERTÉ EGALITÉ (1213)

REPUBLIQUE FRANÇAISE

R.

N.

Au Quartier-Général de le
an 7 de la République Française.

Le Citoyen ALEXANDRE BERTHIER, Général de Division, Chef de l'Etat-major-général de l'Armée,

Sauve garde

Dieu est Clement et misericordieux

le general en chef de l'armée françaises arivé avec toute son armée. il est l'ami des musulmans et des peuples. il acorde aux habitants de gaza sureté et protection. que chacun Reste chez lui, et soit sans inquietude —

Andreossi

6833

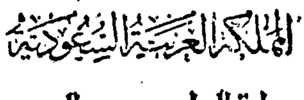
امان

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ساري عسكر جمهور الفرانساويه وصل في قريه غزه مع عسكره هو يحب اهل دين الاسلام و يعطي لهم امان لاجل كلا واحد يقعد في بيته من غير خوف و الالم

الوثيقة رقم ؟

بسم الله الرحمن الرحيم





دارة الملك عبدالعزيز

مكتبة الوثائق

تعريب يوسف أورالكيراه
من النص الأصلي الفرنسي

نموذج دراسة الوثيقة رقم ٦٨٨٢ مجموعة ....

اولا : بطاقة الملخص :

الترقيم
٤/٢-٢

العنوان (طبيعي / وضعي) القائد الفرنسي يضمن الأمن والحماية لسكان غزة

التاريخ : الجيش الحربية المساواة

جهة الاصدار : الجمهورية الفرنسية ٢١٢ هـ

الصادر اليه :

الملخص : ترجمة :

القيادة العامة
السنة السابعة للجمهورية الفرنسية

المراطن ألكسندر برتبة لواء فرقة
ورئيس القيادة العامة للقوات المسلحة

للمحافظ
بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس القيادة العامة للقوات الفرنسية يصل للإقامة طوال السنة.
لأنه صديق المسالمين والشعوب، يعلن لسكان غزة كطبيعة الحال ويضمن لهم الأمن والحماية
فليقعد كل منهم في منزله، وليتمتع دون ما خوف ولا اضطراب.

وصف الوثيقة (اصل ام صورة ـ مادتها ـ ابعادها ـ اللغة ـ الخط ـ علامات الاثبات ـ الاختـام ـ التوقيعات ـ وصف الخرائط) .

توقيعه

ترجمة الوثيقة رقم ٤

ثانيا : (البطاقات التحليلية انظر خلفه)

(٤)

صورت عرضحال یکی عرض [illegible] اهالی [illegible] نفتیشی حجاز [illegible]
زیادیسی [illegible] مبارک [illegible] اولنه [illegible]
فیمان [illegible]

حضور

دولتلو عنایتلو عطوفتلو رأفتلو ولی النعم جلیل الهمم کبراولطافی الکرم افندم سلطانم

دولتلو عنایتلو عطوفتلو رأفتلو ولی النعم جلیل الهمم کبراولطافی الکرم افندم سلطانم حضرتلری اجیجکی احساس اولنوراسه بدو طرفده مهمات حجازیه مکیلرا ابعاد حجاج کلنبك طرنوپه سهوتی
ابعاد حجاج مسلمین امرعظیمی دولتعلیه قوی شوکتك نوهبه الحجبن و[illegible] اولدینی وقنی بهرحال طرف کتربدن تفصیل واشعاد الانحق فزیعنه زمنم اولور الدکی معتاد
اولدیغی بیانك مستغنی اولمغله مقتضای صدق وجبت چاکری اشتجبلب عبدیدی اولوقی بهرحال طرف کتربدن تفصیل واشعاد ... اولون صابو ممتزمیلی اهالیسنك صولربه صنن امینی وسقاباشی تعیین بیورلمه جق
اعمال افکار واجرای حسن تدبیرده شهدین بذل دوت واقتدار ایلمسی اشکار ایدرده اولون ... قوتدرنك اشبوسنه مبارکه ده فعبرهن تیبماه ونعلیمی هان وقت وزمانیله اسبابی احضاری
ابعاد حج شریف امرامی مترتب ذمت سلطنت سنیه وبو ماده نك ... امرنی هم واولنم رمیانه لری دوکاد وشابان بیورلمق بابازی وکیفیات مذکوره
عهده دولتعلیه اولمق ملکیه اشبوسنه دخی برمعتاد هر سنه [illegible] اهالیسنك شهدیب بورجهه ایدوکنك ایضاح واشعادی وسیله اعتبار تصدیع سوعزون افندم
صولری تهیه وارسالی واسقاط فرینه حج شریف اوزورنده اولنارك ایصالری واقتضا ولی النعم جلیل الهمم کبرالکرم افندم سلطانم حضرتلری و ... اردوفرمان دولتلو عنایتلو عطوفتلو رأفتلو

فی ١٩ ع ١٢٢٦

45/6

صرلرك تهیه وارسالی واسقاط فرینه حج شریف اوزرنده اولنارك ایصالری واقتضا
ایدن صنن هایون امینی وسقاباشیلر وسایر مامورلرنك تعیینی وبو کامنفرع خصوصاتك
شول تزلیمی احوسنك ایام وزمانی حلول ایتدکده اولیجق قوللری هرنقدر مصر
تشهیرکنه متاحل بیم دخی شهدین نزد دولتعلیه ده تعبیر وچاره سی جهتك افندم امورك
احرمکی سرد وبیان برله خطب مذکورده واقع اولوب تدبیر چاکری لکونه اولوب
ونجهله دولت اوله جقی بوره قابغام والومقام عطوفتلو عبدالله پاشا بندهلرنك
طرف چاکری مجوزی برقطعه قائمه مخصوصه لرن استعلام بیورلمش واقعا خطب مذکور
دخی اهم امور سلطنت سنیه دن اولوب شهدیك صدق تدبیری طرف کتدانه ملا الرافیه شاموا
تفصیل واشعاد ایلمسی فیض جلیه دن ایدوکی وارسته بیان ایلمی بنده قاکی الکبت
مرماجبلق خدمت جلیله سی عهده عاجزانه تفویض واحسان بیورلمه لوربدره اشبو سنه
سنین سالفه مقیس اولمیوب بهمهال وقت حالیه نظرا عادتدن برقاق زیاده ذخیره واسه
تدارکیله ابعاد حجاج موحدین ایجون سائلردن برقات دخی افزون عساکر استصحاب
یعنی مزاج وقتك مقتضیاتندن ایدوکی مطالعه اولنه رق قدیمشریف جانبك عسکر
ومهماتیه استحکام محافظه سی لوازمدری رعایت اولنه قدرن مکن ذکر اولنان مهام
حجازیه شهدین شروع اولنوب هان بو بابا ملده تنظیم وایفاسی امرنده جهده
اقدام ومسارعت واکثرده حاضر ومهیا اولمش مدجه لرن بعونه الله تعالی قوتقربیه
وسیله اولدیغی اثناسنده اراده قاطعه جناب جهانداریله بوقوللرینك مصر جانبنه سوق عسکر
مامور بغی ظهورنده مهام مذکوره حجازیه نك اسلوب مذکور اوزره اکماله وکاراولان
اهتمام واقدام کندری قطعا فتور تجویز اولنمیوب بدوست رعایت واکمال اوزره اولدیغی
ومانوخیق باری وهم اوبابی نعمی خطب مذکور اسلافدن رهنا اکمال واوا قرینه جلیلی موعلم
مدفعه بجودوقی اوبابده وارسته اشغال فکروازهان اولمری متناعد فالکرجی
مصر جانبه شکرلك مامور بیم لکانه هتن فرانسزلو کفرسنك دروق مصر ولادنه
تغلب واقتدارلره ابتدا ظهورلری کبی اولیوب اورهوالیدن نوارد ایدن خبرلره نظرا
قوت اقبالی وسطوت جناب ظل اللهیاجه غایه مرفوعه موسم مجدن اوجه برطرف اولمه جغی
اکرچه الطاف خفیه حضرت رب العالمین رحیزا الناظر هینیدن مامول اولوب بوکه بونوت
موربه کفره مرقومه نك جانب دریادن امدادلری ظهور ایدوب معاذالله تعالی ازسولو
غلبه وقوت بیدا ایدری دکار اوله رق جانب مذکورده عوق وتاخیرمز اقتضا

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

دارة الملك عبدالعزيز

مكتبة الوثائق

٤ / ١

نموذج دراسة الوثيقة رقم ٢٠٥١٦ **مجموعة** الوثائق التركية

أولا : بطاقة الملخص : تنظيم أمور الحجاج والصرة السلطانية واستكمال الدفاع عن القدس وطلب تعيين أمين الصرة

العنوان (طبيعي / وضعي) جواب والي الشام إبراهيم باشا على رسالة أرسلت إليه وتضمنت إليه عن سر عسكر على القائمقام

الترقيم
٤/١ - ٨٢

التاريخ : ١٩ ن ١٢٤٢

جهة الاصدار : إبراهيم باشا والي الشام سر عسكر

الصادر اليه : الصدارة العظمى (القائمقام عبدالله باشا)

الملخص : يقول : من الأمور التي تستغني البيان أن نذكر اهتمام الدولة العلية بأمن وتنظيم وصول قوافل الحجاج إلى مقصدهم .. ولذلك فإنني منذ الآن أعملت فكري لاستنباط التدابير الحسنة لذلك ..

وفي هذه السنة .. كالمعتاد هيأت الصرة لأنها هي الجوهرة الحقيقية ووجوب العناية في أداء الحج لمرافقة أمين الصرة السلطانية ورؤساء السقاة ومأموري الحج .. ولما كان قد حان الوقت لتعيين .. وتنظيم أمورهم المتفرعة .. وكنت مكلفاً بمهمة (سر عسكر مصر) أحببت أن أعرض منذ الآن ما يلزم في شأن ذلك إذ أن (القائمقام) عبدالله باشا يسألني .. وحيث أنه قد عهد إليه بإمارة الحج أيضاً ولما في هذه السنة لكمال ما يحتاج ولذلك فقد تدرب على ما كان متخذاً من تدابير الدائرة وأحوال الحجاج والعساكر الذين سيكونون أكثر مما سبق بسبب مقتضيات الوقت

وقد تقرر أن يكون العسكر ومصاريفهم وتنظيم احتياجاتهم في القدس .. ولكن تعيينهم ما تقتضيه من عدم رغم أن وجود وكيلي عمه سر عسكر .. وأرجو الاطمئنان إلى كل الأمور أن حاجة ..

وفي شأن وجودي في مصر .. فإن تغلبت الرزية الفرنسية على مصر واحتلها فإن ما لا يجب فإنه يلزم أن نتشاور من الآن قبل أداء الحج .. إلا أنه إذا ظهر أمر آخر الحكم .. وإنه من المرجو علينا أن نبادر بتعيين الرئيسية داوود في الجواب بأنه سيرتب تعيين أمين الصرة المعتادة الذي يتحرك مع السقاة وإنفاقهم في وجوههم وزمامهم ومع الإيضاح حال ذلك .. فقدمنا هذا الجواب .. وأن الأمر والفرمان لحضرة السلطان.

وصف الوثيقة (اصل ام صورة ـ مادتها ـ ابعادها ـ اللغة ـ الخط ـ علامات الاثبات ـ الاختام ـ التوقيعات ـ وصف الخرائط) .

الوثيقة صورة والأصل محفوظ في تركيا

اللغة تركية والخط معقد

الإثبات بركد يدل وجود الأصل في عداد المحفوظات التركية

الختم إسلام بوفا عليه اسم (إبراهيم)

ثانيا : (البطاقات التحليلية انظر خلفه)

المترجم والملخص

[توقيع]

ترجمة الوثيقة رقم ٣

6741

République Française

Liberté Égalité

Au Quartier Général de [illegible] de la République Une et Indivisible

Bonaparte, Membre de l'Institut National, Général en Chef.

من حضرت سارى عسكر كبير بونابارته امير جيوش الفرنساويه دام محفوظا منصور

الى حضرة جناب القاضي للاسلام والشرفا وعلما والعلما الموجودين في بلاد غزه اختياريه وحلنا بالسلام الى
خان يونس مع عساكرنا وبلغنا ان بعض من الغز والعثمان قد حصل عندهم زعل ونهزموا من البلد
فلازم انكم [illegible] هذه السطور لاجل ما تعطوهم بالامان حتى ينعقد عندكم [illegible]
محب الى كامل الشعب وحايج اهل العلما والمشايخ والاشراف وكامل المومنين وسبب حضوري
الى بلادكم مع عساكري لاجل نطرد عساكر الجزار باشا ونتاصصه لسبب تعديه الى
الجار [illegible] فلازم ترسلوا لنا احد [illegible] لاجل مقابلتي ولا تخشوا
باي شي من قبل [illegible] ولا بانفسكم ولا باموالكم ولا بعيالكم [illegible] جميعه والسلام

ليلة الخامس ١٨ رمضان

مركز غزة

يصل الى مدينت غزة [illegible] قاضي [illegible] والاشراف
وكامل اهل [illegible]

١٧٥-١/٥

الوثيقة رقم ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
دارة الملك عبد العزيز
مكتبة الوثائق



٩

نموذج دراسة الوثيقة رقم ١٤٠٧٦ **مجموعة** الوثائق الشامية

اولا : بطاقة الملخص :

بالعربية
نابليون يصل إلى خان يونس ويخاطب قاضي غزة موضحا له سبب مجيئه

الترقيم
١٧٨-١/٥

العنوان (طبيعي / وضعي) ~~كتاب من بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية إلى : قاضي الإسلام في غزة والأشراف فيها.~~

التاريخ : ١٨ رمضان ١٢١٣هـ

جهة الاصدار : بونابرت أمير الجيوش الفرنسية

الصادر اليه : قاضي الاسلام في غزة والأشراف فيها

الملخص : النص : من حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته أمير جيوش الفرنساوية دام محفوظ ومنصور

إلى حضرة جناب القاضي الاسلام والشرفا وعلماء العلم الموجودين في بلدة غزة . أحنا وصلنا بالسلامة إلى خان يونس مع عسكرنا وبلغنا ان البعض من سكان غزة حصل عندهم زعل وانهزموا من البلدة فلزم اني أحررت هذه السطور لأجل ما نخبركم بأمانه حتى تتحققوا عندكم اني محب إلى كامل الشعب وحامي أهل العلم ومباشر الأشراف وكامل المؤمنين وسبب حضوري إلى بلاد غزة مع عساكري لأجل طرد عساكر الجزار باشا وقطاعه بسبب مجيئه الى الاراضي المصرية فيلزم ترسلوا لنا أحد من اشرافكم من طرفكم لأجل مقابلتي ولا تكونوا مرتابين من قبل الديانة ولو بأنفسكم ولا باملاككم ولا بأعيالكم .. جميعه والسلام

ليلة الأحد ١٨ رمضان ١٢١٣

وعليه الكلمات التالية :

مهركم تعالى

تصل إلى مدينة غزة .. لسيدي قاضي الاسلام وجناب الاشراف وكامل أهل .. دائما محفوظة

ملاحظة : وثيقة ذات قيمة تاريخية ذات علاقة بتاريخ بلدة غزة

وصف الوثيقة (اصل ام صورة ـ مادتها ـ ابعادها ـ اللغة ـ الخط ـ علامات الاثبات ـ الاختام ـ التوقيعات ـ وصف الخرائط) .

ترجمة للوثيقة رقم ٤

ثانيا : (البطاقات التحليلية انظر خلفه)

فراتجه اولنان عمل ودسایس وفرقه دولت عليه‌ده اجرا فطان تدابیری مادی معلوم همایونلری بیوردقلی اوزره

بوندن اقدم عربی عباره الدرق زبیب افطان پاتاملرك بر بغداری الداده اجرا اولنده تام

اوبی فوبلره ارسال اولنقدلرتی مناره ده وکرافطان پاتاملرك تعیینه قدس شریف

کوندرشن اولرینه بار قبیص شریف واطرافی اهالیسی امادهٔ جهاد اولدقلری

سبه وارد اولوب تحریراتی تقدیم انتب اولدیغی ثنا ایله انبو

تعریبه انهاایدر اوقطان حفت ره اولورکر

ولی نعما افندم رضا بجنابلرینه طرف چاکریدن قدس شریف اهالیسنه کوندریلن مکاتبه جواب اولورق اشبو تحریرات شبکانه‌نك بونه اخرامی

بوندن اقدم بولنو عربجه عباره کلان کاغذرك جبه‌سی منیفقه مستعد واماده اولوب هرچند کشف مرقومه فلك هنوز

ساعت موعوده بولنو عربجه عباره کلان کاغذرك جبه‌سی منیفقه مستعد واماده اولوب هرچند کشف مرقومه فلك هنوز

اوحوالیه سو قصد ومهاجرلری دوشمانه وکلا اثرده اهالی قدس واطرافی بتون امادهٔ جهاد وشهادت اولدقلرینی

بیان ایدر کذلك مفتی قدس شریفدن کلان قائمه‌نك مفهومی اویله‌در هلان جناب حق شوکتلو قدرتلو مهابتلو پادشاه

عالمپناه ولی نعمم امام افندمزك سایهٔ سطوت واجلالنده کروه موحدین اوزرندن اشبیه خلقی باکبنی وتذ تعالی اوراق مذکوره

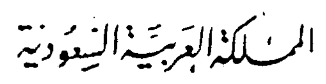
منظور عبیدانه وشرفاتلری بیوردلق زبین صورمنانه موضوعا مرفوع حضاکی دولتلری قیلندی

6627

١٨ - ٩/٤

الوثيقة رقم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
دارة الملك عبد العزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
المركز الوطني للوثائق والمخطوطات

نموذج دراسة الوثيقة رقم ٦٦٢٧ مجموعة الوثائق التركية

أولا : بطاقة الملخص :

الترقيم
٤/٩ - ١٨

العنوان (/ وضعي) استعداد أهل القدس للدفاع عن مدينتهم ضد الغزو الفرنسي

التاريخ : بدون

جهة الاصدار : القائمقام

الصادر اليه : السلطان

الملخص : في هذه الوثيقة يخبر القائمقام السلطان بأن أهالي القدس الشريف والانحاء المجاورة له أبدوا استعدادهم للتصدي للأسطول الفرنسي وجميعهم دون استثناء مستعدون للتضحية والاستشهاد.

دكتور ادريس محجوب

ملخص الوثيقة رقم ٥

وصف الوثيقة : (أصل أم صورة ـ مادتها ـ ابعادها ـ اللغة ـ الخط ـ علامات الاثبات ـ الاختام ـ التوقيعات ـ وصف الخرائط) .

ثانيا : (البطاقات التحليلية انظر خلفه)

پادشاهم

9510

شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم

بوندن اقدم فرانچه دولتنك اختلالنه باعث اولنلردن اكثري بعض دول سائره طرفلرينه متفرق
وپريشان اولدقلري وشايد بو مقوله مفسدلردن بعضيلري دخي دولت عليه طرفلرينه كلمك محتمل اولديغندن
بحيله خفيه تجسس اولنمسي خصوصي روسيا ايلچيسي افاده ايلوب واوكونلرده قدس شريف حواليسنده
فرانچه لونك تكثر اوزره اولدقلري استماع اولنمغله بو دخي روسيا ايلچيسي مسفورك كلامني تأييد ايلديكنه بناءً
حالا قدس قاضيسي اولان بخشهرلي اسماعيل پاشازاده محمد امين بك داعيلرينه قضاء مذكور توجيهنده
وبو خصوصك تفحص وتحقيقي كندويه توصيه وتنبيه اولنمشيدي شمدي موما اليه داعيلري طرفندن وارد اولان
برقطعه تقريرده او حواليده اولان افرنج طائفه سنك حاللرينه دائر بعض شي تحرير وبيان اولنمش اولمغله تقرير
مرقوم معروض عتبه عليالري قلنمشدر خلاصه مفهومنده للحاله هذه قدس شريفده ايشيتديكمي كبي فرانچه لو
كثرت اوزره اولميوب لكن بعض مستامن طائفه سنك باغ وبغچه مثللو عقار تملك ايتدكلري بيانله بونلرك
منع وفروخت ايتدرلمسي بابنده امر عالي اصدار اولنمسي استدعا ايدر نفس الامرده مقوله عقار تملكي مستامنلره
ودوه همايونه تحرير اولنوب شروطه تطبيق ايله اقتضا
خلاف شروط اولندن اولمغله بو خصوص چاكرانه مدن عاليلري علم عاليلري بيورلدقده فرمان شوكتلو كرامتلو مهابتلو قدرتلو
ايدن امر شريفنك اصداري لازم كلديكي محاط علم
ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلرينكدر

الوثيقة رقم ٦

بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب ______

رقم الصفحة ______

مسودة ترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

١/٢- وثيقة رقم ٩٥١٠

(١)

العنوان: ضرورة إصدار فرمان بمنع الأجانب من تملك العقار بالقدس. [illegible]

صاحب [illegible]

كثير من الأشخاص [illegible] في ثورة "فرنسا" [illegible]

[illegible]

ترجمة الوثيقة رقم ٦

[illegible]

الوثيقة رقم ٧

بسم الله الرحمن الرحيم



١/٤

المملكة العربية السعودية

دارة الملك عبدالعزيز

مكتبة الوثائق

نموذج دراسة الوثيقة رقم ٦٥٩٧ مجموعة الوثائق التركية

اولا : بطاقة الملخص :

الترقيم
١/٤ - ٨٢

الجزار ينتصر على الفرنسيين ... لعكا ... المجاورة كفره

العنوان (طبيعي / وضعي) رسالة الحاج أحمد باشا الجزار (والي الشام ومصر وطرابلس وصيدا وعكا) ... توقيعه في ذيل الرسالة

التاريخ : ١٧ م ١٢١٤

جهة الاصدار : أحمد باشا الجزار والي الشام ...

الصادر اليه : ... (نائب الصدر) ...

الملخص : ... معك .

وقد نقلت ... الواردة في هذه الرسالة في ترجمة (عينية) ... في بعض ... كما ... الصدر ... الرسالة ... الجزار إلى ... وهي ... أحمد آغا ... (الأحوال ...) ...

ملاحظة

... الوثيقة ٦٥٤٧ ...

وصف الوثيقة (أصل أم صورة ـ مادتها ـ ابعادها ـ اللغة ـ الخط ـ علامات الاثبات ـ الاختام ـ التوقيعات ـ وصف الخرائط) .

الوثيقة صورة والأصل محفوظ في تركيا

الخط معقد واللغة تركية

...

الختم ...

ثانيا : (البطاقات التحليلية أنظر خلفه)

ترجمة الوثيقة رقم ١

المترجم ...

أما الرسالة فهي تحوي ما يلي من نقاط:

- لقد تجرأ الكفرة المخذولون الذين أبعدوا عن إقليم مصر قبل الآن، بإطالة يد تعديهم على عكا، ويعلمون البارئ انهزموا عنها.. وقد كنت عرضت بأن العساكر المرتبة من الأرناؤود والصنوف الأخرى، أخذت بالتحشد لدي فوجاً بعد فوج، وهكذا اكتسبت قوة على قوة، في حين بقيت على أتم الاستعداد لمواجهة ما قد يكون..

- في حين أن جناب ولي النعم الصدر الأعظم والسردار الأكرم بمقتضى الإرادة السلطانية قام في ١٥ ذي الحجة يوم الأربعاء مستعيناً بالله بأن مرّ على صحراء السكدار، واتجه نحو الأعداء بقصد إعانتي ومظاهرة لي، وبقصد القيام بعمل ما، لأخذ الثأر والانتقام، وإرضاءً للسلطان.

- وإذا كان ما عرضته من قبل، عن استعدادي التام قد عرض على السلطان في حينه بواسطة الآغا (محصل قرص) الذي كنت أعتمده في إيصال رسائلي، فإنني أذكر الآن أن الحرب قد استمرت أمام عكا ٦٤ يوماً وانتهت بفشل الأعداء، وقد تحقق أن ما خلفوه من القتلى كان عدد قليل من الجنرالات والضباط و ٢٠ ألف من الجنود هلكوا و ٧ آلاف جريح سقطوا..

- وفي تلك الأيام فإنه فيما عدا عساكر الأرناؤود والمرتبات الأخرى فإن الأسطول الذي كان بقيادة (رودسلي حسن قبودان) وما كان لديه من القطاعات والقلاع الـ ٩ و ٥٠٠ مئة من رجال الأزبير و ٥٠٠ من شرية (الوقاد).. المجموع ١٣ ألفاً.. هؤلاء انضموا إليّ ولم يصل نحوي سواهم؟ حيث مال أكثر رؤساء الآخرين نحو الشام التي كان فيها والي دياربكر عبد الله باشا ووالي حلب [illegible] لقوا بين العساكر الفتنة، وبرزت الأقاويل.. مما أحدث نفوراً وتنفراً لدى العساكر المحتشدة... وبذلك عطلوا الأمور التي كان من مقتضاها تعقيب الأعداء وعدم ترك المجال لهم للاستقرار..

- في حين أنني كنت خلال ذلك لا أفتر عن الأعداء والاستعداد في أداء وتهيئة ما يجب من التدارك اليومية لرجالي، من السمن إلى الأرز.. حتى أنني كنت أؤدي إلى من لم يكن له نقود، ما يتوجب له.

- ولقد كان أكثر الذين يتواردون إلينا من الشام ميالون للفرار، والذين أعيدوا منهم كانوا من أهل الخير فيهم. وإن عبد الله باشا المذكور، حين كان في غزة قبل الآن، ترك الخيام وفر، وهيأ بذلك للفرنسيين الفرصة التي أتاحت لهم بإحداث الاضطراب وإقامة الاستغلال.. وهذه حادثة ليس الآن أوان شرحها. وإن هذا كان خلال حصار عكا بغالط المحتشدين في الشام ويؤخرهم عن إتيانهم.. وبمعزل عن هذه فإن العساكر التي استجلبت بكل مشقة، وحتى الآن فإنه لا يزال يطرح الأراجيف القول بما يوحي أن الذين يفدون إلينا من الشام لن يكونوا على ثبات.. ورغم كل ذلك فما توقفت عن الإعداد للأمر دون تقصير.

- ولما كانت عساكر الكفار منذ عام قد اختلطت بكثرة من العربان والفلاحين الذين أخذوا يتحصنون مع ميليشيات في منازل العريش، ولما عاثوا بما فعلوه من تحصين غزة أنواع الإنذار.

- وإنني منذ ذلك أخذت بإرسال الرسل في مكاتبات في التنبيه والتأكيد على الموقنين من الجماعة المستترين لتعبئة طاقاتهم لما يحصل ودلالة الإخوان أصحاب القول والعمل في أطراف الربعة أدعوهم فيها إلى قطع العلائق مع الكفار والقيام بأي عمل يؤدي إلى كسرهم وتدميرهم .. وقد وردتنا أخبارهم بعون الله ..

- وخلال تسطير هذه الرسالة ، وردت الأخبار من أمير الحج بواسطة كتاب بأنه في هذا العام وصل الحجاج إلى مكة المكرمة قبل ٣ أيام من موعد الوصول الرسمي في أعوام سابقة ، وكانوا في أتم الأمن والسلام ، ولم يصادفهم مشقة أو مضايقة .. وإنني أقدم رسالة أمير الحج في صدد ذلك ، طيه ..
وكذلك الجريدة وقد كانت مستوفاة المواد من طرابلس والشام .

- وسائل (الجزائر) في ختام رسالته عما تم بشأن ما أخذه إبراهيم باشا من أموال وما آل إليه أمر استردادها .. وإنه لما يتكامل أعداد رجاله من الأزواد سيعرض الوضع ..

بجناب اخواننا الكرمين رؤساء محاكم دمشق الشام دام محبتي

نبدي لجنابكم انه كافة الحجج الباقين بدون كتابة تقتضي تحرير جميعها الآن الى فرد [illegible] وتأخذ وإذا ينقضي حجج بدون كتابة فكتابتها بدفع محصولها من لبيه [illegible] حسب أمر افندينا الأفخم نؤكد عليكم بذلك ودمتم

٢٧ ل سنة ٨٥

ويقتضي بوجه علم ارسال كافة [illegible] التي هي خاصة [illegible] كانوا قد [illegible] بدون عائق وان تخبرونا ودمتم محبتي

٢٧ ل سنة ٨٥

دولة انكلترة الفخيمة   دولة فرانسا الفخيمة   دولة اوستريا الفخيمة   دولة البلجيكا الفخيمة   دولة اوروتوروجيا الفخيمة

جناب اخواننا الكرمين رؤساء محاكم دمشق الشام ونواب النواحي دام محبتكم

جناب اخواننا المكرمين... [illegible] الذين هم من تبعة الدول المشار اليهم [illegible] دون غيرهم من الاجانب تحت [illegible] ...
بانه لجنابكم انه [illegible] الارادة السنية بتعليمات الاجانب الذين هم من تبعة الدول المشار اليهم والارادة بتشريف محل [illegible] الشام او خارجها
بالقانون [illegible] فيقتضي [illegible] ادرى [illegible] اذا حضر [illegible] احد من تبعة احد الدول المشار اليهم من احد الدول المشار اليهم [illegible]
فلا [illegible] ان النمسا [illegible] بانه هو من تبعة الدولة الفلانية من دول استثنائية [illegible] مطلقا
[illegible] اوستريا [illegible] حكم رعايا الدولة العلية [illegible] خبر الافندي [illegible]
[illegible] تحت [illegible] وتبادر [illegible] فالرؤساء [illegible]
[illegible] بتبديل [illegible] واذا وقع [illegible] تحت [illegible] حسب [illegible]
[illegible] ضمن [illegible] وتحقيق عند كاتب المحكمة [illegible] قبل ان [illegible] تحت [illegible]
[illegible] قبل انعقاد العلم خبر المرقوم [illegible]
عن [illegible] بالتحرير المبالغة [illegible] الكيفية [illegible] ودمتم ٢٤ ج سنة ٨٥
[illegible] العلية [illegible] بادرنا باعلان الكيفية

باش [illegible]
[illegible]
[illegible]

الوثيقة رقم ٩

دولة انكلترة المفخمة　دولة فرانسة المفخمة　دولة اسبانيا المفخمة　دولة البلجيكا المفخمة　دولة اسوج ونورويجيا المفخمة

[illegible]

جناب افندينا المكرمين رؤساء محاكم دمشق الشام ونواب النواحي دمتم محترمين

نبدي لجنابكم انه الآن صدرت الارادة السنية بتملك الاجانب الذين هم من تبعة الدول المشار اليهم اعلاه فقط دون
غيرهم من الاجانب تحت شروط المقررة بالقانون تماما منها انها بوقت تنفيذ من [illegible] حضرات الحكام احد من تبعة
احد الدول المشار اليهم واراد يشتري محلا في نفس الشام او خارجها فلا باس باجراها بشرط ان المشتري
يعرض لكم علم خبر من طرف قنجيلريته بانه هو من تبعة دولة الفلانية من احد الدول [illegible] اعلاه وانه يتمم
تذييل الشروط التي شهد عليها المشتري المرقوم انه قابل بان يجري معاملته لدى المرقومين حكم رعايا الدولة العلية
في دون استثنا شي مطلقا حكم بالقانون السلطاني ومن بعد تحرير الحجة يصير تذييل الشروط بختم المشتري
وختم قنصلاتوه وبدون [illegible] العلم خبر المحرر من قنجيلريته مع الشهاد المرقوم ضمن حجة المشتري وتحفظ عند
كاتب المحكمة واذا وقع بذلك [illegible] ان [illegible] بما ذكر اعلاه فالرؤسا مسئولون عنه [illegible]
واياكم ان تجروا المبايعة قبل احضار العلم خبر المرقوم اعلاه واذا حضر المشتري الى المحكمة قبل ان يختم تحت الشهادة
المرقوم والان بحسب شرف ورود الامر العلية الى المحكمة بادرنا باعلان الكيفية لحضرتكم ودمتم

[illegible] ٨٥

الداعي
محمد علي

الوثيقة رقم ١٠

المكاتب الشهيرة غير الاسلامية الموجودة في بيروت

بيروتده موجود اولان ملل غير مسلمه مكاتب مشهوره سی (١)

بيروت سنجاغی

اسامی مكاتب	منسوبيتی	نوعی	معلملری عددی	شاگردانی عددی	پروغرامی
بطرقيه مكتبی	قتولك	داخليه ذكور	٢٠	١٦٠	عربی قواعديله انشا وكتابت تركجه فرانسزجه انكليزجه يونانجه ايتاليانجه هندسه حساب فطوغرافيا جغرافيا طپوغرافيا
حكمت مكتبی	مارونی	«	٢٠	٢٠٠	عربی لاتين تركی فرانسز انكليز يونان وايتاليان لسانلريله حساب هندسه طبيعيات جغرافيا فلسفيات عقائد دينيه وادبيات
اسرائيليه مكتبی	موسوی	«	٨	٥٨	عبرانی تركی فرانسوی لسانلريله قواعد عربيه فن حساب جغرافيا عقائد دينيه وحسن خط
اليسوعيه مكتبی	ژزويت	«	١٥	٢٠٠	ترك عرب فرانسز انكليز ايتاليان آلمان لاتين ويونان لسانلريله تاريخ حساب جبر هندسه طپوغرافيا موسيقی جغرافيا علوم رياضيه وطبيعيه فلسفيات اصول دفتری وحقوق

(١) بيروتده موجود اولان مكاتب غير مسلمه داخليه وخارجيه نامليله ايكی قسمه منقسم اولوب داخليه شاگردانی درسنده بيتوتت ايدن وخارجيه ايسه شاگردانی بيتوتت ايتميان مكتبه دينور

بيروت سنجاغی

اسامی مكاتب	منسوبيتی	نوعی	معلملری عددی	شاگردانی عددی	پروغرامی
طبيه مكتبی	امريقا وانكليز	داخليه ذكور واوردر خارجيه سيده	١٣	١٣٠	ادبيات رياضيات فلسفيات نباتات وحيوانات كيميا نظری وعملی منافع الاعضا طبقات الارض تشريح جراحی اصول تداوی رجال ونسا اطفال وقانون طب
انجيليه مكتبی	امريقا	داخليه اناث	١٢	١٣٣	عربی وانكليز لسانلريله فن حساب موسيقی وجغرافيا ودكيش واوركی ونقش ايشلری وعقايد دينيه
پروسيا مكتبی	پروسيا	«	٢١	٢٠٣	عربجه انكليزجه آلمانجه فن حساب وجغرافيا موسيقی ودكيش ونقش ايشلری وعقايد دينيه
خفه مكتبی	انكليز	«	٣	٥٨	«
سوريه مكتبی	انكليز	«	٨	١٦٠	«
عازريه مكتبی	فرانسز	اليوم اكثريا وزرا ايتامدن مركبدر	٤٣	٧٠٠	عربجه فرانسزجه فن حساب موسيقی صنايع وخياطت وتطريز
عازريه ايتام مكتبی	فرانسز	داخليه اناث	١٠	٢٧٠	«

الوثيقة رقم ١٦

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولا :

١ - القرآن الكريم

٢ - صحيح مسلم

ثانيا : المخطوطات :

١ - اللبناني : نقولا بن يوسف الترك
حوادث الزمان في جبل لبنان.
كتبه بخط يده ناصيف اليازجي مخطوط
رقم ٤٧٢٤ ، نسخة مصورة عن النسخة الأصلية.
١١٥ ورقة ، دمشق ، مكتبة الأسد

ثالثا : الوثائق العربية غير المنشورة :
(وثائق سجل المحاكم الشرعية بدمشق وحلب والمحفوظة لدى مديرية الوثائق التاريخية بدمشق).

١ - وثيقة رقم ١ تحتوي على نص الارادة السنية العثمانية بالسماح بتملك الأجانب التابعين للدول الأجنبية (انجليز ، فرنسا ، بلجيكا ، وغيرها).
سجل المحاكم الشرعية بدمشق رقم ٦٠١ المحتوي على الحوادث من جمادى الأولى ١٢٨٥هـ حتى شوال ١٢٨٧هـ.

٢ - وثيقة رقم ١/٦ سجل ١٢٩ حول بيع دار كائنة في مدخل باب القصر بحلب لاثنين من المترجمين الافرنج مسجل في سجل المحاكم الشرعية بحلب ومحررة في اربيع الاخر عام ١١٩٩هـ ص ٢ . (ب . ت).

٣ - وثيقة رقم ٦ حول بيع عقار بحلب الى نصراني ، سجل المحاكم الشرعية بدمشق رقم ٦٠١ المحتوي على الحوادث من جمادى الأولى ١٢٨٥هـ حتى شوال ١٢٨٧هـ.

رابعا: الوثائق التركية غير المنشورة

أ - المحفوظة لدى مديرية الوثائق التاريخية بدمشق:

١- وثيقة رقم ١٠٠١ . تلغراف من مدحت باشا الى الصدر الأعظم برجاء اعفائه من وظيفته (ولاية سورية) ٨ جماد ثاني عام ١٢٩٦هـ/١٨ مايو ١٨٧٩م.

٢- وثيقة بدون رقم . صورة التلغراف المحرر بالشفرة من المابين الهمايوني الى مدحت باشا. ٩ جماد ثاني سنة ١٢٩٦هـ/١٩ مايو ١٨٧٩م.

٣- وثيقة بدون رقم . حل التلغراف المرسل بالشفرة من مدحت باشا الى المابين ١١ جماد ثاني ١٢٩٦هـ/٢١مايو ١٨٧٩م.

٤- وثيقة بدون رقم . صورة التغلراف المرسل بالشفرة من المابين الهايوني ردا على مدحت باشا ١٢ جماد ثاني عام ١٢٩٦هـ/٢٢ مايو ١٨٧٩م.

٥- وثيقة بدون رقم . صورة التلغراف المرسل بالشفرة من المابين الهايوني ردا على مدحت باشا بتاريخ ١٧جماد ثاني عام ١٢٩٦هـ/٢٧ مايو ١٨٧٩م.

٦- وثيقة بدون رقم . حل التلغراف الوارد بالشفرة ردا من مدجت باشا على المابين الهمايوني ١٩جماد ثاني ١٢٩٦هـ/٢٩مايو ١٨٧٩م.

٧- وثيقة رقم ٩٩٤ . خطاب صادر من مدحت باشا الى الصدر الأعظم بتاريخ ١٧رجب ١٢٩٧هـ/حزيران ١٨٧٩م.

٨- وثيقة رقم ٥٥٧ . تحتوي على محضر اتهام الجناة في حادثة مقتل السلطان عبد العزيز، حرر بتاريخ ١٩ رجب ١٢٩٨هـ وما انتهت اليه محاكمتهم.

٩- وثيقة بدون رقم • نبذة وملخص ما جاء في استجواب التحقيق في حادثة مقتل(انتحار) السلطان عبد العزيز• بدون تاريخ • (ولقد قمت بارسال هذه الوثائق الى دارة الملك عبدالعزيز بالرياض وترجموها مشكورين)

ب - المحفوظة لدى دارة الملك عبدالعزيز بالرياض ، قسم الوثائق:

١- وثيقة رقم ٦٧٤١• نابليون يصل الى خان يونس ويخاطب قاضي غزة بالعربية موضحا له سبب مجيئه بتاريخ ١٨ رمضان ١٢٣١هـ•

٢- وثيقة رقم ٤٥١٦ تنظيم أمور زوار القدس السلطانية واستكمال الدفاع عن القدس وطلب تعيين أمين الصرة بتاريخ ١٢١٣هـ•

٣- وثيقة رقم ٩٥٩٧ • أحمد باشا الجزار ينتصر على الفرنسيين الهاجمين على عكا رغم مساندة نابليون من الايالات المجاورة كغزة• بتاريخ ١٧ محرم ١٢١٤هـ (وربطت بها الوثيقة رقم ٦٥٤٧ رسالة عثمان محصل قبرص) لصلتها بالموضوع•

٤- وثيقة رقم ٦٨٣٣ •المواطن الكسندر برتبة لواء رئيس القيادة العامة للقوات المسلحة الفرنسية يضمن الأمن والحماية لسكان عزة بتاريخ سنة ١٢٣٠هـ•

٥- وثيقة رقم ٤٤ • تقرير سفير فرنسا المقيم في الدول العلية بشأن اغلاق ديرالافرنج الموجود في جبل الكرمل بالقرب من قلعة عكا،بتاريخ٢٠ ذي القعدة سنة١٢٥٦هـ•

٦- وثيقة رقم ٦٨٠٧ • اقتراح بشأن تعيين محافظين وجنود في ولايات الشام (رسالة واردة للعبد الفقير أحمد باشا الجزار من والي صيدا القائد الأعلى) بدون تاريخ•

٧- وثيقة رقم ٦٦٢٧ • استعداد أهل القدس للدفاع عن مدينتهم ضد الغزو الفرنسي• بدون تاريخ•

٨- وثيقة رقم ٩٥١٠ • طلب مقدم من قاضي القدس محمد أمين بك بن اسماعيل باشا للصدر الأعظم بشأن ضرورة اصدار فرمان بمنع الأجانب من تمليك العقار بالقدس، بدون تاريخ•

خامسا : المقابلات :

١ - خوري : ايليا •

(مقابلة اجريتها بنفسي مع البطريرك ايليا خوري • رئيس الطائفة البروتستانتية ، في عمان ، الأردن ، في يوم الاثنين ١٥محرم عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)•

٢ - الشوداني : ابراهيم هلال ابراهيم .

(القس اسحق هلال فسيخة سابقا)

(مقابلة أجريتها معه أثناء زيارته لمدينة جدة يوم الأربعاء ٢٢ ربيع الثاني ١٤٠٩)

٣ - نجيم : حليم •

(مقابلة أجريتها بنفسي مع الأب حليم نجيم مدير مدرسة تراسنطة في عمان ، "يتبع الطائفة الكاثوليكية" وذلك في يوم الأربعاء ١٧ محرم عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م •

٤ - النجار : رؤوف •

(مقابلة أجريتها بنفسي مع الأب رؤوف النجار في مطرانية اللاتين في جبل الويبده في الأردن • وذلك في يوم الثلاثاء ٢٢محرم عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) •

سادسا : أبحاث غير منشورة

١ - صبحي : حسن .
محاضرات في تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر (المشرق العربي).
السنة الأولى ١٩٧٦م.

٢ - حاطوم : نور الدين .
محاضرات في نشاط البعثات الأجنبية الدينية في العالم العربي، القسم الثاني (محاضرات غير منشورة ألقيت في معهد الدراسات العربية في القاهرة عام ١٩٥٩م - ١٩٦٠ م .

٣ - عبد العال : خليل عبد الحميد .
محاضرات في العلاقات الدولية الحديثة
قسم التاريخ ، كلية الاداب .
الاسكندرية ، ١٩٧٩م/١٩٨٠م .

٤ - عمر : عبد العزيز عمر .
محاضرات في العلاقات الدولية (أوروبا : ١٨١٥ - ١٩١٩).
الاسكندرية . (ب . ت)

سابعا : رسائل جامعية (غير منشورة)

١ - الروقي : عايض بن خزام .
حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧هـ-١٢٥٥هـ/١٨٣١-١٨٣٩م
رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة أم القرى مكة المكرمة . ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

٢ - السعيد : دلال محمد السعيد .
علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الامام فيصل بن تركي ١٢٥٩هـ-١٣٨٨هـ/١٨٤٣م-١٨٦٥م .
رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة أم القرى مكة المكرمة . ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٣ - ششة : نوال سراج محمد .
الحجاز تحت حكم محمد علي ١٢٢٦هـ-١٢٥٦هـ/١٨١١-١٨٤٠م .
رسالة دكتوراة مقدمة الى جامعة أم القرى مكة المكرمة . ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٤ - الغامدي : سعيد بن سعد سفر .
موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومصر) ١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م .
رسالة دكتوراة مقدمة الى جامعة الامام بن سعود الاسلامية . الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

٥ - هلالة : يوسف .
الغزو التبشيري في الأردن .
رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، شعبة الدعوة عام ١٣٩٩هـ/١٤٠٠هـ .

ثامنا : المصادر والمراجع العربية والمعربة

١ - ابكاريوس : اسكندر بن يعقوب ٠
نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان، مخطوط منشور٠ تحقيق عبدالكريم ابراهيم السمك .
مطبعة رياض الريس للكتب والنشر :
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ٠

٢ - أبن الاثير : أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني ٠
الكامل في التاريخ ٠
الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ٠
بيروت / ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ٠

٣ - ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري٠
لسان العرب ٠
الجزء ١٣ ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق
المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر٠

٤ - أبو زهرة : محمد ٠
تاريخ المذاهب الاسلامية ٠
دار الفكر العربي ،
القاهرة٠
دار نهر النيل للطباعة : (ب ٠ ت)٠

٥ - أبو شقرا : يوسف خطار ٠
الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية ٠
(ب٠م٠ت) ٠

٦ - أبوغنيمة : زياد ٠
السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية ٠
الطبعة الأولى ، عمان ٠
جمعيةعمال المطابع التعاونية : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

٧ - ابو يوسف : يعقوب بن ابـــراهيم (ت ١٨٢هـ) •
الخــــراج •
الطبعـــة الخامسة ، القاهرة •
المطبــعة السلفيــة : ١٣٩٦هـ •

٨ - الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابيــة :
بروتوكولات حكماء صهيون •
الطبعة الأولى ، الكويت •
دار القرآن الكريم للطباعة : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٩ - مؤلف مجهول : أحد كتاب الحكومة الدمشقيين •
مذكرات تاريخيــة •
عني بنشرها :قسطنطين الباشا المخلص الخوري
بيروت • مطبعة القديس بولس (ب • ت) •

١٠- أرســـلان : شــــكيــب •
لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟
مراجعة : حسن غنيم •
بيـروت : منشورات مكتبة دار الحياة : ١٩٧٥م •

١١- أروتيـــن : بولس (أسقف حلب الماروني ١٧٨٨-١٨٥٠) •
أهم حوادث حلب في النصف الأول من القـــــرن
التاسع عشر •
تحقيق بولس قرالي •
القاهرة ، المطبعة السلفـــية • (ب • ت) •

١٢- اسماعيـــل : سوسن سليـــم •
الجـــذور التاريخيـــة للأزمـــة اللبنانيـــة
(فتنة الشام، أسبابها ، ونتائجها السياسية
١٨٦٠-١٨٦٤ ، الجزء الأول •
(القاهرة ، مكتبة نهضة الشـــرق : ١٩٨٥م •
وهي رسالة دكتوراة منشورة مقدمة الى جامعة
المنيا ، كلية الآداب عام ١٩٨٤م) •

١٣- أنطونيوس : جورج .
يقظة العرب .
ترجمة ناصر الدين الأسد ، و احسان عباس .
بيروت . دار العلم للملايين : ١٩٦٢م .

١٤- أنيس : ابراهيم وعبدالله منتصر و آخرون .
المعجم الوسيط .
المجلد الاول ، الطبعة الثانية .
القاهرة . مطابع دار المعارض : ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

١٥- باز : عبد الكريم .
افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الاسلامي .
الطبعة الأولى - جدة .
تهامة : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . (رسالة ماجستير منشورة قدمت الى جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، قسم الدراسات التاريخية ١٣٩٩هـ) .

١٦- بازيلي :
سوريا . ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية و التاريخية .
ترجمة د.يسر جابر، مراجعة د.منذر جابر.
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الحداثة : ١٩٨٨ م .

١٧- باشا : محمد مختار
التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية و القبطية.
مجلدين. الطبعة الأولى . بيروت .
المؤسسة العربية للدراسات و النشر عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

١٨- البحراوي : محمد عبد اللطيف .
حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨١٨هـ-١٨٣٩م .
الطبعة الأولى. القاهرة .
مطابع المختار الاسلامي : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

١٩- بروكلمان : كارل .
تاريخ الشعوب الاسلامية .
ترجمة : نبيه أمين فارس وآخرون .
بيروت . دار العلم للملايين : ١٩٨٤م

٢٠- بهنسي : عفيف .
الشام لمحات آثارية وفنية .
بغداد - دار الحرية للطباعة : ١٤٠٠هـ/٩٨٠

٢١- البهي : محمد .
الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .
الطبعة الثامنه . القاهرة .
مكتبة وهبة : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢٢- بيومي : زكريا سليمان .
قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين .
"التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضرب الاتجاه الاسلامي".
الطبعة الأولى - جدة .
عالم المعرفة : ١٤١١هـ/١٩٩١م .

٢٣- التل : عبد الله .
جذور البلاء.
الطبعة الثانية . دمشق : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٢٤- التل : عبد الله .
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية .
الطبعة الثالثة . بيروت .
المكتب الاسلامي : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢٥- توما : اميل .
فلسطين في العهد العثماني .
عمان . الدار العربية للنشر والتوزيع
(ب . ت) .

٢٦- الثقفي : يوسف بن علي بن رابع .
دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب
على مر العصور .
الطبعة الأولى . مكة المكرمة .
مطابع الصفا : ١٤٠٩/٦/٢ هـ .

٢٧- الجبرتي : عبد الرحمن .
تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار .
الجزء الثاني .
بيروت .
دار الجيل (ب . ت) .

٢٨ - جرانت : اج وهارولد تمبرلي .
أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين
١٧٨٩-١٩٥٠ . الجزء الأول .
ترجمة بهاء فهمي ، نقحته : ليليان م . بنسون .
القاهرة ، دار الحمامي للطباعة : (ب . ت) .

٢٩ - جريشة : على محمد ومحمد شريف الزيبق .
أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي .
القاهرة . دار الأعتصام . (ب . ت) .

٣٠ - جمـــال : أحمد محمد •
مفتريات على الاسلام •
الطبعة الأولى • بيروت، دار الفكر : ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م •

٣١ - الجميعـي : عبد المنعم •
من وثائـق بلاد الشـام في عصر محمد علي (ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان) •
الطبعة الأولى • القاهرة •
مطبعة الجبلاوي : ١٩٨٧ م •

٣٢ - الجنـدي : أنـور •
الفكر الاسلامي • المجلد الأول •
الطبعة الأولى • القاهـرة •
دار الأنصـار : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م •

٣٣ - الجنـدي : أنـور •
سموم الاستشراق والمستشرقين في العلـوم الاسلامية •
القاهرة • مكتبة التراث الاسلامي : ١٩٨٤م •

٣٤ - الجنـدي : أنـور •
عالم الاسم المعاصر • المجلد الثالث •
القاهرة • مطبعة الأنصار (ب•ت) •

٣٥ - الجنـدي : أنـور •
التبشير والاستشراق والدعوات الهدامـة المجلد الخامس •
القاهرة • دار الأنصار : ١٩٨٣م •

٣٦ - الجنــدي : أنـــور •
اطار اسلامي للفكر المعاصر •
الطبعة الأولى • بيـــروت •
المكتب الاسلامي : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م •

٣٧ - الجنـــدي : أنـــور •
العالم الاسلامي والاستعمار السياســـي
والاجتماعي والثقافي •
الطبعة الأولى • القاهرة •
دار الكتاب المصري : ١٩٧٩م •

٣٨ - حايـــك : اغناطيوس انوان الثاني • (بطريــــرك
السريان الانطاكي) •
تاريخ دير مار افرام الرغم • الشبانية
بيروت• كنيسة السريان الكاثوليك : ١٩٨٤م•

٣٩ - حتـــي : فيليـــب •
تاريخ سورية ولبنان وفلسطين • الجـــزء
الثاني •
ترجمة كمال اليازجي،مراجعة جبرائيل جبور
الطبعة الثانية ، بيروت . دار الثقافة :
١٩٧٢م

٤٠ - حتـــي : فيليـــب •
لبنان في التاريخ •
ترجمة : أنيس فريحة ، مراجعة نقـــولا
زيادة •
بيروت • دار الثقافة : ١٩٥٩م•

٤١ - حســـن : حسن ابراهيم •
تاريخ الاسلام السياسي • الجزء الأول •
الطبعة السابعة • القاهـرة •
مكتبة النهضة المصرية : ١٩٦٤م •

٤٢ - حسون : علي .
العثمانيون والروس .
الطبعة الأولى . بيروت .
المكتب الاسلامي : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٣ - حسون : علي .
الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية .
الطبعة الثالثة . بيروت .
المكتب الاسلامي : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ .

٤٤ - حسين : محمد محمد .
حصوننا مهددة من داخلها .
الطبعة السابعة . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٥ - الحصري : ساطع .
البلاد العربية والدولة العثمانية .
الطبعة الثالثة . بيروت .
دار العلم للملايين : ١٩٦٥ م .

٤٦ - الحكيم : يوسف .
بيروت ولبنان في عهد آل عثمان .
الطبعة الثانية . بيروت .
دار النهار للنشر : ١٩٨٠م .

٤٧ - الحكيم : يوسف .
سورية والعهد العثماني .
الطبعة الثانية . بيروت .
دار النهار للنشر : ١٩٨٠ م .

٤٨ - حلاق : حسان علي .
دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش (١٩٠٨-١٩٠٩م).
بيروت . الدار الجامعية : ١٩٨٢م .

٤٩ - حلاق : حسان علي .
بيروت المحروسة في العهد العثماني .
بيروت . الدار الجامعية : ١٩٨٧م .

٥٠ - حليم : ابراهيم بك .
التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية .
الطبعة الأولى.مطبعة ديوان عموم الأوقاف: ١٣٣٣هـ/١٩٠٥م.دمنهور.

٥١ - حمدان : نذير .
الغزو الفكري المفهوم - الوسائل المحاولات.
الطائف . مكتبة الصديق (ب.م.ن) .

٥٢ - الخازن : فيليب وفريد .
مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان سنة ١٨٤٠-١٩١٠
المجلدات الأول والثاني والثالث.
الطبعة الثانية : بيروت .
دار الرائد اللبناني : ١٩٨٣م .

٥٣ - خالدي : مصطفى وعمر فروخ .
التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
الطبعة الثالثة . بيروت .
منشورات المكتبة العصرية : ١٩٨٢م .

٥٤ - الخطيب : عمر عودة .
لمحات في الثقافة الاسلامية .
الطبعة الثانية . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٩٧٧ م .

٥٥ - خليفة : عصام كمال .
أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الجيل : ١٩٨٥ م .

٥٦ - الخوري : منير وعيسى أسعد .
تاريخ حمص (٦٢٢هـ/١٩٧٧) .
الطبعة الأولى . منشورات مطرانية حمص
الأرثوذكسية : ١٩٨٤م .

٥٧ - الدبس : يوسف .
مختصر تاريخ سورية .
الجزء الأول . الطبعة الثانية ١٩٨٤م

٥٨ - دويدار : بركات عبد الفتاح .
الحرية الفكرية ضد الاسلام .
مكة المكرمة . المركز العالمي للتعليم
الاسلامي : ١٤٠٦هـ .

٥٩ - رافق : عبد الكريم .
العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م .
الطبعة الأولى . دمشق : ١٩٧٤م . (ب.م.ن).

٦٠ - رستم : أسد .
لبنان في عهد المتصرفية .
بيروت . دار النهار للنشر : ١٩٧٣م .

٦١ - رستم : أسد .
بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤-١٨٤١م.
بيروت . منشورات الجامعة اللبنانية :
١٩٦٥م .

٦٢ - الريس : محمد ضياء الدين .
تباشير النهضة في العالم الاسلامي .
الطبعة الثالثة : دار الدعوة للطباعة
والنشر . (ب.ت) .

٦٣ - زقزوق : محمود حمدي .
الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع
الحضاري .
الطبعة الثانية . القاهرة .
دار المنار : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦٤ - زكار : سهيل .
بلاد الشام في القرن التاسع عشر .
الطبعة الأولى . دمشق .
دار الاحسان للطباعة والنشر: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

٦٥ - الزين : سميح وجيه .
تاريخ طرابلس قديما وحديثا منذ أقدم
الأزمنه .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار الأندلس : ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٦٦ - ساكا : اسحاق .
السريان ايمان وحضارة . الجزء الرابع .
حلب . مطرانية السريان الأرثوذكس: ١٩٨٣م.

٦٧ - السباعي : مصطفى .
الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم .
الطبعة الثانية . بيروت .
المكتب الاسلامي : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٦٨ - سعيد : ادوارد .
الاستشراق ، المعرفة ، السلطة . الانشاء .
ترجمة : كمال أبو ديب .
الطبعة الأولى . بيروت .
مؤسسة الأبحاث العربية : ١٩٨١م .

٦٩ - سركيس : خليل .
تاريخ أورشليم (القدس الشريف) .
بيروت . مطبعة المعارف : ١٨٧٤م .

٧٠ - السرياني : الخور فسقفوس اسحق - أرملة .
وثائق خطية في علائق آل طرزي بالملة السريانية .
بيروت . المطبعة الكاثوليكية : ١٩٣٤م .

٧١ - سعيد : عبدالستار فتح الله .
الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام .
الطبعة الثانية . الرياض .
مكتبة المعارف : ١٣٩٩ هـ .

٧٢ - سنو : عبد الرؤوف .
المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين ١٨٤١-١٩٠١م .
الطبعة الأولى . بيروت .
معهد الانماء العربي : ١٩٨٧م .

٧٣ - شاتليه : ا . ل
الغارة على العالم الاسلامي .
لخصها ونقلها للعربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب .
الطبعة الثانية . جدة .

٧٤ - الشاذلي : محمد ثابت •
الماسونية ، عقدة المولد ••وعار النهاية •
الطبعة الأولى • دار التوفيق النموذجية للطباعة و الجمع الآلي ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م •

٧٥ - شاكر : محمود محمد •
أباطيل وأسمار • الجزءان الأول و الثاني •
الطبعة الثانية • القاهرة •
مطبعة المدني : ١٩٧٢ م •

٧٦ - شبارو : عصام •
تاريخ بيروت •
منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين •
بيروت • دار مصباح الفكر : ١٩٨٧م •

٧٧ - شريف : حكمت بك •
تاريخ طرابلس من أقدم أزمانها الى هذه الأيام •
تحقيق وتقديم ، منى حداد يكنى ومارون عيسى الخوري •
الطبعة الأولى • طرابلس •
دار الايمان للطباعة و النشر ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م •

٧٨ - شريف : محمد بديع و آخرون •
دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة •
الطبعة الثانية • بيروت •
دار أقرأ : ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م •

٧٩ - شلبي : أحمد •
الحروب الصليبية •
مكتبة النهضة المصرية : ١٩٨٦م •

٨٠ - شلبي : عبد الودود .
حقائق ووثائق - دراسات ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الاسلامي.
الطبعة الأولى . جدة .
الدار السعودية للنشر والتوزيع : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٨١ - شلبي : عبد الودود .
أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية .
جدة - دار المجتمع : ١٩٨١م .

٨٢ - الشناوي : عبدالعزيز محمد .
الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها . أربعة أجزاء .
القاهرة . مطبعة الانجلو : ١٩٨٠م .

٨٣ - الشناوي : عبدالعزيز محمد .
أوروبا في مطلع العصور الحديثة .
الجزء الأول .
الطبعة الثالثة . القاهرة .
مكتبة الانجلو المصرية : ١٩٧٧م .

٨٤ - صبرة : عفاف .
المستشرقون ومشكلات الحضارة .
دار النهضة العربية : ١٩٨٥م .

٨٥ - الصليبي : كمال .
تاريخ لبنان الحديث .
الطبعة الرابعة . بيروت : ١٩٧٨م .

٨٦ - الصلح : عماد .
أحمد فارس الشرياق آثاره وعصره .
بيروت . دار النهار : ١٩٨٠م .

٨٧ - الصـــواف : محمد محمود •
المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام•
(ب•م•ن) •

٨٨ - ضاهـــــر : مســعود •
الجذور التاريخية للمسألة الطائفيـــة
اللبنانية ١٦٩٧-١٨٦١م •
الطبعة الثانية • بيروت •
معهد الانماء العربي : ١٩٨٤م.

٨٩ - طعيمـــة : صـابـر •
الاسلام ومشكلات العصر •
بيروت • دار الجبل : ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م •

٩٠ - طعيمـــة : صابر عبد الرحمن •
الاسلام والثورة الاجتماعية •
الطبعة الأولى • القاهرة •
دار الثقافة العربية للطباعة : ١٩٧٠م •

٩١ - ظهيـــر : احسان الهي •
الشيعة والسنة •
القاهرة • دار الانصار : ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م•

٩٢ - ظهيـــر : احسان الهي •
الشيعة والقرآن •
الطبعة الثالثه • ادارة ترجمان السنـــة•
لاهور ، باكستان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م •

٩٣ - عبد الرحيم : عبد الرحمن عبد الرحيم•
تاريخ العرب الحديث والمعاصر•
الطبعة الرابعة • القاهــرة•
دار الكتاب الجامعي : ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م •

٩٤ - عبد القادر : محمد الخير .
نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية .
الطبعة الأولى . القاهرة .
دار التوفيق النموذجية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٩٥ - عبد الكريم : أحمد عزت .
دراسات في تاريخ العرب الحديث .
بيروت . دار النهضة العربية : ١٩٧٠م .

٩٦ - عبد المجيد : السلطان عبد الحميد الثاني .
مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨ .
الطبعة الثانية . بيروت .
مؤسسة الرسالة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٩٧ - عتريسي : طلال .
البعثات اليسوعية .
الطبعة الأولى . الوكالة العالمية للتوزيع
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٩٨ - العرفي : محمد سعيد .
سر انحلال الأمة العربية ورهن المسلمين .
الطبعة الثانية . دمشق .
مطبعة عبد الله الملاح : ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .

٩٩ - العسلي : كامل جميل .
المعاهد العلمية في بيت المقدس .
دمشق . مديرية الوثائق التاريخية : ١٩٨١م .

١٠٠ - عطار : أحمد عبد الغفور .
مؤامرة الصهيونية على العالم .
الطبعة الأولى . مكة المكرمة .
مطابع دار العلم للملايين : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

١٠١- العطار : نادر .

تاريخ سوريا في العصور الحديثة (١٥١٦-١٩٠٨)

الجزء الأول (ب.م.ن) .

١٠٢- العقيقي : نجيب .

المستشرقون . الجزء الأول والثاني .

الطبعة الرابعة ، القاهرة .

دار المعارف : ١٩٨٠م .

١٠٣- عكاشة : ابراهيم .

التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل .

الرياض . دار العلوم للطباعة والنشر : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(رسالة دكتوراة منشورة مقدمة الى جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م ، كلية الآداب) .

١٠٤- علي : محمد كرد .

الحكومة المصرية في الشام .

القاهرة . المطبعة السلفية : ١٣٤٣-١٩٢٥م.

١٠٥- علي : محمد كرد .

خطط الشام . الجزء الثالث .

دمشق . مطبقة الترقي : ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

١٠٦- عليان : محمد عبد الفتاح .

أضواء على الاستشراق .

الطبعة الأولى . الكويت .

دار البحوث العلمية : ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١٠٧- عمايرة : اسماعيل أحمد .

المستشرقون ومناهجهم اللغوية .

الطبعة الأولى . عمان .

دار الملاحي للنشر والتوزيع: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٠٨- عـــوض : عبد العزيز محمد .
مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤م.
الطبعة الأولى . بيروت .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ١٩٨٣م.

١٠٩- عـــوض : عبد العزيز .
الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م.
دار المعارف بمصر : ١٩٦٩م .
(رسالة ماجستير منشورة مقدمة الى جامعة عين شمس ، كلية الاداب قسم التاريخ).

١١٠- غرايبة : عبد الكريم محمود .
تاريخ العرب الحديث .
الطبعة الثانية . بيروت .
الأهلية للنشر والتوزيع : ١٩٨٧م .

١١١- الغنام : سليمان بن محمد .
قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ١٨١١-١٨٤٠م .
الطبعة الأولى . الكتاب العربي السعودي: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

١١٢- فريز : حسين وآخرون .
تاريخ أوروبا الحديث .
الرياض . دار المعارف : ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

١١٣- فورد : هنري .
اليهودي العالمي . بروتوكولات حكماء صهيون.
تعريب : خيري حماد
بيروت : دار الافاق الجديدة (ب.ت) .

١١٤- الفيروز أبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب .
القاموس المحيط . الجزء الأول .
الطبعة الأولى . المؤسسة العربية للطباعة
والنشر : (ب.ت) .

١١٥- قدورة : زاهية .
تاريخ العرب الحديث .
بيروت . دار النهضة العربية للطباعة والنشر
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١١٦- القرضاوي : يوسف .
الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا .
الطبعة الثالثة ، القاهرة .
القاهرة الحديثة للطباعة : ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

١١٧- قطب : سيد .
المستقبل لهذا الدين .
الكويت . الاتحاد الاسلامي : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

١١٨- كشك : محمد جلال .
الغزو الفكري .
الطبعة الرابعة ، القاهرة .
المختار الاسلامي : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

١١٩- كوثراني : وجيه .
الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان
والمشرق العربي من المتصرفية العثمانية
الى دولة لبنان الكبير .
الطبعة الأولى . بيروت .
منشورات بحسون الثقافية : ١٩٨٦.

١٢٠- اللبان : مصطفى أحمد الرفاعي .
مناقشة هادئة للمبشرين .
الطبعة الأولى . القاهرة .
المطبعة السلفية : ١٣٤٩هـ .

١٢١- لوتسكي :
تاريخ الأقطار العربية الحديث .
ترجمة : د . عفيفة البستاني ، مراجعة يوري يوشين .
موسكو . دار التقدم : ١٩٧١م .

١٢٢- محافظة : علي .
العلاقات الألمانية - الفلسطينية ١٨٤١-١٩٤٥م .
الطبعة الأولى . بيروت .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨١م .

١٢٣- محافظة : علي .
الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن .
بيروت . الأهلية للنشر والتوزيع : ١٩٨٧م .

١٢٤- المحامي : محمد فريد بك .
تاريخ الدولة العلية العثمانية .
تحقيق ، احسان حقي .
الطبعة الأولى . بيروت .
دار النفائس : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٢٥- محمود : علي عبد الحليم .
الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام .
الرياض . ادارة الثقافة والنشر بالجامعة
١٤٠١هـ/١٩٨١م .

١٢٦- مدحت : مذكرات مدحت باشا .
ترجمة يوسف كمال بك حتاتة .
القاهرة : ١٩١٣م .

١٢٧- مرزوق : عبد الصبور .
الغزو الفكري - أهدافه ووسائله .
مكة المكرمة مؤسسة مكة للطباعة والاعلام
(ب.ت) .

١٢٨- مشاقة : ميخائيل .
مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان .
القاهرة . منشأة ملحم خليل عبدو اندراوس
حنا شخاشيري: ١٩٠٨م .

١٢٩- مكاريوس : شاهين .
مذبحة الجبل، (حسر اللثام عن نكبات الشام).
الطبعة الثانية . بيروت : ١٩٨٣م .

١٣٠- منسي : محمد حسن صالح .
تاريخ الشرق العربي الحديث .
القاهرة . دار الوزان للطباعة والنشر(ب.ت)

١٣١- المودودي : ابو الأعلى .
الربا .
جدة . الدار السعودية للنشر والتوزيع:
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

١٣٢- مؤلف مجهول:
تاريخ حوادث الشام ولبنان أوتاريخ ميخائيل
الدمشقي ١١٩٢-١٢٥٧هـ/١٧٨٨-١٨٤١م .
تحقيق أحمد غسان سبانو .
الطبعة الأولى . دمشق .
دار قتيبة : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

١٣٣- مؤلف مجهول :

مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا .

تحقيق وتقديم : أحمد غسان سبانو .

دمشق . دار قتيبة للطباعة والتوزيع والنشر (ب.ت) .

١٣٤- مؤلف مجهول :

عصر السلطان عبد الحميد وأثره في الأقطار العربية ١٨٧٦-١٩٠٩ . الجزء الأول .

الطبعة الثانية . دمشق .

المكتبة الهاشمية : (ب.ت) .

١٣٥- الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة .

أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار العلم : ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

١٣٦- النتشة : رفيق شاكر .

السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين .

الطبعة الأولى . الرياض .

شركة مطابع نجد التجارية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

١٣٧- النحاس : سامي سلامة .

تاريخ مادبا الحديث .

الطبعة الأولى . عمان .

الدار العربية للتوزيع والنشر : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١٣٨- النصولي : أنيس .

أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر .

حققه وقدم له د.عبد الله الطباع .

الطبعة الأولى . بيروت .

دار ابن خلدون : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٣٩- نعيـــــم : خالد محمد .
الجذور التاريخية لارساليات التنصير الأجنبية
في مصر (١٧٥٦-١٩٨٦م).
القاهرة . المختار الاسلامي: (ب.ت) .

١٤٠- نـــوار : عبد العزيز سليمان وعبد المجيد نعني.
التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية
الى الحرب العالمية الثانية.
بيروت . دار النهضة العربية : ١٩٧٣م .

١٤١- الياغـــي : اسماعيل أحمد .
الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية.
الرياض . دار المريخ للنشر : ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٤٢- يزبـــك : يوسف ابراهيم .
أوراق لبنانية .
بيروت. دار الرائد اللبناني: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٤٣- اليسوعـي : فردينان توتل .
وثائق تاريخية عن حلب، أخبار الموارنـــة
وما اليها من ١٦٠٦-الى يومنا.
المطبعة الكاثوليكية : ١٩٦٥م .

تاسعا : الدوريات

١ - ابراهيم : عبد العزيز عبد الغني .
بداية التنصير الأمريكي في الشام.
مجلة العلوم الاجتماعية ، العدد الثامن ،
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ص ٩٥ - ١٠٩ .

٢ - أمين : عثمان .
عبقرية جمال الدين الأفغاني
(مجلة العربي، العدد ٧٩ ١٣٨٥هـ/
يونيو حزيران ١٩٦٥م ، ص ٥٢ - ٥٨ .

٣ - أورطايلي : البير .
انفصال الولايات العربية الشرقية
عن الدولة العثمانية في القرن
التاسع عشر والسياسة العثمانية في
هذا العصر(المجلة التاريخية المغربية ؛
تونس العددان ٣١-٣٢
ديسمبر ١٩٨٣) ، ص ٥٠ .

٤ - أورطايلي : ايليا .
بلاد الشام في القرن التاسع عشر .
المجلة التاريخية المغربية ،
تونس ، العددان ٣٩-٤٠،
السنة الثانية عشر، ديسمبر ١٩٨٥م .

٥ - برقاوي : أحمد .
عصر النهضة العربية ونشأة الفكر
القومي وتطوره (بلاد الشام) .
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الاسلامية ، رقم الوثيقة ٥١٩٤٣ ،
العدد٣٣ - ٣٤ ، أيلول كانون
الأول عام ١٩٨٩م، مقال ص ١١-٢١ .

٦ - البلخي : علي يوسف .
المـوقـف الدولي مـن احتلال مـحمـد علي
باشا لبلاد الشام ١٨٣١ - ١٨٤٠م من
خلال الوثائق العثمانية .
مركز الملك فيصل للدراسات و البحوث
رقم الوثيقة ٣١٥٩٢ ، العدد ١٩-٢٠
نيسان/تموز ١٩٨٥م مقال ص ٢٠٠-٢١٨ .

٧ - بنـد : عيسى .
عقلاء المسيحين يتكلمون. التبشير
عمل استعماري.
جريدة الفتح ،العدد ٥١ ،غرة محرم
١٣٤٧هـ/٣٠ يونيو ١٩٢٧ ، ص ٨ .

٨ - الثقفي : يوسف .
معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية
مجلة كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
العدد السادس - السنة السادسة ،
١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ ، ص ١٤٥-١٧٤ .

٩ - حاتم : عماد .
الغزو الثقافي الغربي الممهد و المتوافق
مع الاستعمار الحديث في الوطن العربي.
مركز الملك فيصل للدراسات و البحوث
رقم الوثيقة ١٨٨٢٢ ، العدد ٣-٤
مارس/ابريل ١٩٨٢م ، ص ٥٨-٧٣ .

١٠ - حال : موسى .
سر سقوط الخلافة العثمانية
جريدة المسلمون، العدد ١٨٧ ،
١٤٠٩/١/٢١

١١ - حسن : أسامة •
الارساليات النصرانية •
مجلة الفيصل ، السنة العاشرة ،
العدد ١٢٦، ١٤٠٧/١١/٨هـ، ص ١٢٦ •

١٢ - حكيم : محمد طاهر •
السنة في مواجهة الأباطيل •
مجلة دعوة الحق • السنة الثانية ،
العدد ٢١، مكة المكرمة
ربيع الأول ١٤٠٢هـ، ص٣٨-٥٣ •

١٣ - حمودة : معالي عبد الحميد •
الاسلام والحركات الهدامة •
مجلة دعوة الحق • السنة الثالثة •
العدد ٢٥ ،
ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/يناير ١٩٨٤م •

١٤ - جريشة : على محمد •
التخطيط للدعوة الاسلامية •
مجلة دعوة الحق ، السنة الأولى ،
العدد ٢٧، شوال عام ١٤٠١هـ •
ص ٧٤-٩٤ •

١٥ - خضر : محمد حمد •
الصليبية والأستشراق •
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات
الاسلامية ، رقم الوثيقة ١٨٩٢٢ ،
العدد ١٣،
رجب ١٣٩٧هـ/يونيو ١٩٧٧م ،
ص١٦-١٨ •

١٦ - الخطيب : محب الدين .
المدارس الأمريكية .
جريدة الفتح ، السنة الرابعة ، العدد ١٩٦ .
الخميس ١٢ شوال ١٣٤٨هـ/١٣ مارس ١٩٣٠م ،
ص ٧٢٨ .

١٧ - الخطيب : محب الدبن .
نداء الى أخواننا المسلمين للتحذير من مكايد المبشرين سماسرة الاستعمار والتنصير .
جريدة الفتح ، السنة الثانية ، عدد ١٠٧ تاريخ ١٣٤٧هـ/١٢ أغسطس ١٩٢٨م ، ص ٤ .

١٨ - الخطيب : محب الدين .
يجب أن تطلعوا على أقوال أعدائكم لتعلموا ماذا يرصد لكم .
جريدة الفتح، السنة الثالثة ، العدد ١٦١ ، الخميس ١٧ ربيع الأول ١٣٤٨هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٢٩م ، ص ٢٦٢-٢٧٠ .

١٩ - الخطيب : محب الدين .
المسلمون ومدارس الرعاية المسيحية .
جريدة الفتح ، السنة الثالثة ، العدد ١٦١ ،
الخميس ١٧ ربيع الأول ١٣٤٨هـ/ ٢٢ أغسطس ١٩٢٩م ، ص ١٤ .

٢٠ - الخطيب : محب الدين ·
وزارة المعارف السورية تتحول الى جمعية تبشيرية مسيحية ·
(جريدة الفتح ، السنة الثانية ،عدد ١١٨ تاريخ ٤ جمادى الأولى ١٣٤٧هـ/ ١٨ أكتوبر ١٩٢٨م) ص ١١ ·

٢١ - الخطيب : محب الدين ·
التبشير عمل أستعماري ·
(جريدة الفتح ، السنة الأولى ، العدد ٥١ ، محرم ١٣٤٦هـ/٣٠ يونيه ١٩٢٧م) ، ص ٠٨

٢٢ - الخطيب : محب الدين ·
جمعية الشبان المسيحية وفرعها في يافا·
(جريدة الفتح ، السنة الثانية ، العدد ٨٦ ، ٩ رمضان ١٣٤٦هـ/١ مارس ١٩٢٨م) ، ص ١٤ ·

٢٣ - خليل : ابراهيم ·
الجذور التاريخية والسياسية للنزعات الانعزالية والاقليميةفي الثقافة العربية ·
المجلة الأردنية ، العدد ٢٠ ، السنة الثانية· (ب · ت) · ص ١٢١

٢٤ - رضا : محمد رشيد ·
المدرسة الكلية الأمريكانية في بيروت·
مجلة المنار ، المجلد السادس ، العدد٧٠ ، الجزء الرابع عشر ، ١٣١٥هـ
ص ٥٦٦ - ٥٦٧ ·

٢٥ - زغروت : محمد محمد ابراهيم .
الجهاد في سبيل الله .
مجلة التوعية الاسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد الرابع، ١٤٠٨/١١/٢٠هـ،
ص ٤٧-٤٨ .

٢٦ - السروجي : محمد محمود .
المسألة الشرقية في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي ،
الحرب التركية الروسية ،
١٢٩٤-١٢٩٥هـ/١٨٧٧-١٨٧٨م
مجلة كلية العلوم الاجتماعية ،
العدد الخامس ،
١٤٠١هـ ، ص ١٥٢-١٥٩ .

٢٧ - شيخو : لويس .
سلسلة بطاركة الطائفة المارونية .
مجلة المشرق ، السنة الأولى ،
بيروت،
المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين :
١٨٩٨م ، ص ٣٩٥-٣٩٦ .

٢٨ - طاش : عبد القادر .
مؤسسات الدعوة الاسلامية ، في مواجهة التنصير .
مجلة الدعوة ، عدد ١٢٧ ،
٢٧/٤/١٤٠٤هـ، ص ١٩ .

٢٩ - الطشو : محمد زين العابدين .
أهداف المنصرين الاستعمارية .
مجلة المسلمون ، السنة السابعة ،
العدد ١٢٤ في ٢٤/١٠/١٤٠٧هـ،ص ٢٦

٣٠ - الطويل : السيد رزق .
اللسان العربي والاسلام معا في معركة المواجهة .
مجلة دعوة الحق ، السنة السادسة ، العدد ٦٠ مكة المكرمة ،
ربيع الأول ١٤٠٧هـ/ نوفمبر ١٩٨٦م ، ص ٤٠-٨٨ .

٣١ - عبد الله : أبو اسلام أحمد .
الماسونية سرطان الأمم .
مجلة دعوة الحق ، السنة السابعة ، العدد ٧٤
جمادى الأولى،١٤٠٨هـ/ديسمبر ١٩٨٧م

٣٢ - عبد النور : جبور .
الندوات الأدبية والنزعات التحريرية العربية في القرن التاسع عشر.
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية ،
رقم الوثيقة ١٨٧٩٤ ، العدد ٣
مارس ١٩٥٤ مقال ، ص ٢٦-٢٩ .

٣٣ - عبود : محمد بن .
الاستشراق والنخبة العربية .
المجلة التاريخية المغربية ، تونس ،
السنة التاسعة ، العدد ٢٧-٢٨ ،
ديسمبر ١٩٨٢م ، ص ١٩٩.

٣٤ - العسلي : كامل جميل .
القدس تحت حكم العثمانيين .
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية . الوثيقة ٥٤١٨١ ،
العدد ٥٧ ،ربيع الثاني ١٤١٠هـ/
كانون أول ١٩٨٩م ، مقال ص ٥٣-٦٢ .

٣٥ - عفيفـــي : محمد الصادق •
المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان •
مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، العدد ٦٢،
جمادى الأولى ١٤٠٧هـ/يناير ١٩٨٧م •

٣٦ - فـــوزي : ساجدة عمـــر •
حول طبيعة الاستشراق •
المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد ١٤،
١٩٨٠م ، ص ٣٥٧ •

٣٧ - قاسميـــة : خيريـــة •
روسيا القيصرية والمشرق العربي •
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية •
وثيقة رقم ٤٥٦٥٨ ، العدد ٩
١٠ محرم ١٤٠٣هـ/أكتوبر ١٩٨٢م ،
ص ٤٠-٧٧

٣٨-الكلية السورية : كتاب الكلية السورية الانجيلية السنوي •
١٩٠٢-١٩٠٣ ، بيروت ، ١٩٠٣م ،
ص ١٠-١٣٠

٣٩ - كرايـــن : كراين وسورية •
(وهي النشرة الأولى من النشرات التي
يصدرها حزب الشعب السوري)•
القاهرة ،
المطبعة السلفية ومكتبتها،
١٣٤٥هـ/١٩٢٧م

٤٠ - لبكـــي : بطرس
تطور مؤسسات التعليم في لبنان
خلال القرن الأخير من الحكم العثماني •
المجلة التاريخية المغربية ،
تونس ،
السنة السابعة عشر، العدد ٥٧-٥٨ •
يوليه ١٩٩٠م ، ص ٤٧١-٤٨٩ •

٤١ - محمـــود : عبد القادر .
الاسلام في مواجهة الحركة التنصيرية
والاستشراقية .
مجلة الفيصل ، العدد ١٢٦ ،
ذو الحجة ١٤٠٧هـ، ص ٢٨.

٤٢ - مجلة البشير : سياحة أحد الأوروبيين في الأمصار الشرقية .
(مجلة البشير الكاثوليكية ، ميكروفيلم
شريط رقم ١٢٢، عدد ٤٨٣ ،
٥ كانون ثاني ١٨٧٩م ،
مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت)
مكتبة الجامعة الأردنية عمان.
ولدي نسخة خاصة منه .

٤٣ - مجلة البشير : مقابلة حبر الأحبار معتمدي فرنسا.
(مجلة البشير الكاثوليكية ، ميكروفيلم
شريط رقم ١٢٢ ، عدد ٦٣ ،
١١ تشرين الثاني ١٨٧١م .
مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت.)
ولدي نسخة خاصة منه.

٤٤ - مجلة البشير : مقالة بدون عنوان ، ميكروفيلم ،
رقم الشريط ١٢٢، عدد ١٧.
صدرت في بيروت ١٨٧٠م ، ص ٢.

٤٥ - مجلة البشير : مقالة بدون عنوان ،ميكروفيلم ،
رقم الشريط ١٢٣،
صدرت في بيروت ١٨٧٩م . ص ١ .
مكتبة الجامعة الأردنية ، عمان)
ولدي نسخة منه.

٤٦ - مؤلف مجهول : الحضارة العربية الاسلامية بعيون انجليزية •
مجلة الدعوة ، عدد ١٢٠١ ، الخميس
٢ محرم ١٤١٠هـ/٣ أغسطس ١٩٨٩م ،
ص ٢٨ •

٤٧ - نسكايا : سميليا •
العلاقات التجارية بين روسيا وبلاد
الشام ١٩٠٠-١٩١٤م •
المؤرخ العربي، بغداد ، المجلد ١٤ ،
عام ١٩٨٠م • ص ٣٦٤-٣٧٤•

٤٨ - نعيمة : ميخائيل •
مسيحي يتكلم عن المبشرين بشجاعة
(ميخائيل نعيمة يثني على شاب
انجليزي منصف وينحي باللائمة
على أعمال المبشرين في الشرق) •
جريدة الفتح ، السنة الثانية ،
عدد ١٢٦
غرة رجب ١٣٤٧هـ/١٣ ديسمبر ١٩٢٨م ،
ص ٤١٣ •

٤٩ - هنري : اعلان منح مدرسة القديس يوسف •
مجلة البشير، ميكروفيلم ،
شريط رقم ١٢٣ ،
عدد ٥٦٩ ، ٤ آب ١٨٨١م ، ص ١ •
ولدي نسخة خاصة منه •

عاشرا : الموسوعات

١ - الكيالي : عبد الوهاب .
موسوعة السياسة
الجزء الرابع - بيروت
المؤسسة العربية للدراسات والنشر : ١٩٨٦م

٢ - المرعشلي : أحمد وعبد الهادي هاشم .
الموسوعة الفلسطينية ، القسم العام في
أربعة مجلدات . المجلد الأول.
الطبعة الأولى. دمشق.
مطابع ميلانو ستامبا الايطالية . (ب . ت).

أحد عشر : المؤتمرات

١ - شتيبات : فرتيز.
تغلغل المفاهيم السياسية .الاجتماعية
الزمنية في القرن التاسع عشر «اسهام من
دراسة الوعي السياسي في بلاد الشام».
المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام
٩٢٢هـ -١٣٥٨هـ/١٥١٦م-١٩٣٩م.
الجزء الاول ،جامعة دمشق - كلية الاداب
محرم ١٤٠٠هـ/كانون الاول ١٩٧٩م ،
ص ٦٠١-٦١٣.

٢ - صبري : بهجت.
لواء القدس ١٨٤٠م -١٨٧٣م .
المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ
بلاد الشام (فلسطين) ،
المجلد الأول ، جامعة اربد.
منشورات مركز الدراسات والبحوث
العثمانية والموريسكية والتوثيق
والمعلومات .
مطابع الجمعية العلمية الملكية (ب.ت)

٣ - فــرح : قيصر .
أثر التحالف الرباعي في الاصلاحات
الادارية المقترحة لسورية . الجزء الاول .
المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام .
٩٢٢هـ-١٣٥٨هـ/١٥١٦م-١٩٣٩م ،
محرم ١٤٠٠ هـ/كانون الاول ١٩٧٩ م ،
ص ٣٩٩ -٥٤٣.

٤ - نشابة : هشام .
مدارس القدس في العهد العثماني
المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ
بلاد الشام (فلسطين)
١٩ -٢٤ نيسان ١٩٨٠ م ،مجلة تاريخ العرب
والعالم . السنة الثانية . العدد الثاني
والعشرين .رمضان ١٤٠٠ هـ/اغسطس ١٩٨٠م ،
ص ١٩ -٢٠.

I - References :

المراجع الأجنبية

1 - Addison : James Thayer
The Christian Approach to the Moslem
(A Historical Study)
New York
Columbia Universiry Press
1942.

2 - Dohaish : Abdullatif Abdullah
History of Education in the Hijaz up to 1925
(Originally Written as a thesis for the degree of
Ph. D. in the University of Leads,
England), 1398 / 1978
Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi.

3 - Franciscan Group:The Costudy of the Holy Land
The Costudy of the Holy Land Editions ,
Jerusalem, 1981.

4 - Francois Prima : J. L.
Histoire Universelle des Mission Catholiques,
Les Missions Contemporaines 1800-1957.
Librairie Grund, Paris.

5 - Inalcik : Halil.
The Ottoman Empire
Translated by : Norman Itzkowitz and Colin Imber
Second Edition, London, 1975.

6 - Issa : Anton Odeh .
Les Minorites Chretiennes De Palestine
A Travers Les Siecles .
Franciscan Press, Jerusalem, 1977.

7 - Ma'oz : Moshe .
Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 / 1861
Oxford.
Oxford University Press, 1968.

8 - Tibawi : A. L.
A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine .
First Edition .
Edinburgh .
Macmillan St. Martin's Press, 1969.

9 - Zwemer : S. M.
Arabia : The Cradle of Islam .
Fourth Edition
New York, 1912.

II - PERIODICALS

الــدوريات

Degueilhem - Schoem : Randi
The Significance of the Awqaf Documents of 19th - 20th Century,
Damascus to Current Research.
Actes du Vie Congres du C.J.E.P.O. tenu a Cambridge Sur :
Les Provinces Arabes a l'epoque Ottomane .
Centre d'Etudes de Recherches Ottomanes et Morisco
Andalouses, Zaghouan: 1987, pp. 95 - 102.

الـــفـهـــرس

التمهيـــــد

الفصـــل الأول

دوافع وأهداف الارساليات الأجنبية في بلاد الشام

الفصـــل الثـــاني

وسائل الارساليات الأجنبية في تحقيق أهدافها في بلاد الشام

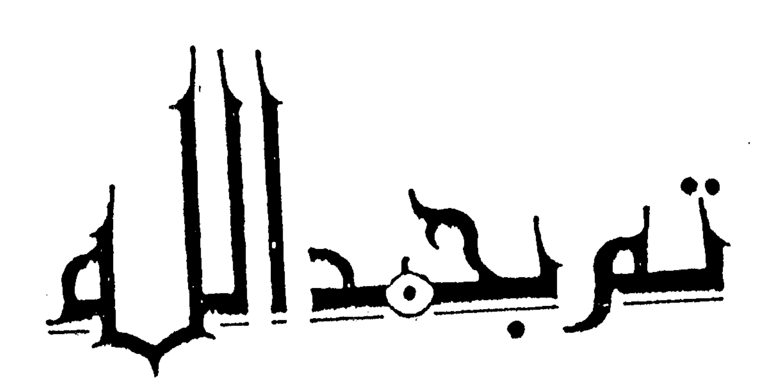
الفصل الثالث

مناطق نشاط الارساليات الأجنبية في بلاد الشام

الفصل الرابع

حركة التصدي الاسلامي

الفصل الخامس


تم بحمد الله